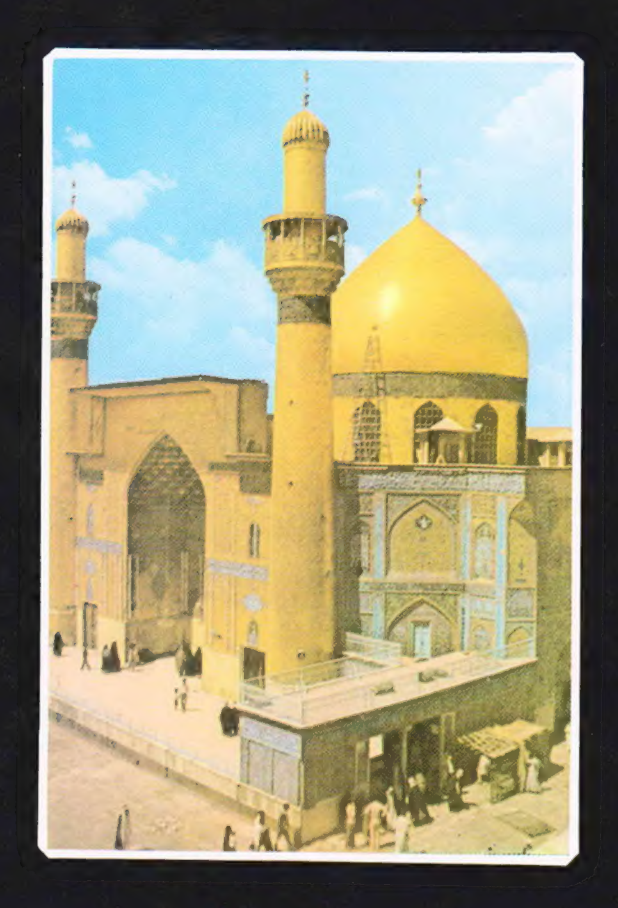
الإمام علي عليه السلام

خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله



محمد إبراهيم الموحد القزويني

دار الثقلين - بيروت



محمد إبراهيم الموحد القزويني

دار الثقلين - بيروت

الطبعة الثالثة
مع إضافات وتنقيحات من المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه... والصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمّد رسول اللّه، وعلى أخيه ووزيره ووصيِّه وخليفته ووليّ الأمر مِن بعده والمَفضَّل لديه: الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب...

والصلاة والسلام على آل رسول اللّه: المصطفَين الأخيار الهداة الأبرار، اُمناءِ اللّه وأحبّائه، وخلفاء رسوله وسادة أوليائه، لاسيَّما خاتم الأوصياء، الامام الثاني عشر، المهدي المنتظر (عجَّل اللّه تعالى ظهوره الشريف).

ولعنةُ اللّه على اعدائهم أجمعين من الآن الى يوم الدين.

الإهداء

إن كان المتعارَف أن يهدي الانسان كتابه وتأليفه الى احد عظماء العَصر وشخصيّات الزمَن، فانني أُقدِّم كتابي هذا الى:

اعظم عُظماء العصر

وأكبر شخصيات الزمَن

إلى خليفة اللّه في أرضه

وحُجّتِه على خَلقه

خاتمِ أوصياء الرسول

الامام الثاني عشر

سيدي ومولاي:

الامام المهدي المنتظر (صلوات اللّه عليه وعجلَّ اللّه تعالى ظهوره الشريف).

إليه أهدي هذه الصفحات المتلألأة بذِكر جدّه الأكبر، الصِدّيق الأعظم، سيّد الأوصياء وأفضل الخلق بعد رسول اللّه: الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (سلام اللّه عليه).

وكلّي أمَل ورجاء في أن تقع هذه الهدية من سيدي ومولاي موقع الرضا والقبول.

محمد ابراهيم الموحِّد القزويني

كربلاء المقدّسة ـ العراق

المقدمة

كثيرون...هم الذين كتَبوا عن خليفة رسول اللّه:علي امير المؤمنين..

كثيرون... هم الذين تحدَّثوا عن شِبل ابي طالب وربَيبِ الوحي.

البعض منهم تناول جانباً من جوانب حياته المشرقة، وراح يتحدث عنها بِبَراعة، ويُسجّل التحقيق فيها ببلاغة.

والبعض الآخر حاول ـ دون جدوى ـ أن يستوعب كل الجوانب من حياته.

ولكن ... مع كل تلك المحاولات، ومع جميع تلك التحقيقات، لازالت ـ حتى الآن ـ جوانب كثيرة من حياة الامام مجهولة، ومَعرفتنا ـ كبَشر ـ بشخصية الامام ناقصة.

فالامام امير المؤمنين شخصية فريدة مِن نوعها، وعبقريَّةٌ جمعت كلّ العبقريات الى نفسها، وعظيم تقزَّم العظماء بين يديه.

ليس الامام علي شخصاً عادياً كسائر الناس.

ولاقائداً كبقية القادة الذين نسمع او نقرأ عنهم.

ولاشجاعاً يُعَدُّ في عِداد الشجعان، او بَطَلاً يُذكَر مع الأبطال.

لا.. إنه فوق كل ذلك، وفوق كل تلك المستويات.

إنه: خليفة رسول اللّه.

إنه: أمير المؤمنين.

والحقَّ أقول: إن الكاتب والأديب، مهما فتَّش في معاجم اللغة وقواميس الأدب بحثاً عن كلمةٍ مناسبة يَصِفُ بها الامام ـ حقّ الوصف ـ فانه ينقلب فاشلاً... لأنه لايختار كلمة إلا وتصغر أمام عظمة الإمام، ولايلتقط جملة وصفية إلا وتتبخَّر أمام شخصية علي (عليه السّلام)!

ولكن... «ما لايُدرَكُ كلُّه، لايُترك كلُّه». فاذا كنا عاجزين عن بلوغ تلك القمّة الشاهقة والذروة الشامخة، فلايعني أن لانحومَ في سُفوحها وجوانبها، وأن لانَتلمَّسَ من رشحاتها وشذاها، وأن نُحرَم من خيراتها وبركاتها.

أيها القارىء الكريم: وهذه صفحاتٌ عظيمة ومتواضعة في وقت واحد:

عظيمة.. لأنها تتحدث عن اعظم العظماء بعد رسول اللّه محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ومتواضعة... لأنها كُتبت بقَلَمي وبَياني، وأين قَلَمي وبياني مِن بلوغ تلك العظمة التي أراد اللّهُ لها العظَمة والفخامة؟!

أين أنا مِن تلك؟!

* * *

وسوف ترى ـ أيها القارىء الكريم ـ أن مُعظم حديثي في هذا الكتاب، يدور حول جانب واحد من جوانب حياة الامام علي (عليه السّلام) وهو جانب الخلافة والامامة، ولا أتعرَّض للجوانب المشرقة

الأُخرى من حياته (عليه السّلام) إلاّ موجزاً مختصراً ، وذلك : لأن هدفي - في هذا الكتاب - هو تسليط الأضواء على جانب إمامته (عليه السّلام) وخلافته بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لأنّ هـذا الجانب صار - اكثر من غيره - هَدَفاً وغَرَضاً لأقلام اعداء الاسلام وَناشري الضَلال، حيث جعل البعض منهم يُضعِّف الأحاديث الواردة فيه، وطَفِق الآخر يُأوِّل، وبدأ الثالث يُنكر... وهكذا...

ولذلك اردتُ أن يكون لي شرف الكتابة عن هذا الجانب العظيم من العقيدة الاسلامية، حتى لايبقى لعدوٍّ مقال، ولا لمنحرف مجال.

ولسائلٍ أن يسأل: ما هي الفائدة من هذا البحث؟

ولماذا التحقيق والتنقيب في أحداثٍ طواها الزَمن؟

وما هي النتيجة التي يحصل عليها القارىء؟

الجواب: **أولاً**: إن هذا البحث (الامامة والخلافة) من البحوث العقائدية في الاسلام، فهو يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالحياة الفكرية الدينية لكل إنسان مسلم، والحديث عنه كالحديث عن التوحيد والنبوة والمعاد - لافرق في ذلك - فكما أن كل مُسلم يجب عليه أن يؤمن باللّه والنبي والآخرة، ويعتقد بذلك عن دليل وبُرهان، كذلك يجب على كل مسلم أن يعرف موضوع الامامة، ويعتقد بها عن دليل وبرهان.

بالاضافة الى ان قيمة الإنسان وسعادته - في الدنيا والآخرة - ترتبط بفكره وعقيدته... فاذا كانت العقيدة صحيحة ونزيهة، كانت حياة الانسان وضّاءة ومتلألأة، وكانت السعادة حَليفَه في الآخرة.

أمّا إذا كانت عقيدة الانسان منحرفة وفاسدة، فان حياته حياة شقاء وضلال، وليس له في الآخرة عند اللّه مقام كريم.

اذاً: هذا البحث (الامامة والخلافة) يرتبط بسعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

قال اللّه تعالى: ﴿إنَّ السَمعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئك كانَ عَنه مَسؤُلا﴾[١] فالانسان يُسأل ـ في الآخرة ـ عما اعتَقَده قي قَلبه، وأضمَرَه في فِكره.

وهذه الصفحات تهدف تصحيح عقيدة الانسان، وتأسيسها على ضوء الاسلام والقرآن.

ثانياً: إن الانسان المسلم يواجه ـ في بادىء امره ورُشده ـ مذاهب متعددة، فهناك المذاهب الأربعة، وهناك المذهب الشيعي الجعفري... وهذه المذاهب تختلف في بعض الامور العقائديّة ولايمكن للانسان ان يجمع بينهما في العقيدة، بل لابد أن يختار أحدهما، فمثلاً:

١ـ ترى بعض المسلمين يقول بأن اللّه جسم ويمكن رؤيته، وأنه ينزل على حمار له الى السماء الدنيا في ليلة عَرفة أو في كل ليلة جمعة!![٢].

وبعض المسلمين ـ وهم الشيعة ـ يقول بأن اللّه ليس بجسم وتستحيل رؤيته في الدنيا والآخرة، لأن القرآن يقول: ﴿لاتدركه الأبصار﴾ ويقول: ﴿لن تراني﴾ وهذا يدل على عدم الجسمية واستحالة الرؤية.

بالاضافة الى الادلّة الاخرى.

٢ـ ونجد بعض المسلمين يقول: إن عصر القيادة الاسلامية والخلافة والامامة قد انتهى، والآن تجب إطاعة الحكّام والملوك، حتى لو كانوا فَسَقة وفجرة ومنحرفين.

١ـ سورة الإسراء/الآية ٣٦.

٢ـ صحيح البخاري.

والبعض الآخر ـ وهم الشيعة ـ يقول: بأن الامامة حبل ممدود من بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الى هذا اليوم، وأنها ابتدأت بالامام علي (عليه السّلام) وهي الآن تتمثّل في الخليفة الثاني عشر الامام الغائب المهدي المنتظر (عجّل الله تعالى ظهوره) فهو الذي تجب طاعته ومُوالاته، ولايمكن ان تترك الامة الاسلامية بلاقيادة معصومة نزيهة.

فماذا يكون موقف الانسان المسلم تجاه هذه المذاهب المختلفة؟!

وماذا يعتقد؟!

طبعاً.. لابد له من مطالعة الأدلّة،ومعرفة الحق، واختياره والاعتقاد به.

وليس صحيحاً أن يقول ـ ماقاله المشركون المعاندون ـ: ﴿إنّا وَجَدنا آباءَنا على أُمّة وإنا على آثارهم مُقتدون﴾(١).

بل عليه أن يكون ممن قال الله تعالى عنهم: ﴿فَبَشِّر عبادِ الذين يَستمعونَ القَولَ فَيتّبعونَ احسَنَه﴾(٢).

ثالثاً: كما أن المذاهب الاسلامية مختلفة في كثير من العقائد الفرعية، فكذلك هي مختلفة في كثير من الأحكام الفقهية، فمثلاً: تجد بعض المذاهب يُجوِّز الصوم الواجب في السفر، وبعضها يُحرِّمه، ولابد للمسلم أن يختار أحد هذه المذاهب، حتى يَعمل وِفق آرائها، إذ لايمكنه ـ مثلاً ـ أن يصوم وأن لايصوم ـ في السفر ـ في وقت واحد.

ولكن: هل يختار احد المذاهب، بصورة عشوائية إرتجالية أو تقليدية، أم عليه أن يبحث عن الأفضل والأصحّ؟

طبعاً: يجب عليه ان يبحث عن الأفضل والأصح، محاولةً منه

١ـ سورة الزخرف/الآية ٤٣.

٢ـ سورة الزمر/الآية ٣٩.

للوصول الى حكم اللّه الواقعي، اذ أن الإختلاف الموجود بين المذاهب في الأحكام ليس من عند اللّه، لأن حكم اللّه سبحانه واحد، فلايمكن أن يُحرّم اللّه شيئاً ويُحلّله في وقت واحد، فلماذا هذا الاختلاف؟

الجواب: إن السبب هو أن بعض هذه المذاهب باطلة، ولذلك فان احكامها خاطئة بالتَبَع.

من هنا... فان على المسلم أن يدرس موضوع الامامة ـ بعيداً عن التعصّب والجهل ـ حتى يعرف الحق وأهله، ثمّ يأخذ احكام دينه من أهل الحق، حتى يطمئن الى أن هذا هو حكم اللّه تعالى في حقه.

رابعاً: إن أعداء الاسلام ـ وخاصّةً المستشرقين ـ شَوَّهوا تاريخ الاسلام وحرَّفوه، ومَزَجوا بين الصحيح والسقيم، والصِدق والكذب، فكان ضرورياً لكل مسلمٍ يشعر بالمسؤلية أن يتصدّى لهذا التحريف، ويبذل جُهده في سبيل تمييز الحق من الباطل، والصِدق من الكذب.

ومن جملة القضايا التي امتدّت إليها يد التلاعب والتزوير: مسألة الخلافة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لذلك لزم القيام بدراسة موضوعيّة عن هذه المسألة الاسلامية الخطيرة.

نعم.. هذه بعض الاموراالتي تدعو الى التحدُّث عن الخلافة والامامة، وتكشف عن ضرورة معرفتها والإطّلاع على جوانبها وأبعادها المختلفة.

وإنني أتصورّ أن القارىء سوف يخرج من هذا الكتاب، مُرتاح البال، نزيه الفِكر، نظيف القلب، صافي الذهن مِن كل شك او إشكال...

هذا إذا كان مُنصِفاً مُثقَّفاً مُتحرّراً من قيود العصَبية الجاهلية والأهواء، أمّا اذا كان غير ذلك فأمره الى اللّه..!

وما توفيقي إلاّ باللّه، عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

١٣٩٩/٦/١٥ هـ

المدخل

كيف يَتمُّ تعيينُ الخليفة؟

هذا هو الموضوع الذي يجب ان نبحث عنه ونعرفه، في بداية الحديث عن الخلافة والامامة.

كيف يتم تعيين الخليفة؟

مِن عند اللّه ورسوله؟

أم بانتخاب الناس؟

سؤال خطير ومُهم جداً، ومن خلال الاجابة عليه، نعرف هويَّة الذين جلسوا على كرسي الخلافة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأنهم كانوا على حق أو باطل!

الجواب: عندما يقوم الانسان بنظرة شاملة في الآيات القرآنية ـ التي تتعرّض لموضوع الخلافة كمسألة عقائدية هامَّة ـ يجد أن تعيين الخليفة يَتمُ مِن قِبَل اللّه ورسوله فقط... لا بانتخاب المسلمين.

والآن... اليك نماذج من تلك الآيات مع تفسيرٍ موجزٍ لها، حتى

تقرأها بنفسك وتعرف الحقيقة:

١ـ قال تعالى: ﴿وإذ ابتَلى إبراهيمَ ربُّهُ بِكلماتٍ فَأتَمَّهُنَّ، قال: إني جاعِلُكَ للناسِ إماماً قال: وَمِن ذريّتي قال: لاينالُ عَهدي الظالمين﴾[١].

التفسير:

لقد ذكر اللّه سبحانه ـ في هذه الآية ـ أنه إمتحن واختبر نبيَّه ابراهيم (عليه السّلام) ببعض الأوامر والتكاليف ـ كذبحه ولده ـ فوَجده وفيّاً أميناً.

ولم يكن اختبار اللّه لابراهيم، نابعاً عن عدم عِلمه سبحانه بمدى إيمان خليله، كلا... وإنما جرت سُنَّة اللّه في خَلقه على ذلك، يمتحنهم ثم يُثيبهم على الوفاء والاستقامة والطاعة.

«قال» اللّه تعالى:

﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾ هذه بشارة من اللّه تعالى لابراهيم (عليه السّلام) بالتفضُّل عليه بالامامة.

وقد كَشَفَ قولُه تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ عن أن تعيين الامام لايكون إلا بجعل من اللّه تعالى فقط، وأن اللّه وحده هو الذي يتولّى هذا «الجَعل» ولهذا قال: «إني جاعلك».

ويؤيِّد هذا أن ابراهيم (عليه السّلام) طَلَب من اللّه تعالى أن يجعل أئمةً من ذُريّته ﴿قال: وَمِن ذريّتي﴾.

فاذا كانت الامامة بالجعل من اللّه، احتاجتِ ـ طبعاً ـ إلى النَصّ منه.

ولفظ «الامام» يُستعمل في مَعنيين:

الأول: في النبي، ومرتبتُه أعلى مراتب الامامة.

١ـ سورة البقرة/الآية ١٢٤.

الثاني: في وصيّ النبي وهو الخليفة(١).

و«الامام» بمعنى النبي، يحتاج الى النَص من اللّه تعالى بواسطة جبرئيل الأمين.

و«الامام» بمعنى الخليفة، يحتاج الى النَص من اللّه تعالى، على لسان نبيّه الكريم.

هذا... وقد استدلَّ جمع من المفسّرين بقوله تعالى: ﴿لاينالُ عهدي الظالمين﴾ على وجوب العِصمة في النبي والخليفة، ووجه الدلالة: أن اللّه قد بيَّن ـ بصراحة ـ أنه لايعهد بالامامة الى ظالم، والظالم هو من ارتكب معصيةً في حياته، مهما كان نوعها وحَجمها، حتى لو تاب بعدها!.

ومن الواضح أن اعظم الظُلم واقبحه هو الكفر والشرك باللّه العظيم كما قال تعالى: ﴿إن الشركَ لَظُلمٌ عظيم﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾(٣).

قال الفخر الرازي ـ وهو من علماء الشافعية ـ في تفسير الآية: إن قوله تعالى: ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾ جواب لقوله ـ اي: ابراهيم ـ: ﴿ومِن ذريّتي﴾ وقوله: ﴿ومن ذريَّتي﴾ طلبٌ للامامة التي ذكرها اللّه تعالى، فوجب أن يكون المراد بهذا العهد هي الامامة، ليكون الجواب مطابقاً للسؤال، فتصير الآية كأنه تعالى قال: لاتنال الإمامةُ الظالمين. وكل عاصٍ ظالمٌ لنفسه، فكانت الآية دالّة على ما قلناه(٤).

١ـ وقد يُستعمل إستعمالاً لُغوياً، فيُطلق على القائد الديني وإمام الجماعة، باعتباره يَؤمُّ الناس ويتقدمهم في القيادة أو الصلاة. وليس مقصودنا ـ هنا ـ الاستعمال اللغوي.

٢ـ سورة لقمان/الآية ١٣.

٣ـ سورة البقرة/الآية ٢٥٤.

٤ـ تفسير الرازي في تفسير الآية.

وهكذا اكَّد القرآن الكريم أن صدور المعصيـة يحوُل دون الوصول الى مرتبة الامامة والخلافة، ولو بعد التوبة.

وتسأل: أليس الاسلام يجُبُّ ما قبله؟

والجواب: بلى إن الاسلام يجبّ[1] ما قبله من الذنوب التي صدرت من الانسان حال كفره وشركه.

ولكن بما أنّ الامامة منصب خطير ورتبة الٰهيَّة عالية فقد شرط اللّه تعالى لمن يتولّى هذا المنصب السلامة من الظلم والشرك مطلقا، سواء قبل الاسلام ام بعده.

فالتوبة من الشرك تغسل الخطيئة، ولكنها لاتمنح صاحبها صلاحية الامامة بأيّ حال.

ويدلّ على هذا المعنى: الآية الكريمة المذكورة.

تأمَّل قوله تعالى:

﴿إنّي جاعلك للناس إماماً

قال: ومن ذرّيّتي؟

قال: لاينال عهدي الظالمين﴾.

فهل سأل ابراهيم (عليه السّلام) من ربّه الامامة لذريّته حال كفرهم وظلمهم؟!

هل توافق على هذا الرأي؟

طبعاً: لا، لأنَّ الخليل كان يعلم جيّداً بأن المشرك والظالم لايكون خليفة اللّه في الأرض ولاينال درجة الامامة.

فلابدَّ أنه سأل الامامة لذريَّته حال ايمانهم وصلاحهم واستقامتهم.

١ـ الجَبّ: القطع.

اذاً: ما معنى جواب الله سبحانه لخليله: ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾؟

اذا قلنا: إن معناه: لاعهد بالامامة الى المشركين.. فلاتَطابقَ بين السؤال والجواب.

فلابدَّ أن يكون المعنى: انّي لا اعهد بالامامة الى من سبق منه الظلم والشرك، حتى لو تـاب بعد ذلك ، تأكيداً منه سبحانه على أن الظُلم مطلقاً ـ قبل التوبة وبعدها ـ ينافي العهد والامامة.

والخلاصة: ان الآية الكريمة تضمّنت امرين:

الأول: ان الامامة عَهدٌ إلهي ومَنصب ربّاني، أمرُه بيد اللّه تعالى يختاره لمن يريد.

الثاني: ان الامامة مرتبة عالية ودرجة رفيعة لايليق بها الظالم، لاحال ظلمه ولا بعده.

هذا... وقد شاء اللّه لسيدنا وإمـامنا علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) ان ينشأ في حِجر النبوة والطهارة، وأن يتربّى في حِضن الايمان والرسالة، ويتغذّى بغذاء التوحيد والهداية، وأن لايسجد لصنم قط... بل يُنزِّل الأصنام مِن على عروشها ويُلقي بها تحت الأقدام.

بينما نشأ غير الامام، في حِجر الشرك والرِجس وعبادةِ الأصنام، وانغَمسَ في ارجاس الجاهلية الى الآذان، ولم ينطق بالشهادتين إلا بعد انقضاء ثُلثي عُمره، وبعد أن شبعت الاصنام منه ومن سجوده لها..

والسؤال الآن: مَن هو الجدير بالامامة:

مَن لم يعص اللّهَ طَرفة عَين، مدى حياته، لاصغيراً ولاكبيراً؟

أم الذي عصى اللّهَ وعَبَدَ غيره عُمراً كثيراً ثم تاب بعد ذلك؟

الجواب: طبعاً... مَن لم يعصِ اللّه طرفة عين، افضل مِن غيره، بل هو

المتعيَّن دون سواه.

وفي هذا المجال روى عبدالله بن مسعود عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «أنا دعوة أبي: ابراهيم».

قلنا: يارسول اللّه كيف صرتَ دعوةَ ابيك ابراهيم؟

قال: أوحى اللّه تعالى الى ابراهيم: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ فاستخفّ ابراهيمَ الفَرحُ قال: يارب ومِن ذريّتي ائمة مثلي؟

فأوحى اللّه تعالى اليه: أنْ ياابراهيم إني لاأُعطيك عهداً لاأفي به.

قال: يارب ما العهد الذي لاتفي به؟

قال [اللّه]: لاأُعطيك الظالم من ذُرّيتك عهداً.

قال ابراهيم: يارب ومَن الظالم من ذريّتي؟

قال تعالى: مَن يسجد للصنم من دوني يعبدها.

قال ابراهيم: ﴿واجنُبني وبَنيَّ أن نعبد الأصنام، رَبّ إنهن أضللنَ كثيراً من الناس، فَمن تبعني فانه منّي، ومَن عصاني فانك غفور رحيم﴾.

ثم قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): فانتهت الدعوة إليَّ وإلى علي، لم يسجد احدنا لصنمٍ قط، فاتَّخَذني نبيّاً واتَّخذ علياً وصيّاً[١].

٢ـ قال عزّوجلّ: ﴿ياداود إنّا جَعلناكَ خليفة في الأرض﴾[٢].

التفسير:

أشار اللّه تعالى الى أن تعيين الخليفة خاصٌّ به سبحانه، وذلك للخطورة التي تحيط بهذا المنصب، والأهميّة التي يتمتَّع بها، فقال تعالى

١ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص١٤٣.

٢ـ سورة ص/الآية ٢٦.

مخاطباً نَبيَّه داود (عليه السّلام): ﴿ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض﴾.

ولايخفى عليك ـ أيها القارى الكريم ـ ما في قوله تعالى ﴿إنّا﴾ و﴿جعلناك﴾ من التأكيد، حيث نَسَب التعيين الى ذاته المقدسة.

والخليفة ـ في اصل معناه اللُّغوي ـ بمعنى الذي يقوم مقام غيره ويخلفه، كما قال تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي﴾.

وفي الاصطلاح الديني، تُستعمل في معنيين:

الأول: في النبي، باعتباره خليفة اللّه في الأرض.

الثاني: في الإمام، لِكونه خليفةُ خليفةِ اللّه ـ أي خليفة النبي ـ وتعيين الخليفة ـ بكلا المعنيين ـ خاصٌ باللّه وحده.

٣ـ قال جلَّ جلالهُ: ﴿وما كانَ لمؤمنٍ ولامؤمنةٍ إذا قضى اللّهُ ورسولُهُ أمراً أن يكونَ لَهُم الخِيرَة من أمرِهم، ومَن يَعصِ اللّه ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مُبِيناً﴾(١).

التفسير:

ذَكرَ المفسِّرون أن هذه الآية نزلت في قضية زينب بنت جحش ـ إبنة عمَّة النبي ـ لما خَطَبَها النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لزيد بن حارثة، فَرفضت، لأن زيداً ليس لها بكفؤ، فأمر اللّهُ رسوله أن يأمرها بقبول الزواج من زيد، فوافقت، إطاعة لأمر اللّه ورسوله.

هذه خلاصة سبب نزول الآية، ولكن معناها ومفهومها عامٌ يسري ويجري الى ما نحن فيه، يعني: ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لو عيَّن خليفة من بعده، كان عَمَله هذا بأمر من اللّه واختيار ووَحي منه سبحانه،

١ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٦.

لأن النبي ﴿ما يَنطِقُ عن الهَوى، إن هو إلا وَحيٌ يُوحى﴾(١).

واذا كان هذا التعيين من النبي، بأمر من اللّه واختيار منه، وَجَب على جميع المسلمين أن يعترفوا به ويخضعوا له، وليست لهم صلاحية إبداء الرأي في ذلك، لأنه ﴿ما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى اللّهُ ورسولُه امراً أن يكون لهم الخِيرَة﴾.

﴿ومَن يعص اللّه﴾ فيما قضى به وفيمن اختاره ﴿ورسوله﴾ فيما اَمَر وبلَّغ عنه.

﴿فقد ضلّ ضَلالاً مُبينا﴾ أي: إنحرف عن صراط الحق، وتاه في غياهب الباطل وظلمات الضلال.

والسؤال الآن: هل عيَّن النبي خليفة لنفسه؟

الجواب: نعم... إن التاريخ يؤكد ان النبي لم يُفارق الحياة إلا بعد أن عيَّن الإمام علي بن ابي طالب خليفةلنفسه. وسيأتي التفصيل في الصفحات القادمة.

٤ـ قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يخلُقُ مايَشاءُ ويَختار، ما كانَ لَهُم الخِيرَة، سُبحانَ اللّه وتعالى عمّا يُشركون﴾(٢).

التفسير:

ذَكَر جمعٌ من المفسّرين ان هذه الآية نزلت في الردّ على بعض المشركين الذين قالوا: لماذا لم يُرسل اللّه غير هذا الرسولَ؟ و﴿قالوا: لولا

١ـ سورة النجم/الآية ٣و٤.

٢ـ سورة القصص/الآية ٦٨.

نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَريتَينِ عَظيم﴾[١] واختاروا الوليد بن المغيرة من مكة، وعروةَ بن مسعود الثَقَفي من الطائف. فردَّ اللّه عليهم ـ بهذه الآية ـ أن الخلق كما هو بيد اللّه سبحانه كذلك تعيين النبي وإرسال الرسول بيد اللّه وحده فقط.

وكما أن تعيين النبي بيد اللّه، كذلك تعيين خليفة النبي، لأنه الذي يقوم بدور النبي، وتنتقل اليه صلاحيات النبي، فهو كالنبي إلا فيما خَرَجَ بالدليل، كالنبوة والخصائص.

والجدير بالذكر ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) استدل بهذه الآية على امر الخلافة:

فقد روي عن انس بن مالك قال: سألتُ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن هذه الآية؟

فقال: إن اللّه خَلَقَ آدم من الطين، كيف يشاء ويختار، وإن اللّه تعالى اختارني واهل بيتي، على جميع الخلق، فانتَجَبنا[٢] فجعلني الرسول، وجعل عليَّ بن ابي طالب: الوصي، ثم قال تعالى: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: ما جعلتُ للعباد أن يختاروا، ولكن أختارُ ما أشاء.

ثم قال النبي: فأنا وأهل بيتي صَفوتُه وخيرتُه من خَلقه... الى آخر الحديث[٣].

١ـ سورة الزخرف/الآية ٣١.

٢ـ إنتجبنا أي: إصطفانا وانتخبنا.

٣ـ كتاب المستخرَج من التفاسير الاثني عشر للحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي/غاية المرام للعلامة البحراني: ج٢ ص٤٠٦.

٥ـ قال عزّوجلّ: ﴿وجَعَلناهُم أئمةً يهدُونَ بأمرنا﴾[١].

التفسير:

أشار اللّه سبحانه ـ في هذه الآية ـ الى انبيائه: ابراهيم واسحاق ويعقوب ـ الذين مرَّ ذِكرهم في الآية التي قبلها ـ بأنه تعالى جعلهم أئمة يُقتدى بهم في أقوالهم وافعالهم «يهدون» الخَلق والبَشر الى الحق والصواب ﴿بأمرنا﴾.

وهكذا يظهر لنا أن تعيين الأئمة بيد اللّه تعالى وحده.

٦ـ قال سبحانه: ﴿وَجَعلنا منهُم أئمةً يَهدوُنَ بأمرنا﴾[٢].

التفسير:

هذه الآية تشبه الآية السابقة في المفهوم والمعنى، وهي تأكيد بعد تأكيد على أن اختيار الإمام يكون من عند اللّه وحده، وهذا ما يُشير اليه قوله تعالى ﴿جعلنا﴾ و﴿بأمرنا﴾.

٧ـ قال عزّوجلّ: ﴿ونُريدُ أن نَمُنَّ على الذينَ استُضعِفُوا في الأرض ونَجعلَهم ائمةً ونجعَلَهم الوارثين﴾[٣].

هذا كلام اللّه، يبعث روح الأمَل في المستضعفين والمظلومين، بالخلاص من أيدي الظالمين، وزوال حكومة الجبّارين.

يقول سبحانه: ﴿ونجعلهم ائمة﴾ وهذا تأكيد مكرّر منه تعالى على أن

١ـ سورة الأنبياء/الآية ٧٣.

٢ـ سورة السجدة/الآية ٢٤.

٣ـ سورة القصص/الآية ٥.

اختيار الامام خاص به سبحانه ولايكون إلا مِن عنده، وضمير «هُم» يعود الى المستضعفين.

وقد وردت احاديث كثيرة تؤكّد أن المقصود من (المستضعفين) هم اهل البيت (عليهم السّلام) الذين اضطُهِدوا في الحياة واستُضعِفوا من قِبَل الحكّام الجائرين.

فقد «نظر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الى علي وفاطمة والحسن والحسين، فبكى وقال: أنتم المستضعَفون من بعدي»[١].

وتقول التفاسير الصحيحة: إن الآية تشير الى الامام المهدي الغائب (عليه السّلام) وظهورهِ ليملأ الأرض قِسطاً وعدلا، بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً، ويملك الأرضَ شرقاً وغرباً، ويُقيم حكم اللّه في كل شِبرٍ من الكرة الأرضية، بعد أن يقضي على كل الحكّام الظالمين[٢].

ايها القارىء الكريم: هذه سبع آيات مِن القرآن الحكيم، يُستدلّ بها على حقيقةٍ واحدة وهي: ان تعيين النبي وخليفته انما هو بيد اللّه وحده، وأن البشر ليست لهم صلاحية الإنتخاب ولا اهليَّة التعيين، وأن القضية فوق مستوى المخلوقين.

١ـ البرهان في تفسير القرآن: ج٣ ص٢١٧.

٢ـ المصدر السابق/لمزيد الاطلاع عن الامام المهدي (عليه السّلام) راجع كتاب الامام المهدي من المهد الى الظهور للقزويني.

الأدلّة العَقلية

واذا عَرَضنا مسأله (انتخاب الناس للخليفة) على العقل رأيناه يمنع من ذلك ولايسمح به، لعدّة امور:

اوّلاً: عدم صلاحية الانسان لانتخاب الأفراد، لعدم معرفته بحقائقهم وما يضمرونه في قلوبهم، فكم من الأفراد الذين يتظاهرون بالايمان والزهد والصلاح، لكسب ثقة الناس والتوصّل الى اهدافهم وأغراضهم، وعندما يَصِلون الى اهدافهم واهوائهم ينسلخون من الدين إنسلاخ الحيَّة مِن جِلدها!

والتاريخ مليىء بالشواهد على ما نقول، واليك شاهداً واحداً على ذلك:

عبدالملك بن مروان: احد الحكام الامويين، كان ـ قبل ولايته ـ يُجالس العلماء ويحفظ الأحاديث ويتعبَّد في المسجد ويقرأ القرآن، ولمّا انتخبوه للرئاسة، كان القرآن بيده فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك ـ أو ـ هذا فراق بيني وبينك، وكانت اول بادرة صدرت منه ـ وتُعتبر منهاجاً لسيرته ـ أنه نهى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: لايأمرني

احد بتقوى اللّه إلا ضربتُ عُنقه(١)و(٢).

ثم انهمَكَ في المنكرات وانغمس في الشهوات، وجعل يقتل الناس بلاورع، وأرسل جيشاً ساحقاً ـ بقيادة الجلاّد المعروف: الحجّاج بن يوسف الثقفي ـ من الشام الى مكة المكرمة، لحرب عبداللّه بن الزبير، وحاصروا المسجد الحرام اكثر من ستة اشهر، وكان الحجّاج يرمي الكعبة بالمنجنِيق(٣) من فوق جبل ابي قُبيس، حتى اقتحموا المسجد الحرام، وظلُّوا يقتلون الناس فيه ثلاثة أيام ـ مع العِلم أن المسجد حَرَمٌ لايجوز القتال فيه ـ وهَدَموا الكعبة، واَوقدوا النيران بين احجارها واستارها، مما لم يحدث مثله في الاسلام(٤).

هذا شاهدٌ واحد من مئات الشواهد التي تؤكّد على عدم صلاحية الناس لانتخاب الخليفة، لعدم معرفتهم بحقيقته وباطنه.

ثانياً: عدم معرفة الناس بعاقبة الأفراد ومايؤول اليه أمرهم من خير وشر، فكم من الأفراد الذين كانوا مؤمنين صالحين في بداية حياتهم، ثم انقلبوا وتغيَّروا وسلكوا طريق الضلال والانحراف(٥).

وهذا القرآن الكريم يُحدِّثنا عن النبي موسى (عليه السّلام) عندما

١ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٤٨، الامام الصادق والمذاهب الاربعة: ج١ ص١٠٩.

٢ـ فصار عبدالملك مصداقاً كاملاً لقوله تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق اللّه أخَذته العزّة بالإثم فحسبُه جهنم ولبئس المهاد﴾.

٣ـ المنجنيق: آلة حربية تُرمى بها القذائف.

٤ـ راجع تاريخ الكامل لابن الاثير ووَفَيات الأعيان لابن خلكان وغيرهما من التواريخ.

٥ـ الفرق بين هذا الدليل والدليل الأول هو ان الاول يشير الى جهل الناس بحقائق الأفراد وبواطنهم حتى لوتظاهروا بالايمان، وهذا الثاني يشير الى جهل الناس بعاقبة الأفراد، حتى لو كانوا مؤمنين حقاً فِعلاً.

اختار من قومه سبعين رجلاً ممّن يثق بهم ويعتمد عليهم ويعتبرهم افضل بني اسرائيل، وذَهب بهم الى طورسيناء، حيث سمعوا كلام اللّه وخطابَه الى موسى، ولكنهم ـ بالرغم من كل ذلك ـ إنحرفوا في نهاية الأمر وطلبوا من موسى ما لايجوز طلبه، فقالوا: ﴿ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة﴾[١].

وكان طلبُهم هذا، تجرّياً على اللّه وخروجاً عن الدين ولهذا: ﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾[٢].

فاذا كان الأمر هكذا بالنسبة الى نبي اللّه موسى (عليه السّلام) فكيف يصح لسائر الناس أن يختاروا خليفةً لايعلمون مستقبلَة وعاقبته؟

وفي هذا المجال، ارى مُناسباً أن اذكر جانباً من الحوار الذي دار بين الامام القائم المهدي (عليه السّلام) وأحد شيعته، حول هذه المسألة:

فقد سأله سعد بن عثمان القُمّي ـ فيما سأله ـ قائلاً: أخبرني يا مولاي عن العِلّة التي تَمنع القوم من اختيار الامام بأنفسهم؟

فقال (عليه السّلام): مُصلح أو مفسد؟[٣].

فقلت: مُصلح.

قال: هل يجوز أن تقع خِيرتُهم على المفسِد، بعد أن لايعلم احدُهم ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟[٤].

قلت: بلى.

١ـ سورة البقرة/الآية ٥٥.

٢ـ سورة النساء/الآية ١٥٣.

٣ـ أي: يختاروا إماماً مؤمناً أو منحرفاً؟

٤ـ أي: هل يمكن أن يختاروا المنحرفَ ظنّاً منهم أنه مؤمن؟

قال: فهي...[١] أيدتُها لك ببرهان يَقبل ذلك عقلُك.

قلت: نعم.

.... الى أن قال (عليه السّلام): فهذا موسى كليمُ اللّه ـ مع وُفور عقله وكمال عِلمه ونزولِ الوحي عليه ـ إختار مِن أعيان قومه ووُجوه عسكره، لميقات ربّه سبعين رجلاً، ممن لم يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم، فوقع خِيرتُه على المنافق.

قال اللّه عزّوجلّ: ﴿واختارَ موسى قومَه سَبعينَ رَجُلاً لميقاتنا﴾[٢].

فلما وَجدنا إختيار مَن قد اصطفاه اللّه للنبوة، واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، عَلمنا أن لاإختيار لمن لايعلم ما تخفي الصدور، وما تُكنّ الضمائر وينصرف عنه السرائر،وأن لاخَطر[٣] لاختيار المهاجرين والأنصار...»[٤].

وهنا سؤال يقول: كيف وقع اختيار النبي موسى (عليه السّلام) على المنافقين، مع العِلم أنه النبي المعصوم؟ وكيف خفي عليه حالهم؟

الأجوبة متعددة... نذكر منها إثنين.

الأول: إن هؤلاء لم يكونوا منافقين بالفعل، بل انحرفوا بعد ذلك وصاروا منافقين. فقوله (عليه السّلام): ﴿وقع خيرتُه على المنافقين﴾ معناه: المنافق بالمآل والنهاية، لاحين الإختيار.

الثاني: يقول علماء اصول الدين: إن الِانبياء يُعاملون الناس على

١ـ أي: فهذه هي العلّة في عدم جواز الانتخاب.

٢ـ سورة الأعراف/الآية ١٥٤.

٣ـ أي: لاقيمة ولا اهمية.

٤ـ كتاب الإحتجاج باب إحتجاج الحجة القائم (عليه السّلام).

ظواهرهم، وليسوا مكلَّفين بمعاملة الناس حَسب بواطنهم وسرائرهم، وقد كان اولئك السَبعون،من ظاهري الخير والصلاح، وكانوا ـ في ظاهرهم ـ خير من في بني اسرائيل، ولهذا اختارهم موسى لذلك، حتى يطمئنَّ بنو اسرائيل الى اقوالهم اذا رجعوا اليهم.

من هنا... فلامنافاة بين نبوّة موسى (عليه السّلام) وعصمته، وبين هذا الإختيار، لأنه وقع على ضوء الظواهر، لا البواطن والسرائر.

وهذا ايضاً مما يدل على ان مطلق إختيار النبي والامام وانتخابهما، يجب أن يكون من عند اللّه فقط.

وعلى هذا الأساس... كان اللّه تعالى يختار الأوصياء لأنبيائه، وما كان احدٌ من الانبياء يتصدّى لهذا الانتخاب، لأن الأمر خاصٌ باللّه تعالى وحده.

ثالثاً: لأن تخويل تعيين الخليفة الى الناس، معناه إفساح المجال لوصول المنافقين والمنحرفين الى كرسي الحكم، كما حدث ذلك ايام الامويين والعباسيين!

رابعاً: لأنا نرى ـ بأعيننا ـ فَشَلَ الانتخابات التي تجري حالياً في الدول الديمقراطية، إذ انها تزرع الأحقاد والتفرقة بين الناس وتؤدّي الى تَشكّل التكتلات والاحزاب، وبَذلِ الطاقات ضد هذا وذاك، والمواجهة العنيفة احياناً.

وبعد هذا كله... ما أن تنقضي سنوات الرئاسة إلا ويستعد الشعب لانتخاب رئيس آخر، بعد أن ظهرت له نقاط الضعف أو الانحراف في الرئيس السابق.

وقد رأينا في زماننا هذا ـ في بعض الدول ـ أن الشعب انتخب رئيساً

له وهتَف باسمه،وبعد مرور سنة وأيام، خرج الشعب ينادي بعزله وسقوطه ويطالب بمحاكمته، بعد ان ظهرت له نقاط الضعف والانحراف في الرئيس.

وهكذا الحال اذا كان تعيين الخليفة ايضاً بيد الناس.

أمّا لو كان تعيين الخليفة بيد اللّه تعالى، فان الجميع يُسلِّمون له، ويخضعون لحكمه، لأنه مُعيَّن من عند اللّه، وجميع الناس يعلمون ان اللّه لايُعيِّن إلا الصالح المؤمن اللائق، وعند ذلك لايبقى أي مجال لأي إشكال أو معارضة أو نقد.

خامساً: ان الانتخاب طالما يؤدّي بالرئيس المنتَخب الى الاستبداد بالحكم وعدم إفساح المجال لغيره، واراقة الدماء من اجل ذلك.

وقدتكرر هذا في التاريخ...في عهد الامويين والعباسيين والسلاطين، فقد استبدّ كل واحد منهم بالحكم... ولّما احسّ بالوفاة والهلاك، اوصى بذلك الى ابنه.

وهذا ما نشاهده فعلاً في كثير من الدول التي تدَّعي الجمهورية والديمقراطية... فعلى الرغم من ان الدستور ـ في تلك الدول ـ ينصّ بأن تكون فترة الرئاسة اربع سنوات ـ مثلاً ـ، فان الرئيس يستبدّ بالحكم سنوات طويلة، ومن اجل تركيز حكومته يستخدم العنف والقساوة، ويزجّ بالمعارضين في السجون والمعتقلات، ويقتل هذا ويُعدم ذاك... ويستمر في الحكم والطغيان، حتى يموت او يسقط بثورة مسلَّحة ضدّه.

فهل يوافق العقل والمنطق على انتخاب الخليفة مع ما ينطوي عليه من الأخطار واسوء الاحتمالات؟!

سادساً ـ اذا جاز تفويض انتخاب الخليفة الى الناس، لَزِم أن يجوز

إنتخاب النبي أيضاً، لأن مسؤلية النبي والامام واحدة، فكلاهما مأموران بالتبليغ وهداية الناس وإرشادهم، وكلاهما مسؤلان عن حفظ الدين والدفاع عن الشريعة والاسلام.

فان قال قائل: هناك فرق بين النبي والخليفة وهو أن النبي تَتلقّى منه الأحكام والمصالح الشرعية فيجب أن يكون مختاراً من اللّه تعالى، بينما الخليفة ليس كذلك.

قلنا: لافرق من هذا الجانب، فالنبي والخليفة يشتركان في بيان الأحكام والمصالح الشرعية والمحافظة على الدين. فاذا رفَضَ العقلُ ان تكون النبوة بالانتخاب، رفَضَ أن تكون الخلافة بالانتخاب ايضاً.

أيها القارىء الكريم: هذه ستة ادلة من العقل والفطرة، على عدم صحة تفويض انتخاب الخليفة الى الناس. وإن اردتَ المزيد من ذلك فراجع كتاب الألفَين للعلامة الحلّي (رضوان اللّه عليه) فقد ذَكَر ٢٩ دليلاً من العقل والفطرة، على ذلك.

الخلافة وآية الشورى

يقول البعض: إن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) جعل امر الخلافة شورى بين المسلمين.

ويستدلّ هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وأمرُهُم شُورى بَينهم﴾[1] وقوله عزّوجل: ﴿وَشَاوِرهم في الأمر﴾[2].

فهل صحيح هذا الاستدلال؟ وما هو الجواب على الآيتين؟

الجواب: عند مراجعة كُتب التفسير، نجد أن هاتين الآيتين لاترتبطان بالخلافة إطلاقاً:

أمّا قوله تعالى: ﴿وأمرُهُم شُورى بينهم﴾ فقد ذكر المفسّرون أنها ترتبط بالتشاور والتفاوض حول الأُمور الحيويّة والقضايا التي لم يَرد فيها نَصٌ مِن اللّه ورسوله، فمثلاً: جُعلت الشورى بين المسلمين في أُمور السِلم والحرب والمعاهدات الدولية والمصالح العامة والسفر والزواج وما شابه ذلك.

1ـ سورة الشورى/الآية ٣٨.

2ـ سورة آل عمران/الآية ١٥٩.

فالمسلمون ـ مثلاً ـ يتشاورون حول عَقد إتفاقية صداقة مع الدولة الفلانية، وحول شراء الأسلحة من الحكومة الفلانية، وحول قطع العلاقات مع الدولة الفلانية ـ الكافرة طبعاً ـ وهكذا...

والانسان ـ مثلاً ـ تُستحب له المشاورة في امر زواجه: مَن يتزوَّج؟ ممّن يتزوّج؟ وهكذا في امر سَفره: أين يسافر؟ ومتى يُسافر؟ ومَن يصطحب معه في سفره، وهكذا في كل قضية من قضايا الحياة التي لم يَرِد فيها نَصٌ من اللّه ورسوله.

أمّا بالنسبة الى القضايا الدينية والأُمور الاسلامية ـ التي وردت فيها النصوص الشرعية ـ فلامجال للشورى ولا لإبداء الرأي فيها، فمثلاً: لايحقّ للانسان أن يُبدي رأيه في عدد ركعات الصلاة، وليست له صلاحية الزيادة والنقصان في مُوجبات الوضوء ومُفطرات الصوم وفي حلال اللّه وحرامه.

لماذا؟

لأنها قضايا شرعية خاصّة باللّه وحده، والرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يقوم بدَور المبلِّغ والمنفِّذ لأوامر اللّه واحكامه، قال تعالى: ﴿إنما انتَ مُنذِر﴾[1].

ولذلك لم يكن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يستشير اصحابه في الواجبات الشرعية والأحكام السماويّة، بل كان يأمرهم بها من دون إستشارة أو استئذان.

ومسألة تعيين الخليفة من المسائل التي ورَد النَص فيها من عند اللّه تعالى ـ كما ستعرف ذلك قريباً ـ ولذلك فلايحق لأحد ان يُبدي رأيه فيها.

١ـ سورة الرعد/الآية ٧.

إذاً: هذه الآية ـ وهي آية الشورى ـ لاترتبط بالخلافة إطلاقاً.

وأمّا الآية الثانية ﴿وَشَاوِرهُم في الأمر﴾ فالجواب عنها كالجواب عن الآية الأُولى، أي: انها عامّة للامور والقضايا الحيوية التي لم يَرد فيها نَص من اللّه تعالى، ولاترتبط بالخلافة بأي وجه.

بالاضافة الى أن الفخر الرازي ـ وهومن اكابر علماء الشافعية ـ قد ذكر ان هذه الآية خاصة بالحرب فقط، أي: ان اللّه تعالى امَر نبيَّه الكريم بمشورة اصحابه في قضايا الحرب. واستَدلَّ الرازي بأن الألف واللام في ﴿الأمر﴾ للعهد، والمعهود في هذه الآية هي الحرب ولقاء العدو[1].

فالنتيجة: ان هذه الآية أيضاً لاترتبط بالخلافة.

ومع صَرف النَظر عن تفسير هاتين الآيتين فان من المستحيل أن يأمر اللّه بالمشاورة في مسألة الخلافة، لما ذكرنا من الآيات التي تؤكّد على أن تعيين الخليفة خاص باللّه وحده، ولما سبق من أن الانسان لايصلح لذلك لأن المسألة فوق مستواه.

١ـ التفسير الكبير للرازي، في تفسير الآية.

القيادة ضرورة إجتماعيّة

هل صحيح أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فارق الحياة ولم يُعيّن خليفة لنفسه؟

الجواب: كلا.. إن هذا خطأ وافتراء.!

سؤال: كيف ولماذا؟

الجواب: للأُمور التالية:

أولاً: لأن القيادة ضرورة اجتماعية، والخلافة ضرورة حَيَويّة، فبها يتحقق الاستقرار والاطمينان في المجتمع، وبدونها يعُمُّ الفوضى والاضطراب.

وأهمية القيادة وعظمتها تكمن في رجل القيادة وهو الخليفة.

إن عدم تعيين النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) للخليفة، معناه إفساح المجال لإثارة الفتن وإشاعة الفوضى.. فهل يصح لنا أن نقول: إن النبي دفع الأُمة الاسلامية ـ العزيزة عليه ـ الى مسالك الفوضى والاضطراب وطريق الفتنة والضياع؟؟

ثانياً: لأن الاسلام دين كامل، بدليل قوله تعالى: ﴿اليومَ أكملتُ لكم

دِينَكم وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكم الاسلام ديناً﴾(١).

ومعنى هذه الآية: ان الاسلام تطرّق الى جميع جوانب حياة الانسان ـ الجزئية والكلية ـ وما تركَ جانباً واحداً منها يَمرُّ بلاحكم شرعي وقانون ديني...

وقد روي عن الامام محمد الباقر (عليه السّلام) انه قال: «إنّ اللّه لم يَدَع شيئاً تحتاج اليه الأُمَّة الى يوم القيامة، إلاّ انزله في كتابه، وبيَّنه لرسوله، وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه».

ومن الواضح أن الخلافة والقيادة من أهم جوانب الحياة وأخطرها، لأن القيادة اذا صَلحت صلح العالَم والمجتمع، واذا فَسَدَت فَسَد العالَم والمجتمع. فهل يُعقل أن يكون الاسلام قد أهملَ هذا الجانب الهام والخطير في حياة الانسان؟؟

ثالثاً: لأن اللّه تعالى قد أوجبَ الوصيّة ـ كما قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عليكم إذا حَضَرَ أحَدَكم الموتُ ـ إن ترك خَيراً ـ الوَصِيَّة﴾(٢) ـ واكَّد عليها رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حتى قال: «مَن ماتَ بلاوصيّة مات مِيتَةً جاهليه»(٣). بناءاً على هذا، فلايمكن ان يفارق النبيُ الحياة من دون أن يوصي في امر الخلافة الى احد، ولايَصح أن يوجِبَ حكماً شرعياً على الأُمة، ثم يتركه بنفسه، من دون نَسخ أو إبطال.

ولعلَّ قائلاً يقول: إن الوصية إنما تجب على من كان عليه دَين أو وصايةٌ لغيره، أو ما شابه ذلك، ولاترتبط بالأُمور الدينية.

١ـ سورة المائدة/آية ٣، وسيأتيك تفسير الآية.

٢ـ سورة البقرة/الآية ١٨٠.

٣ـ وسائل الشيعة كتاب الوصيّة.

الجواب:

١ـ لاتختصُّ الوصيةُ بالأموال والديون وما شابهها، بل تشمل الامور الدينية ايضاً.

إقرأ قوله تعالى:

﴿ووَصّى بها إبراهيم بَنِيهِ ويعقوبُ: يابَنيَّ إنَّ اللّهَ اصطَفى لكم الدِينَ فَلاتَموتُنَّ إلاّ وأنتم مُسلمون، أم كنتم شُهداءَ إذ حَضَرَ يَعقوبَ الموتُ، إذ قالَ لبَنيه: ماتَعبدونَ مِن بَعدي؟ قالوا: نَعبُدُ إلٰهَكَ وإلهَ آبائك: ابراهيم وإسماعيل واسحاق، إلٰهاً واحداً ونحنُ له مُسلمون﴾[1].

فقد ظَهَر لنا ـ من القرآن الكريم ـ أن الوصية لاتختص بالأمور الدنيويَّة بل تشمل الامور العقائدية الدينية ايضاً.

٢ـ إن الوصيَّة في الامور الدينية اعظم من الوصيّة في الامور الدنيوية ـ وحطام الدنيا ـ، وخاصة من رسول اللّه خاتم الانبياء والمرسلين (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي هو مبدأ الخير ومَنبع الدين ومُعلِّم الاسلام ومُبَيِّن الأحكام، ودينُه خاتمة الأديان، وأُمَّته خير الأُمم.

رابعاً: لأنَّ تعيين الخليفة، امرٌ عقلي وفطري قبل أن يكون شرعياً، فكل إنسان ـ مهما كانت نوعيّة مهنته وحجم مسؤليته ـ لابد أن يُعيّن لنفسه خليفة، اذا أراد أن يسافر أو يغيب عن عمله، فصاحب الحانوت الصغير لايفارق حانوته إلا اذا اغلقَهَ أو خَلَّف مكانه مَن يقوم مقامه، والوزير لايغيب عن وزارته إلا بعد أن يُعيّن نائباً عن نفسه، وهكذا الرئيس.. وكذلك المَلِك.. وهكذا في سائر المجالات.

أليس كذلك؟

١ـ سورة البقرة/الآية ١٣٢ ـ ١٣٣.

فاذا كان الأمر هكذا بالنسبة الى رئيس أو ملك يحكم على منطقة محدودة من الأرض فما تقول في رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي ارسله اللّه رسولاً للعالمين وجعَل دينَه خاتمة الأديان وأُمَّته افضل الأُمم: هل يمكن وهل يُعقَل أن يُفارق الحياة ويترك هذه الأُمة الفَتِيَّة تتنازع على الخلافة وتتحارب على الرئاسة؟؟

أليس مِن المفروض أن يُعيِّن خليفة له، قبل أن يَغيب غيبة ابدية؟

أليس من العقل والمنطق أن يُسلِّم امور الدين والدنيا إلى من يثق به ويراه كفوءاً لذلك، قبل أن يفارق هذه الحياة؟

أليس من الخطأ الواضح أن يترك (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أُمَّتَه ـ التي تحمَّل انواع الأذى في سبيل هدايتها وبنائها ـ على زَورق الأهواء وأمواج الفتن؟؟

مع العِلم انه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يعلم جيّداً بوجود المنافقين بين صفوف الصحابة والمسلمين، كما اخبره اللّه تعالى بذلك بقوله: ﴿اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللّه، واللّه يعلم انك لرسوله واللّه يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتّخذوا ايمانهم جُنّة فصدّوا عن سبيل اللّه﴾(١).

إن هؤلاء الذين يتّهمون رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بعدم تعيين الخليفة، بقولهم هذا، ينسبون الجهل الى رسول اللّه، بل يتّهمونه بنقصان العقل وعدم الرُشد، وأنه إنسان لايفهم امورَ الحياة!

كلاّ... وألف كلا.

حاشا رسول اللّه أن يترك أُمّته بلاخليفة.

١ـ سورة المنافقون/الآية ١ ـ ٢.

وحاشا اللّه أن يترك دينه وأُمّة نَبيّه بلاقيادةٍ معصومةٍ حكيمة.

خامساً: لقد وردت احاديث شريفة تصرّح بأن جميع انبياء اللّه عيّنوا لأنفسهم خلفاء يقومون مقامهم ويواصلون نهجهم، فلماذاخالف رسولُ اللّه سيرة الأنبياء والمرسلين وترك الأُمّة بلاخليفة، وقد قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ما قَبض اللّه نبيّاً حتى امره ان يوصي الى افضل عشيرته من عُصبته»[1]؟؟!

سادساً: لقد ذكر المؤرّخون جميعاً ان ابا بكر لمّا قرب وفاته اوصى الى عمر بن الخطاب واستخلفه، فهل كان عمله هذا صحيحاً ام خطأ؟

اذا كان صحيحاً فلماذا تركه رسول اللّه وهو المؤيَّد بالسماء والعارف بمصالح الامور؟

واذا كان خطأً فهلاّ ترك ابو بكر الأُمّة تنتخب خليفة لنفسها، اُسوةً برسول اللّه الذي ترك تعيين الخليفة ـ كما يدَّعون ـ؟!

١ـ الأمالي للشيخ الطوسي/المجلس الرابع.

خليفةُ رسول اللّه

بعد أن اثبتنا ـ على ضوء القرآن والعقل ـ أن تعيين الخليفة خاصٌ باللّه تعالى، يأتي دور هذا السؤال:

مَن هو الخليفة الذي اختاره اللّه لرسوله محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

أو: مَن هو الخليفة الذي عيَّنه الرسول مِن بعده؟

الجواب: إن الخليفة الذي اختاره اللّه لرسوله وعَيَّنه النبي هو الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليهما السّلام).

أمّا الأدلة على ذلك، فهي تنقسم الى اربعة أقسام:

الأول: الآيات القرآنية.

الثاني: الأحاديث القُدسية عن اللّه تعالى.

الثالث: الأحاديث النبويّة الشريفة.

الرابع: الأدلة العقلية.

وفيما يلي نتحدث عن هذه الأقسام الأربعة، بشيء من التفصيل والتوضيح:

القسم الأول

الآياتُ القرآنية

لقد وردت في القرآن الكريم آيات متعددة، تُشير الى خلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وفيما يلي نذكر بعض تلك الآيات مع الشرح والتفسير:

آية الإنذار

وهي قوله تعالى: ﴿وأنذِر عَشيرتَك الأقربين﴾[1].

فقد ذكر المفسّرون والمؤرّخون: ان هذه الآية نزلت على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) تأمره بإنذار أقربائه وعشيرته ودعوتهم الى الاسلام، فأمَر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عليًّ بن ابي طالب (عليهما السّلام) بأن يصنع طعاماً ويدعو بني عبدالمطلب، حتى يبلّغهم ما

١ـ سورة الشعراء/الآية ٢١٤.

أمره اللّه تعالى.

فصنع الامام علي (عليه السّلام) الطعام وهيّيء الشراب، ووجّه الدعوة الى أقرباء الرسول وأعمامه وكانوا أربعين رجلاً - تقريباً - ... وعندما جلسوا جميعاً على المائدة تناول النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قطعة من اللحم، ونتفها ثم وزّعها في نواحي الإناء، وتوجه الى القوم قائلاً: خذوا بسم اللّه، فابتدأوا بتناول الطعام، ولقدكان الطعام يكفي لأحدهم فقط،إلا ان بركة يد رسول اللّه جعلت الطعام كافياً لهم، حيث أكلوا بأجمعهم، وشبعوا، من دون أن يطرأ نقصان في الطعام...

ثم قام علي (عليه السّلام) وقدّم لهم اللبن وسقاهم، فشربوا وارتووا، ولقد كان اللبن يكفي لأحدهم فقط، إلاّ أن بركة النبي جعلت اللبن كافياً لهم جميعاً.

هذه المعجزة من النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) جَلبت إنتباه ابي لهب، فتصور أنها كانت سحراً منه - لأنه كافر لايؤمن بالمعجزة - ولذلك التفت الى القوم قائلاً: لَشدَّ ما سَحَركم صاحبكم!

وبكلامه هذا فوَّت الفرصة على رسول اللّه ولم يترك له مجالاً لتنفيذ المهمَّة وأداء الرسالة، حيث تفرّق القوم من دون «إنذار».

فتوجه النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الى علي (عليه السّلام) قائلاً: ياعلي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعتَ من القول، فتفرق القوم قبل أن اكلّمهم، فعُد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم لي؟

وفي اليوم الآخر كان كل شيء جاهزاً، ولما جلسوا على المائدة فَعل النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كما فعل بالأمس، وبعد أن تناولوا الطعام والشراب، وقبل أن يتكلم منهم أحد قام رسول اللّه خطيباً فيهم وقال:

«يابني عبدالمطلب: إني واللّه ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به.. اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة... ان اللّه بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكوا بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأُمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأني رسول اللّه، فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي فيكم من بعدي؟

فساد المجلس صمت وهدوء، وسكت القوم، وما قام أحد إلا علي (عليه السّلام) وكان أصغرهم سِناً فقال: «أنا يانبي اللّه أكون وزيرك على ما بعثك اللّه به»!

فقال النبي: اجلس.

ثم أعاد عليهم الكلام مرة ثانية وثالثة، لكي يفهموا جيّداً كلامه، ويفكروا في الموضوع، فسكت الجميع ولم يجبه أحد إلاّ علي (عليه السّلام)، فأخذ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بيد علي وتوجه إلى القوم قائلاً: «إن هذا أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا».

وبهذه الكيفية المتواضعة ومنذ فجر الاسلام أعلن النبي لأقربائه وأعمامه وللمسلمين جميعاً ان أخاه ووزيره ووصيه وخليفته هو: علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فقط.

وقد سجّل المؤرِّخون والمفسِّرون هذه القضية التاريخية الخالدة في كتبهم وتفاسيرهم وصحاحهم... واليك أسماء بعض تلك المصادر:

١ـ مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٣٢.

٢ـ تاريخ أبي الفداء ج١ ص١١٦.

٣ـ تاريخ الأُمم والملوك للطبري ج٢ ص٢١٧.

٤ـ تاريخ الكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٢.

٥ـ تفسير الثعلبي.

٦ـ تفسير الطبري.

٧ـ الخصائص العلوية للنسائي ص٦ حديث٦٥.

٨ـ مسند احمد بن حنبل ج١ ص١١١ وص١٥٩ وص٣٣١ في ضمن حديث ابن عباس.

٩ـ كنز العمال ج٦ ص٣٩٢ الحديث رقم ٦٠٠٨.

١٠ـ منتخب الكنز المطبوع بهامش المسند لأحمد ج٥ ص٤١ وص٤٣.

١١ـ شرح نهج البلاغة للشيخ المعتزلي ج٣ ص٢٦٣ طبع مصر.

١٢ـ التلخيص للذهبي.

١٣ـ عيون الأخبار لابن قتيبة.

١٤ـ العقد الفريد لابن عبد ربه.

١٥ـ جمع الفوائد لابن حجر الهيثمي.

قال السيد المعظّم شرف الدين (رضوان اللّه عليه) في كتابه المراجعات في هامش ص١٢٥: ونقل هذا الحديث جرجس الانكليزي في كتابه: مقالة الإسلام وقد ترجمه الى العربية ذلك الملحد البروتستاني الذي سمّى نفسه بهاشم العربي... ولشهرة هذا الحديث ذكره عدّة من الافرنج في كتبهم الفرنسية والانكليزية والألمانية، واختصره توماس كارليل في كتابه: الأبطال.

آية الولاية

وهي قوله تعالى: ﴿إنّما وليُّكم اللّهُ ورسولُه والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاةَ وهم راكعون﴾[1].

لقد ذكر المفسِّرون والمؤرِّخون والمحدِّثون أنّ هذه الآية نزلت في شأن الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وقد ذكروا لسبب نزولها ثلاث صُوَر، والمعنى والمضمون في الجميع واحد، وكلها ترتبط بالامام علي وإمامته وخلافته.

ونحن نذكر هنا صورةً واحدة وفيها الكفاية: روي عن الامام محمد الباقر (عليه السّلام) أنّ قوماً من اليهود ـ منهم عبداللّه بن سلام وأسد وثعلبة وابن صوريا ـ اسلموا فجاؤا الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقالوا: يانبيَّ اللّه... إنّ موسى اوصى الى يوشع بن نون، فَمَن وصيُّك؟ ومَن وليُّنا مِن بعدك؟

فنزلت هذه الآية: ﴿إنما وليُّكم اللّه....﴾.

فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): قوموا... فقاموا وأتوا

١ـ سورة المائدة/آية ٥٥.

المسجد، فاذا سائل (اي: فقير) يخرج من المسجد، فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم):

ياسائل: ما أعطاك احدٌ شيئاً؟

قال السائل: بلى... هذا الخاتم.

فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): من أعطاكه؟

قال السائل: أعطانيه ذاك الذي يصلي في المسجد ـ وأشار الى علي (عليه السّلام) ـ.

فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): على أي حال أعطاك؟

فقال السائل: كان راكعاً!

فقال النبي: اللّه أكبر، وكبّر أهل المسجد.

فالتفت النبي اليهم وقال: علي بن ابي طالب وليُّكم بعدي.

فقالوا: رضينا باللّه ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً وبعلي بن ابي طالب وليّاً، فانزل اللّه عزّوجلّ هذه الآية: ﴿ومن يتولَّ اللّه ورسوله والذين آمنوا فان حزب اللّه هم الغالبون﴾[1].

وقد ذكر المفسّرون وأهل العلم والمعرفة : أن المراد من ﴿الذين آمنوا﴾ ـ في الآية الأولى والثانية ـ هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأن الآية دلّت ـ بمقتضى الحصر في كلمة ﴿انما﴾ ـ على أن اللّه سبحانه أعطى لنبيه محمداً (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولعلي مثل ما لنفسه المقدسة من الولاية العامة المطلقة، حيث أن لفظ ﴿اللّه﴾ و﴿رسوله﴾ ومن جمع بين الزكاة والركوع جاء في آية واحدة، وفي سياق واحد، وولايةُ اللّه ورسوله معناها: الأولويَّة بالأمر والتصرف، فيجب أيضاً أن يكون هذا المعنى بالذات

١ـ سورة المائدة/آية ٥٦.

ثابتاً ومراداً من ولاية مَن جَمعَ بين الوصفين ـ وهو علي (عليه السّلام) ـ وإلا لزم أن يكون لفظ الولاية مستعملاً في معنيين مختلفين في آن واحد وهو غير جائز...

وفي هذه الآية من البلاغة التامة في الاقتران بين الولايتين مالايخفى على الأذكياء، فكما أن ولاية النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هي من الايمان ويجب التصديق بها، كذلك ولاية الامام علي (عليه السّلام) لصريح تنزيل ولاية الامام علي منزلة ولاية الرسول وكون ولاية الرسول ولاية اللّه سبحانه.

وهنا سؤال يقول: ان لفظ ﴿الذين آمنوا﴾ في الآية للجمع فكيف أُطلق على المفرد ـ وهو علي (عليه السّلام) ـ؟

وقد أجاب العلماء والمفسّرون عن هذا السؤال بعدة اجابات كافية شافية[1] اختار لك ـ أيها القارىء الكريم ـ منها جوابين:

الأول: إن المقصود من ﴿الذين آمنوا﴾ هم الائمة الاثنا عشر، خلفاء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولكن... بما أنّ القوم سألوا رسول اللّه عن خليفته من بعده، وبما أن الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) هو الخليفة الأول لرسول اللّه، وهو اول الائمة، كان (عليه السّلام) هو المصداق الأول والأكمل لهذه الآية، وكانت الآية ترشد اليه بصورة خاصة.

فكأنّ الآية الكريمة تقول: إنما وليُّكم اللّه ورسوله وعليٌّ والأئمّة الأحد عشر (عليهم السّلام).

ويؤيد هذا الجواب: الحديثُ المروي عن الامام الصادق (عليه السّلام)

١ـ راجع كتاب المراجعات: ص١٦٣ حتى تقف على الاجابات.

انه قال في تفسير هذه الآية:... ﴿والذين آمنوا﴾ يعني علياً وأولاده الأئمة (عليهم السّلام) الى يوم القيامة، ثم وَصَفهم اللّه عزّوجّل فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

الى ان قال (عليه السّلام): فأنزل اللّه فيه هذه الآية، وصيَّر نعمةَ اولاده بنعمته، فكل مَن بَلغ ـ مِن اولاده ـ مبلغ الإمامة، يكون بمثل هذه النعمة مثله، فيتصدَّقون وهم راكعون(١).

وبهذا الحديث يندفع الإشكال ـ الذي قد يطرحه البعض ـ بأن ﴿إنّما﴾ للحصر، أي: هذا ولاغير، وقد حصرت الآيةُ الولايةَ للّه والرسول وعلي، فلاتشمل الأئمة الأحد عشر.

فنقول في الجواب: إن الآية حصرت الولاية للّه والرسول والأئمة الإثني عشر، كما هو صريح حديث الامام الصادق (عليه السّلام) وهو اعرف بتفسير القرآن مِن غيره، لأنه من اهل البيت، واهلُ البيت ادرى بالذي فيه.

نعم... الآية تُخرج غير الأئمة(عليهم السّلام)من الولاية.. ولايعترف القرآن لهم بها.

ولذلك رُوي عن عمر بن الخطّاب انه قال: واللّهِ لقد تصدَّقتُ بأربعين خاتماً وأنا راكع، لينزل فيَّ ما نزَل في علي بن ابي طالب... فما نَزل!!(٢).

الجواب الثاني: ان العرب يُعبِّرون عن المفرد بلفظ الجمع، تعظيماً وتجليلاً له.

والشواهد على ذلك كثيرة... منها: قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم

١ـ كتاب البرهان في تفسير القرآن، في تفسير الآية في سورة المائدة.

٢ـ البرهان في تفسير القرآن/في تفسير الآية من سورة المائدة.

الناس إن الناس قد جَمعوا لكم﴾[1] وإنما كان القائل نعيم بن مسعود الأشجعي وحده، كما ذكر ذلك بعض المفسّرين.

وكقوله تعالى ـ في آية المباهلة ـ: ﴿ابناءَنا وابناءكم ونساءَنا ونساءَكم وانفسنا وانفسكم﴾ مع العِلم أن المقصود من ﴿ابناءَنا﴾: الامام الحسن والإمام الحسين (عليهما السّلام) فقط، ومِن ﴿نساءنا﴾: الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فقط، ومِن ﴿انفسنا﴾: الامام علي (عليه السّلام) فقط.

قال الشيخ الطبرسي (رحمه اللّه) في تفسير هذه الآية: إن النكتة في إطلاق لفظ الجمع على امير المؤمنين، تفخيمُه وتعظيمه، وذلك لأنَّ اهل اللغة يعبِّرون بلفظ الجمع عن الواحد، على سبيل التعظيم[2] وذلك اشهر في كلامهم مِن أن يحتاج الى الاستدلال عليه[3].

والخلاصة: ان بإمكاننا أن ننظر الى الآية من زاويتين:

الاولى: إنها نزلت في شأن الامام علي (عليه السّلام) فهي ترتبط به، وهو المقصود بها، ولهذا تلا رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هذه الآية على الذين سألوه عن خليفته من بعده، وطبَّقها على الامام علي (عليه السّلام) فجاءت صيغة الجمع للتعظيم والتجليل، كما هو كثير جداً، في القرآن وغيره.

الثانية: ان القرآن لايختصّ بعصرٍ دون عصر، بل هو لكل العصور، ولهذا فان هذه الآية تتحدث عن اولياء الأمر وخلفاء الرسول، بصورة عامة

١ـ سورة آل عمران/الآية ١٧٣.

٢ـ كما في قولك لمن تلقاه: سلام عليكم، مثلاً.

٣ـ كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن ـ في تفسير الآية الكريمة ـ.

وعلى امتداد الزمن والتاريخ اللاحق، فهي تحصر الولاية والإمامة في الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) والامام علي هو المصداق الأول والفرد الأكمل لهذه الآية.

وعلى كل حال... فلامنافاة بين الجوابين، اذا نظرنا إليها من زاويتين.

أيها القارىء الكريم: لقد تواترت كلمات المفسِّرين والحفّاظ من أهل الحديث، على نزول هذه الآية في شأن الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) حتى أن الشيخ الأميني (رضوان اللّه عليه) عدَّ - في موسوعة الغدير القيّمة ج٣ ص١٥٦ - ١٦٢ - اسماء المفسِّرين والحفّاظ الذين ذكروا نزول هذه الآية في شأن الامام أو نُقل عنهم ذلك، فبلغت ستةً وستين.

وفيما يلي نذكر بعض ما اعتمدنا عليه من المصادر:

١- تفسير الفخر الرازي ج٣ في تفسير الآية.

٢- تفسير الكشاف للزمخشري الحنفي ج١ في تفسير الآية.

٣- احكام القرآن للحافظ الجصّاص ج٢ في تفسير الآية.

٤- تفسير الدرّ المنثور للسيوطي الشافعي في تفسير الآية.

٥- تفسير الطبري ج٦ ص١٨٦.

٦- اسباب النزول للواحدي ص١٤٨.

٧- كنز العمّال ج٦ ص٣١٩ وج٧ ص٣٠٥.

٨- الرياض النضرة ج٢ ص٢٢٧.

وهذه المصادر - كما تراها- لعلماء العامّة وليست لعلماء الشيعة، أما في كتب الشيعة وتفاسيرهم، فالروايات متواترة في نزول هذه الآية الكريمة في شأن الامام علي (عليه السّلام) وخلافته وولايته.

آية التبليغ

وهي قوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسولُ بلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ مِن ربِكَ وإن لَم تفعل فما بلّغت رِسالَتَه واللّه يَعصِمُكَ مِنَ الناسِ إنّ اللّه لايَهدي القومَ الكافرين﴾[1].

فقد ذكرَ المفسّرون والمؤرّخون والمحدّثون في تفسير هذه الآية: أنَّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قرّر الذهاب إلى الحج في السنة الاخيرة من حياته ـ والذي عُرف فيما بعد بحَجّة الوداع ـ فانتشر نبأ سَفَره، وتوافد الناس الى المدينة المنورة، وانضمّوا الى موكب الرسول، حتى بَلَغَ عدد الذين خرجوا معه ١٢٠ ألفاً[2] عدا الذين انضموا إليه في الطريق والتحقوا به من اليمن وفي مكة.

ولما أدّى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) مناسك الحج إنصرف راجعاً الى

١ـ سورة المائدة/الآية ٦٧.

٢ـ الروايات مختلفة في عدد الذين كانوا في صحبة النبي (ص) إلا أن هذا العدد هو الذي ذكره بعض المؤرخين كابن سعد في طبقاته ج٣ ص٣٣٥ وقيل: ١٢٤ الفاً وقيل: اقلّ من ذلك وقيل اكثر.

المدينة، حتى وصل إلى وادي الجحفة بأرض غديرخُم[١] وهي المنطقة التي تتشعّب منها الطُرُق الى المدينة والعراق ومصر واليمن، وكان وصوله في يوم الخميس، الثامن عشر من شهر ذي الحجة وقت الضُحى.

وبينما المسيرة العظيمة تواصل السَير إذ هَبَطَ الأمين جبرئيل مِن عند اللّه تعالى على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هاتفاً بالآية الكريمة: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك مِن ربك وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته واللّه يَعصمك من الناس إن اللّه لايهدي القوم الكافرين﴾ وأبلَغَه أن اللّه تعالى يأمره بأن يُقيم علي بن أبي طالب إماماً على الناس وخليفة مِن بعده ووصيّاً له، وأن يبلّغهم ما نزل فيه مِن الولاية وفَرضِ الطاعة على كلّ أحد...

فتوقَّف النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن المسير، وأمَر أن يلحق به مَن تأخَّر عنه ويَرجع مَن تقدَّم عليه، فاجتمع المسلمون جميعاً حوله، وأدركتهم صلاة الظهر فصلّى رسول اللّه بالناس... وكان الجوُّ حارّاً جداً، حتى كان الرجل منهم يضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الحر، ومُدّت ظِلال لرسول اللّه على شجرات سمرات ووُضعت أحداج الإبل[٢] بعضها على بعض حتى صارت كالمنبر فوقَفَ (صلّى اللّه

١ـ الغدير ـ في اللغة ـ: المنخفض الطبيعي من الأرض، يجتمع فيه ماء المطر والسَيل ولايبقى الى القيظ، وجمعه: غدران واغدُرة ـ بضمّ الدال ـ / لسان العَرب مادةّ غدر.

وقالوا في معنى (خُم): انه الغيضة وهي مجتمع الشجر، او أنه اسم غيضة هناك، او اسم رجل صبّاغ أُضيف إليه الغدير فقالوا: غديرخُم/معجم البلدان.

٢ـ الأحداج: الأحمال التي تُشدُّ على الابل ويقال لها: الأقتاب.

عليه وآله وسلّم) عليها لكي تشاهده تلك الجماهير الغفيرة ورفَع صوته من الأعماق مُلقياً فيهم خطبة بليغة طويلة، افتتحها بالحمد والثناء على اللّه سبحانه، وركّز حديثه وكلامه حول شخصية خليفته الامام علي (عليه السّلام) وفضائله ومناقبه ومزاياه ومواقفه المشرقة ومنزلته الرفيعة عند اللّه ورسوله، وأمَر المسلمين بطاعته وطاعة أهل بيته الطاهرين واكّد أنهم حُجج اللّه وأولياؤه المقرّبون وأمناؤه على دينه وشريعته، وأن طاعتهم طاعة اللّه ورسوله ومعصيتهم معصية اللّه ورسوله، وأنَّ شيعتهم في الجنة ومخالفيهم في النار... الى غير ذلك.

وكان مما قال: أيها الناس... إني اوشك ان أُدعى فأُجيب، واني مسؤول وأنتم مسؤلون[1] فماذا أنتم قائلون؟؟.

فتعالتِ الأصوات من هنا وهناك وقالوا: نشهد انك قد بلّغتَ ونصحتَ وجاهدتَ، فجزاك اللّه خيراً.

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): ألستُم تشهدون أن لا إله إلاّ اللّه وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جَنّته حق ونارَه حق، وأن الموتَ حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأنّ اللّه يبعث مَن في القبور؟.

قالوا: بلى نشهد بذلك.

فقال: اللهم اشهد.

ثم نادى: أيها الناس ألا تسمعون؟.

١ـ قال السيد المعظّم شرف الدين في هامش كتابه المراجعات: لعل قوله (ص) وأنتم مسؤلون، اشارة الى ما أخرجه الديلمي وابن حجر في الصواعق ان النبي قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وقفوهم انهم مسؤلون﴾ أي: عن ولاية علي، وقال الإمام الواحدي: انهم مسؤلون عن ولاية علي وأهل البيت.

فقالوا: بلى... بلى.

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): فإني فَرَطٌ (أي سابق) على الحوض، وأنتم واردون عليَّ الحوض، وإن عَرضَه ما بين صنعاء وبُصرى[١] فيه أقداح من فضة عدد النجوم، فانظروا كيف تُخلّفوني في الثقلين!؟.

فنادى منادٍ: وما الثقلان يارسول اللّه؟.

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): الثقل الأكبر: كتاب اللّه، طَرَفٌ بيد اللّه عزّوجلّ وطَرف بأيديكم، فتمسَّكوا به ولاتَضِلّوا، والآخر الأصغر: عترتي أهل بيتي، وان اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض، فسألتُ ذلك لهما ربي، فلاتقدّموهما فتهلكوا، ولاتُقصّروا عنهما فتهلكوا!

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم):

«... بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته واللّه يعصمك من الناس﴾».

معاشر الناس: ما قصَّرتُ في تبليغ ما انزله إليّ، وأنا مبيِّن لكم سبب نزول هذه الآية.

إن جبرئيل هبط اليَّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي ـ وهو السلام ـ ان اقوم في هذا المشهد، فأُعلم كلَّ ابيض واسود أن علي بن ابي طالب أخي ووصيّي وخليفتي والامام من بعدي، والذي محلّه مني محلّ هارون من موسى إلاّ أنه لانبيَّ بعدي، وهو وليُّكم بعد اللّه ورسوله، وقد انزل اللّه تبارك وتعالى عليَّ بذلك آيةً من كتابه: ﴿إنّما وليّكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ وعلي بن ابي

١ـ صنعاء: في اليمن و«بُصرى» منطقة في الشام.

طالب اقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع، يريد اللّه عزّوجلّ في كل حال...[١].

... ثم أخذ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بيد الامام علي (عليه السّلام) فرفَعها حتى بانَ بياض آباطهما، وعرَفَه القوم أجمعون.

فقال: أيها الناس: مَن أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟.

فقالوا: اللّه ورسوله.

فنادى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ان اللّه مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه... مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه... من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ـ كرَّرها ثلاث مرات ـ.

ثم دعا اللّه قائلاً: اللهم والِ من والاه، وعادِ مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحبه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نَصَرَه، واخذل مَن خذله، وأدِرِ الحق معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهدُ الغائبَ.

معاشِرَ الناس: إنّ اللّه قد نَصَبه لكم وليّاً وإماماً، مفترِضاً طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم باحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى الأعجمي والعربي، والحُرِّ والمملوك، والصغير والكبير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كلِّ موحِّد.

ماضٍ حكمه، جائزٌ قوله، نافذٌ امرُه، ملعون من خالفه، مرحوم من تبعه، ومن صدَّقه فقد غفر اللّه له ولمن سمع منه واطاع له.

معاشر الناس: انه آخر مقام اقومه في هذا المشهد، فاسمعوا واطيعوا وانقادوا لأمر ربّكم، فانّ اللّه عزّوجلّ هو وليّكم والهكم، ثم من دونه رسولكم محمد وليُّكم والقائم المخاطِب لكم، ثم من بعدي علي وليُّكم و

١ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٠٦.

إمامكم بأمر اللّه ربكم ، ثـم الامـامة في ذرّيتي مـن وُلده الى يـوم تلقون اللّه (عزّ اسمُه) ورسولَه، لاحلال الاّ ما احلَّه اللّه، ولاحرام الاّ ما حرَّمه اللّه، عرَّفَني اللّه الحلال والحرام وأنا افضيتُ بما علَّمني ربّي من كتابه وحلاله وحرامه إليه [أي: الى علي].

معاشر الناس: ما من عِلم الاّ وقد احصاه اللّه فيَّ، وكلَّ علم عَلِمتُه فقد احصيته في امام المتقين، ومامِن عِلم الاّ وقد علّمته علياً وهو الامام المبين.

معاشر الناس: لاتضلُّوا عنه ولاتنفَّروا منه ولاتستنكفوا من ولايته، فهو الذي يهدي الى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينهى عنه، ولاتأخذه في اللّه لومة لائم.

ثم إنه اول من آمن باللّه ورسوله، والذي فَدى رسولَ اللّه بنفسه، والذي كان مع رسول اللّه ولاأحد يعبد اللّه مع رسوله من الرجال غيره.

معاشر الناس: فضّلوه فقد فضَّله اللّه واقبلوه فقد نَصَبه اللّه.

معاشر الناس: انه إمام من اللّه، ولن يتوب اللّه على احدٍ انكر ولايته ولن يغفر له.

معاشر الناس: فضِّلوا علياً فانه افضل الناس بعدي من ذَكَر وانثى، ما نزل الرزق وبقي الخَلق.

ملعون ملعون، مغضوب مغضوب من ردَّ قولي هذا ولم يوافقه. قولي عن جبرئيل عن اللّه، فلتنظر نفس ما قدَّمت لغد، واتقوا اللّه ان تخالفوه فتزلَّ قَدمٌ بعد ثبوتها، إن اللّه خبير بما تعملون...

معاشر الناس: تدبَّروا القرآن وافهموا آياته وانظروا الى محكماته ولاتتَّبعوا متشابَهه، فواللّه لن يبيِّن لكم زواجره، ولايوضّح لكم تفسيره إلاّ

الّذي أنا آخذ بيده ومصعده اليّ، وشائل بعضده...

معاشر الناس: هذا علي اخي ووصيّي وواعي عِلمي وخليفتي على أُمّتي وعلى تفسير كتاب اللّه عزّوجل، والداعي اليه، والعامل بما يرضاه، والمحارب لاعدائه،والموالي على طاعته،والناهي عن معصيته.خليفةرسول اللّه واميرالمؤمنين والامام الهادي،وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين،بأمراللّه...

معاشر الناس: انما اكمل اللّه عزّوجلّ دينكم بامامته، فَمن لم يأتمَّ به ـ وبمن يقوم مقامه من وُلدي من صُلبه الى يوم القيامة والعرضِ على اللّه عزّوجلّ ـ فاولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون، لايخفَّف عنهم العذاب ولاهم يُنظرون.

معاشر الناس: هذا عليٌّ انصركم لي، واحقّكم بي، واقربكم اليَّ، واعزّكم عليّ، واللّهُ عزّوجلّ وأنا عنه راضيان، وما نزلت آيهُ رضىً إلاّ فيه، وما خاطب اللّه الذين آمنوا إلاّ بدأ به، وما نزلت آيةُ مدحٍ في القرآن إلاّ فيه، ولاشهد اللّه بالجنة في ﴿هل أتى على الانسان﴾ إلاّ له ولا انزلها في سواه، ولامَدح بها غيره.

معاشر الناس: هو ناصر دين اللّه، والمجادل عن رسول اللّه، وهو التقيّ النقيّ والهادي المهدي.

نبيُّكم خير الأنبياء، ووصيُّكم خير وصيّ، وبنوه خير الأوصياء.

معاشر الناس: ذريّةُ كلّ نبي مِن صُلبه، وذريّتي من صلب علي.

معاشر الناس: ان ابليس اخرج آدم من الجنة بالحسد، فلاتحسدوه فتحبط اعمالكم وتزلّ اقدامكم...

ألا إنه لايبغض علياً إلاّ شقي، ولايتوالى علياً إلا تقي، ولايؤمن به إلاّ مؤمن مخلص...

معاشر الناس: آمِنوا باللّه ورسوله والنور الذي أُنزل معه.... النورُ من اللّه فيَّ، ثم في علي، ثم في النسل منه الى القائم المهدي...

معاشر الناس: سيكون بعدي ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا يُنصَرون، وإن اللّه وأنا بريئان منهم، انهم وانصارهم واتباعهم في الدرك الاسفل من النار، وسيجعلونها مُلكاً اغتصاباً...

معاشر الناس: قد بيَّنتُ لكم وافهمتُكم، وهذا علي يفهمكم بعدي، ألا وإنّي ـ عند انقضاء خطبتي ـ ادعوكم الى مصافقتي[١] على بيعته والاقرار به، ثم مصافقته بعدي.

ألا انّي قد بايعتُ اللّه وعليٌ قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن اللّه عزّوجلّ ﴿ومن نكث فانما ينكث على نفسه﴾.

معاشرالناس:إن فضائل علي بن ابي طالب عنداللّه عزّوجلّ،وقدانزلها في القرآن اكثر من احصيهافي مقام واحد،فَمن انبأكم بهاوعرَّفها فصدِّقوه.

معاشر الناس: مَن يطع اللّه ورسوله وعلياً والائمة الذين ذكرتُهم فقد فاز فوزاً عظيماً.

معاشر الناس: السابقون الى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بامرة المؤمنين، اولئك الفائزون في جنّات النعيم... الى آخر الخطبة الشريفة[٢].

١ـ المصافقة: المصافحة.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٠٤ وقد اقتطفنا من الخطبة النقاط الرئيسية فيها، وقد رواها الطبرسي في كتاب الاحتجاج، والعلاّمة المجلسي في بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٠٤، ومن علماء اهل السنّة ومشايخهم رواها: الحافظ ابن عقدة في كتاب خاص، كما ذكرها المؤرّخ الشهير ابن جرير الطبري الشافعي ـ صاحب التفسير والتاريخ ـ في كتاب سمّاه: كتاب الولاية في طُرق حديث الغدير، وقد طُبعت هذه الخطبة الشريفة بصورة مستقلّة أيضاً.

وانتهت الخطبة النبويَّة بتعيين الامام علي بن ابي طالب اميراً على المؤمنين وخليفة لرسول ربّ العالمين.

أخذ البيعة للامام

ثم نزل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وامر المسلمين كافَّة بأن يبايعوا الامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين[١] وجلس هو (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في خيمة تخصُّ به، وأمر خليفته أن يجلس في خيمة اخرى، لاستقبال المهنّئين[٢].

فتهافت الناس ـ اولاً ـ على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يهنّئونه بهذا العيد السعيد والذكرى المجيدة، وهم يقولون: نَعَم نَعَم سمعنا واطعنا امرَ اللّه ورسوله... آمنّا بقلوبنا!!

ثم انعطفوا على خيمة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) يقدّمون له التهاني والتبريكات بهذه المناسبة الجليلة المقدسة، ويبايعونه ويصافحونه قائلين: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

وكان النبي(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)يشاهد ـ وهوفي خيمته ـ افواج الناس وجموع المسلمين وهم يدخلون على الامام علي(عليه السّلام) للبيعة، فكانت تتفتّح اسارير وجهه، وتتهلّل وجناته ويزداد بهجة وسروراً، وكلّما

١ـ روي عن زيد بن ارقم أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال ـ في نهاية خطبته الشريفة ـ: «معاشر الناس: قولوا: اعطيناك على ذلك عهداً عن انفسنا، وميثاقاً بالسنتنا، وصفقةً بايدينا،، نؤدّيه الى اولادنا واهالينا، لانبغي بذلك بَدَلاً، وانت شهيد علينا، وكفى باللّه شهيداً، قولوا ما قلت لكم، وسلِّموا على علي بامرة المؤمنين...».

٢ـ لمزيد التفصيل راجع كتاب الغدير: ج١ ص٢٧٠.

بايع علياً فوجٌ قال رسول اللّه: «الحمد للّه الذي فضّلنا على جميع العالَمين».

ولم يغادر النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ارض غدير خُم إلاّ بعد ان بايع المسلمون جميعاً الامام علياً (عليه السّلام).

قال زيد بن ارقم: واوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً[١].

نعم... استمرّت البيعة ثلاثة أيام، لأن هذا السيل البشري والعدد الهائل لايمكن ان يبايع في ساعة أو يوم.

بيعة الشيخين

وانطلق ابو بكر وعمر الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقالا له: هذا أمر منك أم من اللّه؟!.

فقال رسول اللّه: وهل يكون هذا عن غير أمر اللّه؟ نَعَم أمرٌ من اللّه ورسوله!.

فقاما وتقدّما الى علي (عليه السّلام) وبايعاه بالامامة والخلافة.

وقال عمر ـ وهو يبايع علياً ـ: بَخٍ بَخٍ لك يابن أبي طالب ـ وفي خبر: هنيئاً لك ـ أصبحتَ وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[٢].

١ـ كتاب الغدير: ج١ ص٢٧٠.

٢ـ لقد ذكر حديث تهنئة الشيخين للامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) جمع كثير من علماء اهل السُنّة وائمتهم منهم: امام الحنابلة احمد بن حنبل في مسنده: ج٤ ص٢٤١، والحافظ محمد بن جرير الطبري في تفسيره: ج٣ ص٤٢٨، والقاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب التمهيد في اصول الدين ص١٧١، والحافظ ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص٢٥، وابن حجر في الصواعق ص٢٦، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة: ج٢ ص١٦٩ والفخر الرازي في تفسيره الكبير: ج٣ ص٦٣٦ وغيرهم.
وقد ذكر شيخنا الأميني (رضوان اللّه عليه) في الجزء الاول من موسوعة الغدير القيّمة: ص٢٧٠ ـ ستين مصدراً لحديث التهنئة.

والعَجَب كل العجب من أبي بكر وعمر كيف سألا هذا السؤال من النبي؟!.

جميع الناس بايعوا الإمام من دون أي سؤال أو إشكال فما بال الشيخين تفرّدا بهذا السؤال؟؟

وهل هنا مجال لهذا الإستفهام؟!

ألم يسمعا قول اللّه تعالى: ﴿وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يُوحى﴾؟![1].

ألم يبلغهما قوله سبحانه: ﴿ما آتاكم الرسولُ فخذوه﴾؟[2].

ألم يقرءا قوله عزّوجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا استَجيبوا للّه وللرسول﴾؟![3].

مع العلم أنّ هذه الآيات كانت قد نزلت قبل واقعة الغدير المقدَّسة.

قال الامام الصادق (عليه السّلام): لّما فرغ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من هذه الخطبة ـ الغدير ـ رُئي في الناس رجل جميلٌ بَهيٌّ طيّب الريح، فقال: تاللّه ما رأيتُ محمداً كاليوم قط، ما أشدّ ما يؤكّد لابن عمِّه، وإنه يعقد له عَقداً لايحلُّه إلاّ كافر باللّه العظيم وبرسوله الكريم. ويلٌ طويلٌ لمن حلَّ عقدَه.

فالتفت عمر ـ حين سمع كلامه ـ فأعجبته هيئتُه، ثم التفت الى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقال: أما سمعتَ ما قال هذا الرجل؟ قال: كذا وكذا.

١ـ سورة النجم/الآية ٤.

٢ـ سورة الحشر/الآية ٧.

٣ـ سورة الأنفال/الآية ٢٤.

فقال رسول اللّه: ياعمر أتدري مَن ذلك الرجل؟

قال: لا.

فقال النبي: ذلك الروح الأمين جبرئيل، فايّاك أن تحلّه، فانك إن فعلتَ فاللّه ورسوله وملائكته والمؤمنون منك بُرآء(١).

بيعة النساء

لقد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يحرص على ترسيخ دعائم الخلافة وتوطيد قواعد الامامة بشكل تام.

ولهذا لم يكتف (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ببيعة الرجال فقط، بل امر النساء ـ ومن بينهن زوجاته ـ ان يبايعن الامام علياً (عليه السّلام).

ولكن السؤال هو: كيف كانت بيعة النساء لأمير المؤمنين (عليه السّلام)؟

هل بالمصافحة؟

ومصافحة المرأة الأجنبية مع الرجل الأجنبي حرام؟(٢).

كيف اذاً؟

الجواب: ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اختار طريقة رمزيَّة لمبايعة النساء مع الامام، وهي انه امر باحضار قَدَح فيه ماء، وأمر علياً (عليه السّلام) بأن يُدخل يده في جانب القَدَح، وأن تأتي النسوة ويدخلن ايديهن في الجانب الآخر من الإناء ويسلّمن عليه بامرة المؤمنين.

وبهذه الطريقة العفيفة والنزيهة تمَّت بيعة النساء لأمير المومنين (عليه السّلام).

١ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢١٩، الاحتجاج للطبرسي.

٢ـ روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «مَن صافح امرأة لاتحلُّ له جاء يوم القيامة مغلولة يداه الى عُنقه ويُؤمَر به الى النار» كتاب الوسائل باب النكاح.

اول شعراء الغدير

ثم قام حسّان بن ثابت شاعرُ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وقال: إئذن لي يارسول اللّه أن أقول في علي ابياتاً تسمعهن؟

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): قُل على بركة اللّه....

فأنشد حسان قائلاً:

يُناديهمُ يومَ الغدير نَبيُّهُم بِخُمّ فأسمع بالرسولِ مناديا
وقد جاءه جبريلُ عن أمر ربِّه بأنك معصوم فلاتَكُ وانيا
وَبلِّغهُمُ ما أنزل اللّه ربُّهُم اليك ولاتخشى هناك الأعاديا
فقام بهم إذ ذاك رافعُ كفِّهِ بِكفِّ عليٍ مُعلن الصوت عالياً
فقال : فَمَن مولاكُمُ ووليُّكُم؟ فقالوا ولم يُبدوا هناك تَعاميا:
إلهُكَ مولانا وأنت وَلِيُّنا ولن تَجدنْ فينا لك اليومَ عاصيا
فقال لَهُ : قُم ياعليُّ فإنني رضيتُكَ مِن بعدي إماماً وهادياً
فَمَن كنتُ مولاه فهذا وليُّه فكونوا له أنصارَ صِدقٍ مواليا
هناك دعا : اللهُمَّ والِ وليَّهُ وكُن للذي عادى علياً مُعادياً
فيارب أُنصُر ناصريه لِنصرهِم إمام الهدى كالبَدرِ يَجلُو الدياجيا

أُعجب النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهذه الأبيات الولائية، وعَلَت الابتسامة محيّاه المبارك، وشكر حسانَ على شعره قائلاً: لاتزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك(١).

١ـ الغدير ج١ ص٣٤، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٢٠، السيوطي في رسالة الازدهار، الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ص١٧.

أهمّية واقعة الغدير

أيها القارىء الكريم: هذه الواقعة الخالدة المعروفة بـ (واقعة الغدير) من أشهر الوقائع التاريخية، ومن أبرز الأحداث في حياة النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقد شهد بها ١١٠ من الصحابة الذين حضروا الواقعة بأنفسهم، منهم: أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وأبو قدامة الأنصاري، وسمرة بن جندب، وجابر بن عبداللّه الأنصاري، وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدري، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيداللّه، والعباس ابن عبدالمطلب واسامة بن زيد، وأُبيّ بن كعب، والبراء بن عازب وأنس بن مالك وجابر بن سمرة، وحبّة بن جرير العرني، وحسّان بن ثابت وابو ايوب الانصاري وخالد بن الوليد وخزيمة بن ثابت وزيد بن ثابت وسعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدي وقيس بن سعد بن عبادة والمقداد بن عمرو الكندي وعبداللّه بن العباس وعبداللّه بن عمر وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والإمامان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وغيرهم[1].

وأمّا النساء اللائي حضرن الواقعة وشهدن بها فهنّ أيضاً كثيرات، أبرزهن: الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) والسيدة أُم سلمة زوجة النبي، والسيدة فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب والسيدة أُم هاني بنت أبي طالب، وأسماء بنت عميس وعائشة

١ـ راجع الغدير: ج١ ص١٤ حتى تجد الأسماء بالتفصيل.

بنت أبي بكر وغيرهن من السيدات.

ولاتَجدُ كاتباً أو مؤلفاً كَتَبَ أو يكتب عن حياة النبي أو حياة الإمام علي إلا وَيَتَعرَّض لذِكر هذه الواقعة مُجمَلاً أو تفصيلاً، إلاّ إذا كان الكاتب والمؤلف مبغضاً للحق، أو عدواً لآل محمد، أو عميلاً لبعض السلطات المنحرفة أو منكراً لفضائل أهل البيت، أو ما شابه ذلك، فإنه يتجاهل أو يتغافل عن ذِكر هذه الواقعة الخالدة...

أمّا الواقعة ـ بحدّ ذاتها ـ فليس هناك أي مجال للإنكار والتشكيك في صحتها والمناقشة في سَنَدها، لأن العلماء العظماء والحفّاظ والمحَدِّثين والمؤرخين القدامى أثبتوا صحتها وحقيقتها واعتمدوا عليها... منذ مئات السنين وحتى هذا اليوم لأن واقعة الغدير ليست واقعة عابرة وبسيطة، حتى يمكن تجاهلها، بل لابد أن يأتي ذِكرها والاشارة إليها في مختلف المجالات العلمية، كاللُغة والتاريخ والتفسير والحديث والأدب وغيرها.

فاللُغوي ـ اذا كان مُنصفاً ـ لابد أن يشير إليها في معنى كلمة: غدير، خُم.

والمؤرّخ ـ اذا كان مُنصفاً أيضاً ـ لابد أن يذكر واقعة الغدير ـ ولو إجمالاً ـ في تاريخ الاسلام لكونها واقعة اسلامية هامّة، وفي تاريخ نبي الاسلام (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لوقوعها في حجة الوداع وقبل وفاة النبي بسبعين يوماً، وفي تاريخ الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) لارتباطها به.

والمفسّر ـ اذا كان متحرِّراً من العَصبيّة ـ لابد ان يذكر واقعة الغدير ـ ولو إجمالاً ـ عند تفسيره للآيات النازلة فيها، مثل آية التبليغ وآية إكمال الدين وآية نزول العذاب، وغيرها من الآيات المتعددة المرتبطة بخلافة الامام

علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) وإمامته، كآية الإنذار.

والمحدِّث لابد ان يذكرها، في مقام ذِكره للأحاديث النبوية الشريفة، كقوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لعلي: انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي، وكقوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ مُشيراً الى علي ـ «هذا اخي ووصيّي وخليفتي ووارثي من بعدي فاسمعوا له و أطيعوا» وكقوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» وغير ذلك من مئات الأحاديث الصحيحة المرويَّة عن الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في خلافة الامام علي وإمامته.

وهكذا في مجالات اخرى.

الاستدلال بحديث الغدير

أيها القارىء الكريم: إن الاستدلال بحديث الغدير على خلافة الامام علي (عليه السّلام) وإمامته بعد رسول اللّه مباشرة، يتوقف على ذكر امرين:

١ـ السَنَد.

٢ـ الدلالة.

أمّا سَند الحديث فقد اشرنا اليه وأنه في اعلى مراتب الصحة والقوة، فهو حديثٌ متواتر، قد رواه اعاظم الصحابة واجلاّؤهم، كما سبقت الاشارة إليه.

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي ـ في الصواعق المحرقة ص٢٥: (... انه حديث صحيح لامرية فيه، وقد اخرجه جماعة كالترمذي والنسائي واحمد، فطُرُقه كثيرة جداً، ومن ثمَّ رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية

لأحمد أنه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لمّا نوزع ايام خلافته ـ كما مرَّ وسيأتي ـ وكثير من اسانيدها صِحاح وحِسان، ولا التفات لمن قَدَح في صحَّته ولالمن ردَّه بأن علياً كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وادراكه الحج مع النبي (ص).

وقولُ بعضهم: ـ إن زيادة «اللهمَّ وآل من والاه....» الى آخره موضوعة ـ مردود فقد ورد ذلك مِن طُرقٍ، صحَّح الذهبي كثيراً منها...).

اقول: سوف نذكر ـ ان شاء اللّه تعالى ـ تصريحات بعض العلماء والحفّاظ حول صحة سند حديث الغدير، عند ذكرنا للوثائق والمصادر التاريخية.

وأمّا الدلالة فهي ايضاً في اعلى مراتب الظهور، وخاصة بعد الإنتباه الى القرائن الحاليَّة والمقاليَّة المحفوفة بالحديث:

فـ (المولى) في قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «مَن كنتُ مولاه فعلي مولاه» معناه: الأولى بالأمر والتصرف، ولهذا ترى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال ـ اولاً ـ: الستُ اولى بالمؤمنين من انفسهم؟

فلمّا قال اصحابه: بلى. قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» فالمعنى: ان نفس الأولويَّة التي لي عليكم، هي لعلي (عليه السّلام) عليكم، ولهذا جاء بفاء التفريع وقال: فعليٌّ مولاه.

هذا اولاً.

ثانياً: إن قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «إنّي يوشك ان أُدعى فأُجيب، وإني مسؤول وانتم مسؤولون» دليل على انه قد قَرب أجله وأنه في مقام الوصية والاستخلاف وتعيين الامام من بعده، كي يكون هو القدوة للمسلمين من بعده.

ثالثاً: وما قام به (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم غدير خم ـ بعد نزول آية التبليغ ـ من نزوله بتلك الأرض الجرداء، في ذلك الحرّ الشديد، وأمره بأن يرجع مَن تقدم من المسلمين ويلحق من تأخر، وإلقائه تلك الخطبة البليغة، ورفعه يد علي (عليه السّلام) ثم أخذ البيعة له ثلاثة أيام، ونزول آية إكمال الدين... ما كل ذلك الا دليل واضح على أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان في مقام تعيين الخليفة من بعده.

رابعاً: إن قول عمر بن الخطاب ـ للامام امير المؤمنين (عليه السّلام) حين البيعة ـ: (بخٍ بخٍ لك يابن ابي طالب اصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) ليس الاّ دليلاً على انه فهم خلافة الامام علي لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولهذا تقدّم للبيعة والتهنئة.

خامساً: ان كلَّ من حضر يوم الغدير، عرف ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قصد من «المولى» الامامة والخلافة، ومنهم حسّان بن ثابت ـ شاعر رسول اللّه ـ حيث صاغ هذا المعنى في قالب الشعر، واستأذن النبي الكريم لإلقاء قصيدته التي مرَّت عليك قبل قليل.

وهذا المعنى بالذات ـ وهو الامامة والخلافة ـ فهمه سائر الصحابة والتابعين، فصاغوا واقعة الغدير في قصائد شعرية رائعة، على مرِّ القرون والأجيال[1].

ونفس هذا المعنى فهمه الحارث بن النعمان الفهري ـ كما ستقرأ قصته في فصلٍ قادم ـ.

١ـ راجع موسوعة الغدير القيّمة للعلاّمة الأميني (رضوان اللّه عليه) فقد ذكر شعراء الغدير ـ من القرن الأول الهجري الى القرن الرابع عشر ـ وترجمة حياتهم، وقصائدهم التي نظموها في هذه المناسبة.

ايها القارىء الكريم: هذه كلمة موجزة عن الاستدلال بحديث الغدير، وقد فصَّل علماؤنا (رضوان اللّهعليهم)في الحديث عن ذلك بما لامزيد عليه، وإن اردتَ التفصيل فراجع كتاب المراجعات للسيد الأجل شرف الدين (أعلى اللّه مقامه).

مَصادر واقعة الغدير

أيها القارىء الكريم: ولكي تزداد اطمئناناً ويقيناً، فانني اذكر لك اسماء بعض المصادر والكتب التي ذكرت هذه الواقعة المقدسة ـ ولو بصورة اجماليَّة ـ واذكر لك الجزء مع رقم الصفحة، حتى تراجعها بنفسك ـ إن شئت ـ فتقرأ الواقعة، ولايدخلك أيٌّ شك أو ريب في صحتها وصدقها.

وقبل ان اذكر اسماء المصادر، لابد من ذكر ملاحظات:

الاولى: ان بعض هذه الكتب والمصادر قد طُبعت مرّات عديدة، وباحجام مختلفة، ممّا ادّى الى زيادة عدد صفحاتها او نقصانها، بسبب حجم الكتاب، ولهذا فانني اؤكّد على ضرورة البحث عن الموضوع ـ في حالة عدم وجوده في الصفحة المشار إليها ـ في الصفحات السابقة أو اللاحقة، وعدم التسرع في اصدار الحكم الغيابي على المؤلّف، واتّهامه بالكذب وما شابه.

بل كن على ثقة ويقين بأنني لااذكر إلاّ عن مصادر وكُتب معروفة ومعتبرة، وليس لي أيّ هدف سوى بيان الحق والواقع.

الثانية: لقد تواردت الأنباء بأن جامعة الأزهر بالقاهرة ـ وبدعم دَولة عربية ـ شكَّلت لجنةً سريَّة، لهدف إعادة النظر في جميع الكتب والمصادر

المعتمدة عند اهل السنَّة، وفي طليعتها كتاب صحيح البخاري.

والهدف من ذلك: حذف ما ترى حذْفه وتحريف ما ترى تحريفَه من الأحاديث المرويَّة في فضل أهل البيت (عليهم السّلام) مما يمكن ان يستدل به الشيعة على حقيَّة مذهبهم.

وقد أُحيطت هذه اللجنة بالسريَّة والكتمان، وطَبعت بعض المصادر طباعةً حديثة، وحذفت منها احاديث، أو حرّفت منها بعض كلماتها الحسّاسة، كتحريف كلمة «خليفتي» الى «خليلي» وما شابه ذلك.

وقد قرأتُ كتاباً لأحد المنحرفين، يتهجَّم فيه على العلاّمة البحّاثّة الجليل السيد عبدالحسين شرف الدين (رضوان اللّه عليه) ويتّهمه بالكذب، لأنه ذكر في كتاب المراجعات حديثاً عن احد المصادر المعروفة، ثم راجَع الكاتب ذلك المصدر فلم يجد فيه الحديث، فراح يكيل الافتراءات الحاقدة على ذلك السيد الجليل.

مع العلم ان السبب ـ على فرض صحة قول الكاتب ـ يعود إمّا الى تعدد طبعات ذلك المصدر ـ كما اشرنا في النقطة السابقة ـ او الى ما تجنيه هذه اللجنة من التلاعب بالأحاديث.

وقد التقيتُ باثنين من علماء الدين، وكان كل واحد منهما يحتفظ بصحيح البخاري المطبوع قبل مائة عام في مصر، وقال: إن في هذه الطبعة احاديث ليست في الطبعات الحديثة!.

وعلى كل حال: فان هذه اللجنة تُشكِّل خطراً كبيراً على الاسلام وتراثه، فما كفانا تلاعب المستشرقين بتاريخنا الاسلامي وتشويههم لحقائقه، حتى جاء هؤلاء يُحرّفون الكلم عن مواضعه، ويرتكبون هذه الخيانة العظمى تجاه التراث الاسلامي الأصيل.

إن هذا يدل على مدى العصبية العمياء التي يُعاني منها علماء السوء، بحيث يُفضّلون تحريف الأحاديث أو حذفها، على قبول الحق واتّباعه.

فالى العالَم الاسلامي.

الى المسلمين في كل مكان أقول:

إن هذه اللجنة اذا استمرت في عملها الإجرامي، فان جميع الكتب والمصادر السُنّية سوف تفقد أصالتها التاريخية وقيمتها العلمية، ولايمكن الاعتماد عليها بسبب فقدان الثقة بها... فتداركوا الأمر قبل فوات الأوان.

وانني لا استبعد ان تقوم جامعة الأزهر ـ بعد اذاعة هذا السِرّ ـ بنفي هذا الخبر وتكذيبه... ولكن التجربة خير برهان، والطَبَعات القديمة متوفّرة في المكتبات العامّة.

ايها القارىء الكريم: إعلم أن ما اعتمدنا عليه ـ في ذكر واقعة الغدير وغيرها ـ إنما هي المصادر المطبوعة قديماً، أي قبل عشرين سنة فصاعداً، ولهذا حاولت ان أُسجّل ما عثرتُ عليه من سَنة طباعة بعض المصادر، إلا المصادر التي لم تُسجّل سَنة الطباعة.

الملاحظة الثالثة: ان بعض المصادر لم تذكر واقعة الغدير بصورة كاملة، بل اشارت اليها بصورة إجمالية، وذكرت جانباً وتركت جوانب اخرى، ولهذا فقد حاولتُ ان أستوعب الحديث عن هذه الواقعة المقدسة، مُقتطفاً من هذا المصدر وذاك.

إلا ان كل المصادر والوثائق التاريخية اتفقت على اصل الواقعة وهي: ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقف ـ عند منصرفه من حَجّة الوداع ـ بأرض غديرخم ورفع يد علي (عليه السّلام) وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه...» الى اخره، ثم اَخَذ البيعة

للامام من المسلمين.

وهذا هو بيت القصيد، وهو كاف لاثبات خلافة الامام علي أمير المؤمنين بعد رسول الله مباشرة.

والآن... اليك اسماء بعض المصادر:

١ـ تفسير اسباب النزول للواحدي ـ في تفسير آية التبليغ ـ.

٢ـ صحيح الترمذي ج٢ ص٢٩٨ وقال: هذا حديث حَسَن صحيح.

٣ـ سنن ابن ماجه ج١ ص٢٨و٢٩.

٤ـ سنن البغوي ج٢ ص١١٩.

٥ـ مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٠٩ وص٥٣٣ رواه بعدة طرق.

٦ـ الولاية في طرق حديث الغدير للمؤرّخ الشهير محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وقد روى فيه حديث الغدير عن نيف وسبعين طريقاً.

والسبب الذي دعا الطبري الى تأليف هذا الكتاب ـ على ما يذكره الحموي في كتاب معجم الادباء ج١٨ ص٨٠ في ترجمة حياة الطبري ـ هو ان احد مشايخ بغداد انكر واقعة الغدير وادّعى أن الامام علياً (عليه السّلام) كان في اليمن في حجة الوداع، فلمّا سمع الطبري بذلك كتب هذا الكتاب ـ في الردّ عليه ـ وتحدّث فيه عن صحة الأحاديث الواردة في غدير خُم.

وقال ابن كثير ـ في البداية والنهاية ج٥ ص٢٠٨: وقد اعتنى بأمر هذا الحديث [الغدير] ابو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير

والتاريخ، فجَمع فيه مجلّدين أورد فيهما طُرُقه وألفاظه.

٧ـ كتاب (مَن روى حديث غدير خم) لأبي بكر الجعابي ـ المتوفى سنة ٣٥٥ هـ ـ روى فيه حديث الغدير عن ١٢٥ طريقاً، وذكره السروي في المناقب ج١ ص٥٢٩.

٨ـ الدراية في حديث الولاية للحافظ السجستاني يقع في ١٧ جزءاً جمع فيه طرق حديث الغدير عن ١٢٠ من الصحابة.

٩ـ عدّة البصير في حج يوم الغدير لأبي الفتوح الكراجكي.

١٠ـ الولاية في طُرق حديث الغدير للحافظ ابن عقدة ـ المتوفى سنة ٣٣٣ هـ روى فيه حديث الغدير عن ١٠٥ طريقاً.

قال ابن حجر العسقلاني ـ في كتاب فتح الباري ـ: أمّا حديث «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» فقد اخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطُرُق جداً، وقد استودعها ابن عقدة في كتابٍ مفرد، وكثير من اسانيدها صحيح وحِسان.

١١ـ تفسير الفخر الرازي ج٣ ص٦٣٦.

١٢ـ تفسير ابن كثير ج٢ ص١٤.

١٣ـ تفسير النيسابوري ج٦ ص١٩٤.

١٤ـ تفسير الدُر المنثور للسيوطي ج٢ ص٢٥٩.

١٥ـ تفسير الشوكاني ج٢ ص٥٧.

١٦ـ تفسير المنار ج٦ ص٤٦٤.

١٧ـ روح المعاني للآلوسي ج٢ ص٣٥٠ وج٢ ص٢٤٩.

وقال: ثبت عندنا انه (ص) قال في حق الأمير هناك: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».

١٨ـ تفسير الطبري ج٣ ص٤٢٨.

١٩ـ تفسير القرطبي في تفسير آية التبليغ.

٢٠ـ تفسير ابي السعود ـ تفسير آية التبليغ.

٢١ـ تفسير السراج المنير للشريني ـ تفسير آية التبليغ.

٢٢ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٤٠.

٢٣ـ الاستيعاب لابن عبدالبر ج٢ ص٣٧٣.

٢٤ـ ذخائر العقبى للمحب الطبري الشافعي ص٦٧.

٢٥ـ الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي ص٢٥.

٢٦ـ فيض القدير للمناوي الشافعي ج٦ ص٢١٨.

٢٧ـ أُسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٣٠٧ وج٥ ص٢٠٥.

٢٨ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص١٣٠ و٣٥.

٢٩ـ الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج٢ ص١٦٩.

٣٠ـ كفاية الطالب ص١٥ للحافظ الشافعي الكنجي المتوفّى سنة ٦٥٨ هـ.

وقال: هذا حديث مشهور حَسَن رواه الثقات، وانضمام هذه الاسانيد بعضها الى بعض حجّة في صحّة النقل.

٣١ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١١٤.

٣٢ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ ص٢٩٠ وج٧ ص٣٧٧ وج١ ص٤٧.

٣٣ـ البداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٢٠٨ وج٧ ص٣٤٨.

٣٤ـ تاريخ ابن عساكر.

٣٥ـ تاريخ ابن خلدون في مقدّمة تاريخه.

٣٦ـ حلية الأولياء لأبي نعيم ج٤ ص٢٣.
٣٧ـ كنز العمال ج٦ ص٣٩٨ وج٢ ص١٥٤.
٣٨ـ تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ج٧ ص٣٣٧.
٣٩ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٧ ص٧٨٠ وج٦ ص٢٢٣ وج٢ ص٤٠٨.
٤٠ـ مسند الامام احمد بن حنبل ج٤ ص٣٧٢ وج١ ص١١٨.
٤١ـ التلخيص للذهبي ج٣ ص٥٣٣ وصحّحَه.
٤٢ـ مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٠٧.
٤٣ـ المعجم الكبير للطبراني.
٤٤ـ الخصائص العلوية للحافظ النسائي ص٢١ و٢٥.
٤٥ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ص٢٥ و٧٥ وقال: انه حديث صحيح لا مرية فيه.
٤٦ـ المواهب اللدُنّية للحافظ القسطلاني ج٧ ص١٣ وقال: طُرق هذا الحديث كثيرة جداً وكثير من اسانيدها صِحاحٍ وحِسان.
٤٧ـ ميزان الاعتدال ج٢ ص٣٠٣.
٤٨ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص١٦ نقلاً عن الترمذي.
٤٩ـ شمس الأخبار للقرشي ص٣٨.
٥٠ـ نُزُل الأبرار للبَدخشي ص٢١ وقال: هذا حديث صحيح مشهور، ولم يتكلم في صحته إلا متعصب جاحد لا اعتبار بقوله فان هذا الحديث كثير الطُرق جداً.
٥١ـ الامامة والسياسة للحافظ ابن قتيبة ج١.
٥٢ـ معجم الادباء لياقوت الحموي ج١٨ ص٨٤.

٥٣ـ الملل والنحل للشهرستاني.

٥٤ـ تذكرة الحفّاظ للحافظ الذهبي ج٣ ص٢٣١.

وقال:... وأمّا حديث: «مَن كنتُ مولاه...» فله طُرُق جيّدة، وقد افردتُ ذلك ايضاً.

اقول: لقد كتب الحافظ الذهبي كتاباً خاصاً بواقعة الغدير المقدَّسة، وسمّاه: طريق حديث الولاية.

٥٥ـ نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري.

٥٦ـ الخطط للمقريزي.

٥٧ـ اخبار الدول للقرماني الدمشقي.

٥٨ـ السيرة الحلبيّة للحلبي الشافعي ج٣ ص٣٠٢.

٥٩ـ مسند ابو يعلى الموصلي.

٦٠ـ تذكرة خواص الأُمَّة لسبط ابن الجوزي الحنفي ص١٨:

قال: اتّفق علماء السِيَر على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي (ص) من حجّة الوداع، في الثامن عشر من ذي حجّة، جَمَع الصحابة ـ وكانوا مائة وعشرين الفاً ـ وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» الحديث. نصَّ (ص) على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والاشارة.

٦١ـ مشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ للحافظ الطحاوي ـ المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ.

٦٢ـ المناقب لابن المغازلي الشافعي ـ المتوفّى سنة ٤٨٣ هـ.

قال ـ عن شيخه أبي القاسم، بعد روايته حديث الغدير ـ: هذا حديث صحيح عن رسول الله (ص) وقد رواه نحو مائة نفس، منهم العشرة المبشَّرة، وهو حديثٌ ثابت لااعرف له علَّة، تفرَّد عليٌّ بهذه الفضيلة لم

يشركه فيها أحد.

٦٣ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي.

٦٤ـ التمهيد في اصول الدين للباقلاّني.

٦٥ـ المرقاة في شرح المشكاة ج٥ ص٥٦٨ للهروي القاري الحنفي ـ المتوفّي سنة ١٠١٤ هـ ـ وقال: (هذا حديث صحيح لامِرية فيه، بل بعض الحفّاظ عدَّه متواتراً، إذ في روايةٍ لأحمد [بن حنبل] أنه سمعه من النبي ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي لمّا نوزع ايام خلافته).

٦٦ـ شرح المواهب للزرقاني المالكي.

٦٧ـ البيان والتعريف لابن حمزة الدمشقي الحنفي.

٦٨ـ زين الفتى للعاصمي وقال: وهذا حديث تلقَّته الأُمَّة بالقبول وهو موافق بالاصول. ثم رواه بطُرُق شتّى.

٦٩ـ سِرُّ العالمين ص٩ للغزالي ـ المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ.

قال: اسفرت الحجة وجهها واجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته (ص) في يوم غديرخم، باتفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».

٧٠ـ المناقب للحافظ ابي الفَرَج ابن الجوزي الحنبلي ـ المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ.

قال: (اتفق علماء السِير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي (ص) من حجّة الوداع في الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وكان معه ـ من الصحابة ومن الأعراب وممّن يسكن حوالي مكة والمدينة ـ مائة وعشرون الفاً، وهم الذين شهدوا معه (ص) حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة، وقد اكثر الشعراء في ذلك في تلك الحكاية).

٧١ـ إسعاف الراغبين للصبّان الشافعي، المطبوع بهامش نور الأبصار ص١٥٣.

٧٢ـ المعتصَر من المختصر لأبي المحاسن الحنفي ص٤١٣.

٧٣ـ وسيلة المآل في مناقب الآل للشيخ احمد بن باكثير المكّي الشافعي.

٧٤ـ اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب ص٣ للجزري الدمشقي الشافعي ـ المتوفّى سنة ٨٣٣ هـ ـ روى فيه حديث الغدير عن ثمانين طريقاً وقال:... وهو متواتر عن النبي (ص) رواه الجمُّ الغفير عن الجمِّ الغفير، ولاعبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لااطّلاع له في هذا العِلم [أي: علم الحديث]...

ثم ذكر اسماء مجموعة من الصحابة الذين روَوا حديث الغدير، وفي طليعتهم: ابو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقّاص وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم.

ثم قال: وثبت أيضاً أن هذا القول كان منه (ص) يوم غديرخم.

٧٥ـ اسنى المطالب للبيروتي الشافعي ص٢٢٧.

٧٦ـ تشنيف الآذان ص٧٧ للحافظ احمد بن محمد بن الصدِّيق الحضرمي.

وقال:... وأمّا حديث: «من كنت مولاه...» فتواتَر عن النبي (ص) من رواية نحو ستين شخصاً، لو اوردنا اسانيد الجميع لطال بنا ذلك جداً.

٧٧ـ العروةالوثقى للشيخ علاءالدين السمناني ـ المتوفى سنة٧٣٦ هـ.

قال ـ بعد ذكر حديث الغدير ـ: وهذا حديث متَّفق على صحته.

٧٨ـ انساب الأشراف للبلاذري.

٧٩ـ الصلاة الفاخرة بالأحاديث المتواترة ـ طبعة مصر ص ٤٩ ـ لمفتي الشام: الهادي الحنفي.

٨٠ـ تفسير الثعلبي.

ايها القارى الكريم: هذه اسماء ثمانين مصدراً من المصادر التي سجّلت واقعة الغدير المقدسة، وكلّها لعلماء اهل السنّة وائمتهم وحفّاظهم.

واعلم أنني لم اذكر هنا مصدراً شيعيّاً واحداً، لئلاّ يقول قائل: إن الشيعة تفرّدت بذكر واقعة الغدير.

كلا... فعلماء اهل السُنّة ايضاً ذكروا هذه القضية التاريخيّة.

هذا... ولو اردتُ ان اذكر اسماء المصادر الشيعيّة ـ التي تذكر واقعة الغدير المقدسة ـ لتضاعف العدد اضعافاً كثيرة.

بالاضافة الى أن هناك مصادر اخرى لأهل السُنّة لم اتعرَّض لذكرها، مراعاةً لاختصار الكتاب، ومن أراد المزيد من التفصيل فعليه بمراجعة الجزء الأول من كتاب الغدير للشيخ الأكبر عبدالحسين الأميني (رضوان اللّه عليه).

أيها القارىء الكريم: بعد ذِكر هذه المصادر والكتب المعتبرة: هل يبقى مجال لانكار ولاية الإمام علي بن أبي طالب وأنه فقط خليفة رسول اللّه؟؟

وهل يجوز التمسك بغيره ممن لم يَرد فيه نص أو بيان؟.

﴿ماذا بعد الحق إلا الضلال﴾؟!

﴿ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً﴾.

إكمال الدين

نعود الى الحديث عن واقعة الغدير المقدَّسة فنقول:

لمّا انتهت البيعة للامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقبل ان يتفرَّق الناس، هبط جبرئيل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهذه الآية الكريمة:

﴿اليومَ اكلمتُ لكم دينكم، واتممتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الاسلامَ ديناً﴾(١).

فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «اللّه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعلي بعدي».

أيها القارىء الكريم: لقد اتّفق المفسّرون والمحدِّثون من الشيعة على نزول هذه الآية ـ آية إكمال الدين ـ في يوم الغدير، وشاركهم في ذلك جمع غفير من علماء اهل السُنَّة وحفّاظهم ومحدِّثيهم، منهم:

١ـ الحافظ المؤرّخ ابن جرير الطبري ـ المتوفّى سنة ٣١٠ هـ ـ في كتاب الولاية باسناده عن زيد بن ارقم.

١ـ سورة المائدة/الآية ٣.

٢ـ الحافظ ابن مردويه الاصفهاني ـ المتوفّى سنة ٤١٠ هـ ـ عن أبي سعيد الخدري، كما في تفسير ابن كثير ج٢ ص١٤.

٣ـ الحافظ جلال الدين السيوطي في تفسيره ج٢ ص٢٥٩ عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة.

٤ـ الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ عن ابي هريرة.

٥ـ الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل.

٦ـ الخطيب الخوارزمي في المناقب ص٨٠ وص٩٤.

٧ـ الجويني الشافعي في فرائد السمطين ج١.

٨ـ الحافظ ابن المغازلي الشافعي في المناقب.

أيها القارىء الكريم: إن هذه الآية الكريمة ـ آية إكمال الدين ـ تستدعي الانتباه والالتفات الى بعض النقاط والبنود المهمّة فيها: فاللّه تعالى يقول:

﴿اليوم﴾ ونتساءل: أيُّ يوم هذا، الذي بَلَغَ من عظمته ان يكمل اللّه فيه الدين؟

والجواب: انه يوم الغدير المجيد، يوم الغدير الخالد... اليوم الذي احتفل فيه النبي بتتويج الإمام علي بن أبي طالب بتاج الخلافة العظمى والامامة الكبرى.

﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾ وهذا يعني أن الدين كان ناقصاً قبل هذا «اليوم» وهو يوم الغدير، يوم تعيين خليفة رسول اللّه، وأن الدين كمل بولاية علي وخلافته، ومعنى ذلك: أن الدين والايمان بلا علي يعتبر ناقصاً، كما أن الدين والايمان بلا رسول اللّه يعتبر ناقصاً أيضاً.

﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ وهذه النعمة هي: نعمة الهداية التامّة والولاية الكاملة التي تتحقق بالايمان باللّه ربّاً وبمحمد نبيّاً وبعلي إماماً.

وبتعبير آخر: الهداية التامة تتحقق بـ: لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه، علي وليّ اللّه.

وكأنّ اللّه تعالى يعتبر جميع نعمه السابقة غير تامّة على عباده الى هذا ﴿اليوم﴾ حيث ﴿اتممتُ عليكم نعمتي﴾ بولاية علي بن أبي طالب (عليهما السّلام).

﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ نعم... الإسلام المركَّب من التوحيد والنبوة والامامة هو المرضي عند اللّه تعالى، الإسلام الممزوج بالولاء لأهل البيت، والاعتقاد بامامتهم وعصمتهم.

أما الإسلام العاري عن الولاية... أما الإسلام الفاقد لعنصر الاعتقاد بامامة أهل البيت... أما الإسلام القائم على بغض آل محمّد فهذا مرفوض عند اللّه ولايرضى به سبحانه.

تاج الخلافة

لقد عرفتَ ـ أيها القارىء ـ ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) نَصَب الامام علي بن أبي طالب خليفة له في يوم الغدير... وقد كانت العادة ـ ولاتزال ـ جارية عند الملوك والأُمراء أن يُتوّجوا وليَّ عهدهم وخليفتهم ـ في يوم نَصبه ـ بتاج مكلّل بالذهب، مرصّع بالجواهر واللآلىء الثمينة.

وبما أنَّ أولياء اللّه لاينخدعون بالذهب والفضة وغيرهما من الزخارف الماديَّة، ولايهتمّون بهذه المظاهر التافهة مع قدرتهم عليها وعدم عجزهم عنها... فقد كان رسول اللّه ـ وهو سيد اولياء اللّه ـ زاهداً في هذه المظاهر، ومُعرضاً عن هذه المغريات، ومُقبلاً على المعنويات، ولهذا توَّج خليفته بتاجٍ هو أغلى مِن تيجان الملوك كلها وافضل من ثروة العالمين، بالرغم من بساطته... توَّجَه ـ بيده الكريمة ـ بتاج الخلافة العظمى والامامة الكبرى، توَّجَه بعمامته «السحاب»[1] في هيئة خاصة تُعرب عن العظمة

١ـ من لطيف ما يذكره المؤرخون ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان قد سمَّى كل ما يرتبط به باسم خاص، فمثلاً: سمّى عمامته: «السحاب» وعصاه: الممشوق وناقته: العضباء... وهكذا.

والجلالة والقدسيَّة والمهابة... في ذلك الجمع العظيم واليوم المجيد والعيد السعيد.

وفي هذا المجال يُحدثنا الامام علي (عليه السّلام) عن هذا التتويج النبوي المقدّس فيقول: «عَمَّمَني رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم غديرخُم بعمامة، فسَدَل طرفها على منكبي وقال: ان اللّه أيَّدني يوم بدر وحُنين بملائكة مُعتمّين بهذه العمامة[١].

وعنه (عليه السّلام) ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عمَّمه بيده، فذنَّب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثم قال النبي: ادبِر، فادبر، ثم قال له: أقبِل، فأقبل، واقبل على اصحابه فقال: «هكذا تكون تيجان الملائكة».

ويقول ابن عباس: لّما عمَّم رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) علياً قال: «ياعلي العمائم تيجان العرب»[٢].

ويقول الحلبي[٣]: كان له (ص) عمامة تُسمّى: السحاب، كساها علي بن ابي طالب (كرّم اللّه وجهه) فكان ربما طلع عليه على فيقول (ص): «اتاكم علي في السحاب» يعني عمامته التي وهبها له.

١ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٢٧.

٢ـ كتاب الغدير: ج١ ص٢٩٠.

٣ـ في السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٦٩.

الشهادة الثالثة في الأذان

وبعد واقعة الغدير.. حان وقت الصلاة، فوقف الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري ـ أو: بلال ـ وأذّن للصلاة.

وزاد في الأذان ـ بعد قوله: اشهد أن محمداً رسول اللّه ـ: أشهد أنَّ علياً وليُّ اللّه.

فأسرع المنافقون والمناوئون الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وشكوا إليه ما سمعوه من ابي ذر أو بلال وهم ينتظرون من النبي أن يزجر هذا المؤذّن وينهاه عن هذه الزيادة.

إلا أنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وجَّه اللوم والعتاب اليهم، فقال: أما وَعيتم خُطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية؟!

أما سمعتم قولي في ابي ذر: «ما اظلَّت الخضراء ولااقلَّت الغبراء على ذي لهجةٍ اصدق من ابي ذر»؟!

ثم قال لهم: إنكم لَمنقلبون بعدي على اعقابكم![1].

١ـ كتاب السلافة في امر الخلافة للشيخ عبداللّه المراغي، مِن علماء السنَّة في القرن السابع الهجري. وذكره الشيخ عبدالعظيم الربيعي في كتاب السياسة الحسينية ص١٠٨.

وفي هذا الحوار ترى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوافق على هذه الزيادة ويقرّرها ـ وتقرير المعصوم حُجّة ـ ويُمضيها لكي تكون جزءاً في الأذان يُنادى بها كلّما نودي باسم اللّه ورسوله، وكلّما جاء ذِكر التوحيد والنبوة.

ويُحتمل أن يكون النبي نفسه قد أمر أبا ذر ـ أو: بلالاً ـ بهذه الزيادة في الأذان، لِعلمه أن المنافقين سوف ينتقدون هذه الخطوة المباركة، فيردُّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عليهم انتقادهم ويُقرّر مقالة أبي ذر.

وترى كيف شدَّد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الإنكار على اولئك المُنتَقدين وقال لهم: «أما وَعَيتم خُطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية»؟!

أي: ما معنى تلك الخطبة الطويلة التي القيتُها عليكم في ذلك الحرِّ الشديد والصحراء المُلتهبة؟!!

ويزيد الإنكار... بقوله: «أما سمعتم قولي في ابي ذر: ما اظلّت الخضراء ولاأقلّتِ الغبراء على ذي لهجة اصدق من أبي ذر»؟!

أي: أن ابا ذر لايتصرَّف سُدى، بل انه ثقةٌ صدوق، لايقول إلا الصدق، فلماذا جئتم تشكونه إليَّ؟!

ثم كشَف (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن حقيقة اولئك المُنتقدين وعاقبة امرهم بقوله: انكم لَمنقلبون بعدي على اعقابكم!!

أي: انكم سوف تنحرفون من بعدي، وتتمرَّدون على خليفتي، ويكون عاقبة امركم الى سوء، وكأنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اشار الى قوله تعالى: ﴿وَما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خلَت مِن قَبله الرُسُل، أفإن ماتَ أو قُتل انقلبتم على أعقابكم، ومَن ينقلب على عَقبيه فلن يضرَّ اللّه شيئاً

وسَيَجزي اللّهُ الشاكرين﴾(١).

ومعنى كلام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هو أن الامام علي بن ابي طالب هو الركن الثالث للدين ـ بعد اللّه والرسول ـ وأن الإمامة هي العمود الثالث للاسلام ـ بعد التوحيد والنبوَّة ـ.

أخي القارىء: بالاضافة الى الحديث المذكور، هناك احاديث اخرى عامّة، تأمر بالشهادة الثالثة [وهي قول: أشهد أن علياً أمير المؤمنين وليُّ اللّه] بعد الشهادتين.

ونظراً لأهميَّة هذا الموضوع وكثرة السؤال عنه، فان من المناسِب ـ والضروري جداً ـ أن نتحدث عنه بشيء من التفصيل... ثم نعود لنواصل الحديث عمّا يتعلَّق بواقعة الغدير المقدَّسة:

اللّه والشهادة الثالثة

إن أول مَن أمر بذِكر الامام علي بعد الشهادتين هو اللّه سبحانه وتعالى، فقد روي عن الامام الصادق (عليه السّلام) أنه قال: «لمّا خَلق اللّه السماوات والأرض، أمر منادياً فنادى:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ـ ثلاث مرات ـ

أشهد أن محمداً رسول اللّه ـ ثلاث مرات ـ

أشهد أن علياً أميرُ المؤمنين حقّاً ـ ثلاث مرات ـ»(٢).

ونتساءل: لماذا أمر اللّه بهذه النداءات الثلاثة معاً؟

وعلى ماذا يدلّ ذلك؟

١ـ سورة آل عمران/الآية ١٤٤.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٩٥، وقريب منه في الأمالي للصدوق: مجلس٨٨.

ألا يدل على ضرورة مقارنة الشهادتين بالشهادة الثالثة؟!

ألا يدل على أن الايمان يجب أن يرتكز على هذه الشهادات الثلاث؟!

الجواب: بلى... هو كذلك.

ونعود لنؤكد أن المؤمن ـ في منطق اللّه والرسول ـ هو الذي يؤمن ـ قولاً وعملاً ـ بـ: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين وليّ اللّه.

وغير هذا ليس مؤمناً، بل هو مسلم يحقن ـ بالشهادتين ـ دمه وماله وعرضه فقط.

وجميع الآيات القرآنية التي تُبتدأ بـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ هي في الحقيقة تُخاطب المؤمنين بهذه الشهادات الثلاث معاً.

وخلاصة الحديث: إن اللّه تعالى لم يكتفِ بالشهادتين، بل أمر سبحانه مُناديَه أن يضمّ إليهما الشهادة لأمير المؤمنين بالولاية، وهذا دليل على ضرورة الإتيان بالشهادة الثالثة كلما جاء ذكر اللّه ورسوله.

رسول الله والشهادة الثالثة

أمّا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فالأحاديث مرويّة عنه باستحباب ذِكر الامام علي (عليه السّلام) كلّما جاء ذكر اللّه ورسوله.

وفيما يلي نذكر نماذج منها:

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): مَن قال: (لا إله إلاّ اللّه) تفتَّحت له أبواب السماء، ومَن تلاها [أي أتبعها] بـ (محمّد رسول اللّه)

تَهلَّل وجه الحق سبحانه[١] واستبشر بذلك، ومَن تلاها بـ (علي وليّ اللّه) غَفر اللّه له ذنوبه ولو كانت بعدد قَطر المطَر[٢].

إنّ هذا الحديث يُصرِّح بجواز ذِكر إسم الامام علي (عليه السّلام) بعد ذِكر اللّه ورسوله، من غير فرقٍ بين الأذان وغيره، فهو عام يشمل كل مجال.

بل إنّ هذا الحديث يدلّ على إستحباب هذا الذِكر ومطلوبيَّته ومحبوبيَّته عند اللّه تعالى، ولهذا قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ومَن تلاها بـ (عليّ وليّ اللّه) غَفر اللّه له ذنوبه ولو كانت بعدد قَطر المطَر»!!

فهل نحتاج ـ بعد هذا ـ الى دليلٍ على الجواز أولاً، والاستحباب ثانياً؟!

وهل تعرف مقالة أوضح وأبلغ من مقالة خاتم الأنبياء؟!

ولو لم تكن هذه الجملة مَرضيَّة عند اللّه تعالى، فهل كان اللّه تعالى يغفر ذنوب قائلها ولو كانت بعدد المطَر؟!

إن اللّه تعالى يدعو المسلمين – على لسان رسوله المصطفى ـ الى أن يقولوا جميعاً: عليٌّ وليُّ اللّه، كلّما قالوا: لا إله إلاّ اللّه، محمدٌ رسول اللّه، سواء في الأذان أم غيره.

١ـ الحق ـ هنا ـ هو اللّه تعالى، ولاشك أن قوله: ﴿تهلَّل وجه الحق﴾ إنما هو من باب المَجاز لا الحقيقة، لأنه قد ثبت ـ على ضوء القرآن والعقل ـ أن اللّه ليس بجسم، وليس مُركَّباً من الأعضاء والجوارح، فقوله: ﴿تهلَّل وجه الحق﴾ كناية عن رضا اللّه تعالى بهذا القول ـ وهو ذِكر الامام علي بعد ذِكر رسول اللّه ـ وشمول رحمته تعالى ومغفرته لقائله. وهذا النوع من المجازات كثير في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص٣١٨.

هذا... ويحتمل أن يكون الرسول نفسه قد أمر المؤذّن بهذه الخطوة المباركة ولانستبعد هذا الاحتمال، لأن صحابيّاً جليلاً ـ كأبي ذر أو بلال ـ لايتصرّف هذا التصرّف من تلقاء نفسه، فلابد من أحد امرين: إمّا أن يكون النبي قد أمره، وإمّا أن يكون هوَ قد فهم من خطبة الغدير ذلك، ثم قرَّر النبي خطوتَه وامضاها ووافق عليها.

وعلى كلّ حال... فلو لم يكن هناك دليل على جواز وإستحباب ذِكر إسم الامام علي (عليه السّلام) ـ في الأذان وغيره ـ غير الحديث النبوي السابق، لكفى دليلاً وبرهاناً لمن ليس في قلبه مَرض.

أيها القارىء الكريم:

ومن الأحاديث المذكورة في هذا المجال ما روي أنَّ جماعة ـ من العرب والعجم والقِبط والحَبَشة ـ حضروا عند رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال لهم: ءأقررتُم بشهادة لا إله إلاّ اللّه وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عليَ بن أبي طالب أمير المؤمنين ووليُّ الأمر بعدي؟

فقالوا: اللهم نَعم.

فكرَّره (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ثلاث مرّات، وهم يشهدون على ذلك[1].

ومن هذا الحديث نعرف مدى تركيز النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على ضرورة الشهادة الثالثة وأنها مُكمِّلةٌ للشهادتين.

ولم يكتف (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بأخذ الاعتراف والإقرار منهم مرَّة واحدة، بل كرَّره ثلاث مرات، ليعرفوا جيّداً أن الايمان يرتكز

١ـ كتاب الأمالي للصدوق: ص٢٣٠ مجلس٦٠.

على هذه الشهادات الثلاث، وأن الانحراف عنها ـ كمجموع ـ يُعتبر زلّة كبيرة.

وإليك ـ أيضاً ـ هذا الحديث:

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «والذي بعثني بالحق بشيراً، ما استقرَّ الكرسي والعرش، ولا دارَ الفلك ولاقامت السماوات والأرض إلا بأن كتَب اللّه عليها: لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين...» الى آخر الحديث[١].

اهل البيت والشهادة الثالثة

وتعال معي ـ أيها القارىء ـ الى تاريخ أهل البيت الذين اذهب اللّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً... لتجد أنهم كانوا يُردّدون مقالة جدّهم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وكلّهم نورٌ واحد.

فهذا الامام جعفر الصادق ـ حفيد رسول اللّه وخليفته الشرعي السادس ـ يأمر بِذكر الامام علي (عليه السّلام) كلّما جاء ذكر اللّه ورسوله.

فقد روي عن القاسم بن معاوية قال: قلت لأبي عبداللّه الصادق (عليه السّلام): هؤلاء[٢] يَروون حديثاً في معراجهم أنه لّما أُسري برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) رأى على العرش [مكتوباً]: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، أبو بكر الصِدّيق.

١ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٨.

٢ـ يقصد بـ «هؤلاء»: المخالفين المنحرفين عن اهل البيت (عليهم السّلام).

فقال الامام (عليه السّلام) : سبحان اللّه ! غيَّروا كلَّ شيء حتّى هذا؟!(١).

قلت: نعم.

قال (عليه السّلام): «إن اللّه عزّوجلّ لمّا خلق العرش كَتب على قوائمه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين.

[الى أن قال (عليه السّلام): ولمّا خَلق اللّه عزّوجلّ الكرسي كَتب على قوائمه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي امير المؤمنين.

ولمّا خلق اللّه عزّوجلّ اللّوح كَتب فيه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين.

ولمّا خَلق اللّه عزّوجل إسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين.

ولمّا خلق اللّه عزّوجلّ جبرئيل كتب على جناحه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين.

ولمّا خلق اللّه عزّوجلّ الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين.

ولمّا خلق اللّه عزّوجل الشمس كتب عليها: لا إله إلاّ اللّه، محمد

١ـ هذه الجملة ـ من كلام الامام الصادق (عليه السّلام) ـ تكشف النقاب عن التزوير الفضيع الذي ارتكبه المخالفون والمناوئون في الأحاديث النبويّة، من اجل ان يَنحتوا لرجالهم هالةً من القداسة والعظمة، مقابل ما لأهل البيت من الشخصية الربّانية والعظمة الالهية، فيقول (عليه السّلام) متعجّباً: «سبحان اللّه! غيَّروا كلَّ شيء حتى هذا».

ومن هنا تعرف حقيقة حديث (العشَرة المبشَّرة) وأمثاله من الأحاديث الموضوعة.

رسول اللّه، علي أمير المؤمنين.

ولمّا خلق اللّه عزّوجلّ القمر كتب عليه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علي أمير المؤمنين...».

أيها القارىء: إلتفت الى هذه الجملة جيّداً:

ثم قال (عليه السّلام): فاذا قال أحدكم: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، فليقل: عليٌ أمير المومنين وليُّ اللّه»[1].

ما أعظمَ هذا الحديث!

إنه حديثٌ جليل يكشف لنا عن اهميَّة إنضمام الشهادة الثالثة الى الشهادتين في جميع المجالات.

فانظر ـ أيها القارىء ـ الى مدى تركيز اللّه تعالى على اسم الامام علي (عليه السّلام) كلّما جاء ذِكرُه سبحانه وذِكر رسوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

فلماذا هذا التركيز؟

ولماذا هذا الإصرار على كتابة اسم الامام علي (عليه السّلام) على العرش والكرسي واللَّوح وجبهة إسرافيل وجناح جبرئيل وأكناف السماوات وأطباق الأرضيين ورؤوس الجبال والشمس والقمر؟!

أليس في كل هذا دلالة على مطلوبيَّة ذِكر الامام علي (عليه السّلام) عند اللّه تعالى؟

ثمّ انك ترى أن الامام الصادق (عليه السّلام) يأمر باستلهام هذا الدرس من اللّه تعالى فيقول: «فاذا قال احدكم: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه، فليقل: عليٌ أمير المؤمنين وليُّ اللّه».

١ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص١.

وهذا الأمر عامٌ يشمل الأذان وغيره.

قال شيخ الاسلام المجلسي ـ بعد الإشارة الى هذا الحديث ـ: ... فيدلّ على إستحباب ذلك عموماً، والأذان من تلك المواضع، وقد مرَّ امثال ذلك ـ أي أمثال هذا الحديث ـ في أبواب مناقبه (عليه السّلام)(١).

فتاوى الفقهاء

وإستناداً الى هذه الأحاديث الشريفة ـ وأمثالها ـ وغيرها من الأدلَّة، فقد أفتى علماء الدين وفقهاء الشريعة بجواز قول: (أشهد أن علياً أمير المؤمنين وليُّ اللّه) في الأذان.

بل افتى جمعٌ كبير منهم باستحباب ذلك ورجحانه، وأفتى آخرون بوجوبه ـ بالعنوان الثانوي ـ في العصر الحاضر.

وقد كتب بعض العلماء كُتباً مستقلَّة حول هذه الشهادة وأدلَّة جوازها واستحبابها ورجحانها(٢).

قال الشيخ محمد حسن ـ صاحب موسوعة (الجواهر) في الفقه والتي تُعتبر من اوسع الموسوعات الفقهية،وعليها مَدارالاجتهاد والاستنباط ـ في رسالة نجاة العباد، عند حديثه عن الأذان: (تُستحب الصلاة على محمد

١ـ بحار الأنوار: ج٨٤ كتاب الصلاة: ص١١١.

٢ـ وممن كَتب في هذا المجال هو العلاّمة الجليل السيد عبدالرزاق الموسوي المقرَّم، فقد كتب كتاباً خاصاً حول هذا الشعار المقدَّس سمّاه: سِرُّ الايمان، وقد ذكر في كتابه هذا اسماء مايزيد على سبعين فقيهاً من فقهاء الشريعة وعلماء الدين، وكلّهم يفتون بجواز هذه الشهادة أو استحبابها أو وجوبها. فجزى اللّه السيد المقرَّم عن الحق واهله خير الجزاء.

وآله ـ عند ذِكر إسمه ـ وإكمالُ الشهادتين بالشهادة لعلي (عليه السّلام) بالولاية للّه وإمرة المؤمنين، في الأذان وغيره).

وقال السيد الحكيم: (لابأس بالاتيان بالشهادة بالولاية، بقصد الاستحباب المطلق، لما في خبر الإحتجاج: «اذا قال احدكم: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، فليقل: عليٌّ أمير المؤمنين» بل ذلك ـ في هذه الأعصار ـ معدودٌ من شعائر الايمان ورمزٌ الى التشيُّع، فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً، بل قد يكون واجباً)[1].

وخلاصة القول: ان المشهور بين الفقهاء والعلماء هو رجحان الشهادة الثالثة واستحباب الاتيان بها في الأذان، قربةً الى اللّه تعالى.

وإنما ذكرنا بعض كلماتهم (رضوان اللّه عليهم) كنماذج مما صَدر منهم من الفتوى في هذا المجال.

بعد كل ما سَبق... نقول : ذاك كلام اللّه، وذاك حديث رسوله، وتلك احاديث الأئمة الطاهرين، وهذه فتاوى الفقهاء... فهل بعد ذلك كلّه يبقى مجال للتهريج والرمي بالبدعة؟!

شعار الشيعة

وقد صارت هذه الكلمات: (أشهد أن علياً وليُّ اللّه) شعاراً للمسلمين الشيعة أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) يتمسّكون به في الأذان والإقامة، وفي سائر المجالات الدينية، اطاعةً للّه ورسوله.

وقد تعرَّضوا ـ بسبب ذلك ـ لحمَلات النقد والتهريج، ولكنهم

١ـ مستمسك العروة الوثقى لآية اللّه الحكيم: ج٤ ص١٤.

صَمدوا تجاهها، وتصدَّوا لها، وازدادوا ايماناً وتمسّكاً بهذا الشعار الالهي، لأنهم عرفوا أنه الحق، وليس بعد الحق إلاّ الضلال.

وعلى كل مسلمٍ ـ يلتزم بأوامر اللّه ورسوله ـ ان يتمسَّك بهذا الشعار، ويأتي به في الأذان وغيره.

وحَذار.. حَذار أن يتركه، فيكون ممن قال لهم الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): إنكم لَمنقلبون بعدي على أعقابكم.

أيها القارىء الكريم: لقد توسَّعنا في التحدث عن هذا الموضوع، نَظراً لأهميته الفائقة.

والآن نعود لنواصل الحديث عما يتعلَّق بواقعة الغدير المقدَّسة:

قنبُلة السَماء

انتشر خبر الغدير في الأوساط والأقطار، وصار حديث الساعة بين الناس، وأصبح المسلمون يخاطبون الامام علياً (عليه السّلام): ياأمير المؤمنين من بعد تلك الواقعة.

رجل من الأعراب الغلاظ اسمه: النعمان بن الحارث الفهري كان مُعادياً لعلي (عليه السّلام) وحاقِداً على أهل البيت.. بَلَغه حديث «الغدير» وتعيين النبي علياً خليفة من بعده، فلم يعجبه ذلك وطغت فيه نزعة الشيطان، ورأى كأنّ الحقد يمزّقه، والشرّ يدفعه نحو النبي (ص) لانتقاد هذه الخطوة المباركة!

لم يعلم الجاهل أن خطوات الرسول وإنجازاته كلها من عند اللّه تعالى، وكأنه تغافل أو تجاهل عن أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لايعترف بأي رأي وإجتهاد أمام أمر اللّه...

كان النبي (ص) يصلي بـ «الأبطح» إذ وصل هذا الأعرابي المتمرّد وأوقف راحلته عند الباب ودخل بكل تكبّر وحِقد ووقف أمام النبي قائلاً:

يا محمّد؟

رفع النبي رأسه.

مَن هذا الوحش الّذي نادى رسولَ اللّه باسمه؟.

ألم ينه اللّهُ المسلمين عن نداء النبي باسمه الشخصي؟

ألم يقل سبحانه: ﴿لاتجعلوا دُعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾؟

ألم يقل عزّوجلّ: ﴿ولكن رسولَ اللّه وخاتم النبيين﴾؟

رأى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن الرجل من الأعراب الذين لم يتأدّبوا بعدُ بآداب الإسلام ولم يتمدّنوا بمُدنية الايمان.

ولذلك بدأ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يستمع الى مقالة الأعرابي:

(يامحمد... أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلاّ اللّه فقَبِلنا.

وأمرتنا أن نشهد انك رسول اللّه... فقبلنا وفي القلب شيء؟!.

وأمرتنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج فقبلنا.

ولم ترض بهذا حتى أخذت بعضد ابن عمك وفضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليٌ مولاه.

فهل هذا شيء مِن عندك أم مِنَ اللّه)؟

يا لَلوقاحة والصلافة!

يا لَسوء الأدب وقلة الحياء!

أهذا اسلوب السؤال من خاتم الأنبياء؟!

لكن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) التفت إليه وبدأ يجيبه بلسان الحِلم والأخلاق وبمنطق الحِكمة قائلاً:

«يا هذا... واللّه الذي لا إله إلاّ هو إنَّ هذا من عند اللّه».

والآن ماذا؟

أليس المفروض: الإطاعة والتسليم؟

أليس الواجب: الرضا والإقتداء؟

ولكن الأعرابي ولّى يريد راحلته وهو يقول:

(اللهم... إن كان ما يقوله محمّد حقاً فأمطِر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم).

فما تمَّ دعاؤه حتى رماه اللّه بحَجر صغير من السماء، فسقط على رأسه وخرج مِن دُبره وسقط الرجل المعانِد على الأرض ميّتاً!

ونَزل الوحي على رسول اللّه بقوله تعالى:

﴿سَأل سائلٌ بعذابٍ واقع، للكافرين ليسَ له دافع، مِنَ اللّه ذي المعارج﴾[1].

[فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لأصحابه: رأيتم؟!

قالوا: نعم.

فقال: وسمعتم؟!

قالوا: نعم.

فقال: طوبى لمن والاه، والويل لمن عاداه، كأني أنظر الى علي وشيعته، يُزَفُّون على نُوقٍ من رياض الجنَّة، شباب مُتوَّجون مُكَحَّلون، لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، قد أُيِّدوا برضوان من اللّه أكبر، ذلك الفوز العظيم...][2].

وكانت هذه الآية صاعقة في وجوه المعاندين، وصرخةً في آذان المتمرّدين،وانذاراً لكل من يحارب أميرالمؤمنين ويرفض واقعة الغدير، انذاراً

١ـ سورة المعارج.

٢ـ هذه الزيادة ـ بين القوسَين ـ موجودة في بعض المصادر، ولهذا جعلناها بين قوسين.
بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٦٧.

له بغضب اللّه ورسوله،وبالمصيرالاسود،والآخرةالمظلمة،والعذاب الأليم!؟.

أيها القارىء الكريم:

أمّا المصادر والكتب التي تَذكر هذه الواقعة وتذكر نزول آية ﴿سأل سائل﴾ فيها فهي كثيرة، اذكر لك بعضها حتى تعرف أن خلافة الإمام علي أمير المؤمنين ثابتة من السماء قبل الأرض، ومن القرآن قبل الحديث، وأن اللّه ينصر من نصر علياً ويخذل من خذله:

١ـ تفسير القرطبي ـ في تفسير الآية.

٢ـ تفسير غريب القرآن للحافظ الهروي ـ في تفسير الأية.

٣ـ تفسير أبي السعود ج٨ ص٢٩٢.

٤ـ تفسير السراج المنير للشربيني الشافعي ج٢ ص٣٦٤.

٥ـ تفسير المنار ـ في تفسير الآية.

٦ـ تفسير مجمع البيان ـ في تفسير الآية.

٧ـ تفسير الميزان للطباطبائي ـ في تفسير الآية.

٨ـ تفسير الصافي ـ في تفسير الآية.

٩ـ تذكرة سبط ابن الجوزي الحنفي ص١٩.

١٠ـ فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحمويني باب ١٣.

١١ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٢٦.

١٢ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٢١٨.

١٣ـ السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٢.

١٤ـ شرح الجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٣٨٧.

١٥ـ نور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص٧٨.

هذه خمسة عشر مصدراً من عشرات المصادر التي سَجّلت نزول العذاب في هذه الواقعة، وتكفي هذه لمن أراد أن يتبصّر.

عيدُ الغَدِير

لعل هذا العنوان يكون ـ في بادىء الأمر ـ غريباً عند البعض، ويتساءلون: ما هو عيد الغدير؟ ومَن اعتبر يوم الغدير عيداً اسلامياً؟.

ولكن هذا العنوان ينقلب طبيعياً عندهم إذا عرفوا: أن أول مَن اعتبر يوم الغدير عيداً اسلامياً هو نفس رسول الاسلام محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

وقد أعلن النبي عن هذا العيد في نفس يوم الغدير ـ بعدما عيّن الامام علي بن أبي طالب خليفة من بعده ـ فقد أقام مراسيم العيد بأن جلس (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في خيمته يستقبل المهنّئين بكل بشاشة ورحابة ويشاركهم في الفرح والسرور وهو يقول لهم: هنّئوني ... هنّئوني... إن اللّه تعالى خَصَّني بالنبوة وخَصَّ أهلَ بيتي بالامامة[1].

لم نجد في تاريخ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وحياته وأفراحه يوماً قال فيه: هنّئوني... هنّئوني... إلاّ يوم الغدير!

حتى يوم هجرته من مكة الى المدينة وخَلاصه من المشركين لم يقل:

١ـ كتاب شرف المصطفى للحافظ ابي سعيد الخركوشي النيسابوري.

هنّئوني، ويوم فتح مكَّة وانتصار المسلمين لم يقل: هنّئوني. ولكنه في يوم الغدير كان يُكرّر قوله: هنّئوني... هنّئوني.

لماذا؟

لأنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يُدرك ـ بعمق ـ عظمة هذا اليوم ويعلم جلالة هذه الذكرى وأفضلية هذا العيد!

ولذلك قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «يومُ غديرخُم أفضل أعياد أُمتّي، وهو اليوم الذي أمرني اللّه ـ تعالى ذِكره ـ بنصب أخي علي بن أبي طالب عَلَماً لأُمتي، يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل اللّه فيه الدين، وأتمَّ فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً»[1] وفي هذا الحديث يَعتبر النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يومَ الغدير:

أولاً: ـ عيداً اسلامياً خالداً في عداد الأعياد الإسلامية.

وثانياً: ـ يعتبر (ص) عيد الغدير أفضل الأعياد الاسلامية الاخرى على الإطلاق.

الامام علي وعيد الغدير

ومن بعد النبي الأعظم جاء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام)[2] ليتّخذ بنفسه يوم الغدير عيداً إسلامياً، فقد خطب فيه في سنة اتفق فيها يوم الجمعة والغدير معاً، ومن خطبته قوله (عليه السّلام):

«إن اللّه عزّوجلّ جَمع لكم ـ معشر المؤمنين ـ في هذا اليوم عيدين

١ـ راجع كتاب الغدير للأميني: ج١ ص٢٨٣ وقد ذكرنا ان آية «اكمال الدين» نزلت يوم الغدير.

٢ـ يوم تسلّم السلطة بعد مقتل عثمان.

عظيمين كبيرين، ولايقوم أحدهما إلا بصاحبه ليُكمل عندكم جميلَ صنعه، ويوقفكم على طريق رُشده ويقفو بكم آثار المستضيئين بنور هدايته... فجعل الجمعةَ مجمعاً نَدبَ اليه لتطهير ما كان قبله، وغَسل ما أوقعته مكاسبُ السوء من مثله الى مثله[١].... فلايَقبل توحيداً إلاّ بالاعتراف لنبيّه (صلّى اللّه عليه وآله) بنبوّته، ولايقبل ديناً إلاّ بولاية مَن أمر بولايته، ولاتنتظم أسبابُ طاعته إلا بالتمسك بعصَمِه وعِصَم أهل ولايته، فأنزل على نبيه (صلّى اللّه عليه وآله) في يوم الدوح[٢] ما بَيَّنَ به عن ارادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأَمَره بالبلاغ وتركِ الحفل بأهل الزَيغ والنفاق وضَمِن له عصمته منهم».

ثم أمرهم الإمام بإجراء مراسيم العيد في هذا اليوم فقال:

«عودوا رحمكم اللّه بعد انقضاء مَجمعكم بالتوسعة على عيالكم، وبالبرّ باخوانكم، والشكر للّه عزّوجلّ على ما منَحكم، واجمعوا يجمع اللّه شملكم، وتبارُّوا يَصِل اللّه إلفتكم، وتهادُوا نعمة اللّه كما منَّكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلا في مثله، والبرّ فيه[٣] يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة اللّه وعطفَه، وهيّئوا لإخوانكم وعيالكم من فضله بالجهد من جودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشرَ فيما بينكم والسرورَ في ملاقاتكم....»[٤].

١ـ أي: من الجمعة الى الجمعة.

٢ـ الدَوح: جمع دَوحة وهي الشجرة العظيمة، وقد يعبَّر عن يوم الغدير بيوم الدَوح لتواجد الأشجار العظيمة في ارض الغدير بكثرة.

٣ـ أي: في يوم عيد الغدير..

٤ـ الغدير: ج١ ص٢٨٤، ومصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ص٥٢٤.

وقال (صلوات اللّه عليه) ـ في خطبة له يوم الغدير ـ: «إنّ هذا يومٌ عظيم الشأن، فيه وَقَع الفَرَج، ورُفع الدرج[١] وصحَّت الحُجج[٢] وهو يوم الإيضاح والإفصاح، عن المقام الصراح[٣] ويوم كمال الدين، ويوم العهد المعهود، ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود، ويوم البيان عن حقائق الإيمان، ويوم دحر الشيطان[٤] ويوم البرهان، هذا يوم الفصل الذي كنتم توعدون، هذا يوم الملأ الأعلى الذي انتم عنه مُعرضون، هذا يوم الإرشاد، ويوم المحنة للعباد[٥] ويوم الدليل على الذوّاد[٦] هذا يومُ إبداءِ أحقاد الصدور ومُضمَرات الامور، هذا يومُ النُصوص على اهل الخصوص، هذا يوم شيث، هذا يوم إدريس، هذا يوم يوشَع، هذا يوم شمعون...»[٧].

١ـ الدرج: المراتب.

٢ـ صحَّ: ثبت. الحُجج ـ جمع حُجَّة ـ وهي الدليل والبرهان، والمعنى ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اكّد ـ في يوم الغدير ـ على خلافة الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) واثبته اكثر من أي وقت، فصارت الحجة على خلافته اقوى.

٣ـ الصراح: الخالص، فالمقام قد يكون خالصاً، وقد يكون مغشوشاً، أي مغصوباً ـ مثلاً ـ.

٤ـ الدحر: الطرد. وفي الأحاديث أن الشياطين ضجّوا الى إبليس من خطبة النبي يوم الغدير، لأنها لم تترك أي مجالٍ للانحراف عن الامامة والولاية، ولكن ابليس أخبرهم بمؤامرة السقيفة، فهدؤا. راجع بحار الأنوار: ج٣٧ باب اخبار الغدير.

٥ـ المحنة: الامتحان والإختبار، وقد جعل اللّه يوم الغدير من اعظم ما امتَحن به المسلمين ـ ولازال الامتحان جارياً حتى هذا اليوم... وفي كل زمان ومكان ـ ففاز بعضٌ وخسر آخرون.

٦ـ الذَوّاد: المدافع والمحامي، والظاهر ان الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) يُشير الى نفسه المقدَّسة، وأن يوم الغدير دليلٌ ومُرشِدٌ الى خلافته (عليه السّلام) وإمامته وفضيلته.

٧ـ كتاب بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٦٤.

أيها القارىء الكريم: إن كلَّ جملة ـ من جُمَلات هذا الحديث الشريف ـ تنطوي على معان، وتشير الى امور وقضايا، نترك توضيحها والتحدث عنها الى مجال آخر.

أئمة أهل البيت وعيد الغدير

ومِن بعد الإمام علي أمير المؤمنين جاء الإمام الحسن والحسين والأئمة الطاهرون من وُلده يخلّدون يوم الغدير(١) ويتخذونه عيداً لهم في كل عام، يجلسون فيه للتهنئة والسرور بكل بهجة وحبور ويتقرّبون فيه إلى اللّه عزّوجلّ بالصوم والصلاة والابتهال بالدعاء اليه تعالى، ويبالغون فيه بالبِر والإحسان وإطعام الطعام، شكراً لما أنعم اللّه عليهم في مِثل هذا اليوم من النص على أمير المؤمنين بالخلافة، والعهد إليه بالامامة، وكانوا يَصِلون فيه أرحامهم، ويوسّعون على عيالهم، ويزورون إخوانهم، ويأمرون شيعتهم بذلك كله(٢).

والآن إليك ـ أيها القارىء ـ هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة:

١ـ عن أبي الحسن الليثي عن الامام الصادق (عليه السّلام) انه قال ـ لمن حضره من مواليه وشيعته ـ: أتعرفون يوماً شيَّد اللّه به الاسلام واظهرَ به منارَ الدين وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: اللّه ورسولهُ وابن رسوله أعلَم، أيوم الفطر هو ياسيدنا؟

قال (عليه السّلام): لا.

قالوا: أفَيوم الأضحى هو؟

١ـ وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

٢ـ هذه مقتطفات من كتاب المراجعات ص١٩٧.

فقال الامام: لا، وهذان يومان جليلان شريفان. ويومُ منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لما انصرف من حجة الوداع وصار بغديرخُم...» إلى آخر الحديث.

٢ـ عن فرات بن أحنف أنه قال للإمام الصادق (عليه السّلام): جُعلتُ فداك: للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عَرَفة؟؟.

قال (عليه السّلام): نَعم أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيِّه محمّد: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم واتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلام ديناً﴾.

قلت له: وأي يوم هو؟

قال: إن أنبياء بني اسرائيل كانوا اذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والامامة من بعده ففعَل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً، وانه[1] اليوم الذي نصب فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علياً للناس عَلَماً وأُنزل فيه ما أُنزل، وكمل فيه الدين وتمّت فيه النعمة على المؤمنين!

قلت: فما ينبغي أن نعمل في ذلك اليوم؟

قال (عليه السّلام): هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له، وسرور لما منَّ الله به عليكم من ولايتنا، فإني أحب لكم أن تصوموه»[2].

٣ـ عن عبدالرحمن بن سالم عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله [الصادق] عليه السّلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟

١ـ أي يوم الغدير.

٢ـ الغدير: ج١ ص٢٨٥.

قال: نعم أعظمها حُرمَة!

قلت: وأيّ عيد هو جُعِلتُ فداك؟

قال (عليه السّلام): اليوم الذي نَصب فيه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أميرَ المؤمنين وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

قلت: وأيّ يوم هو؟

قال (عليه السّلام): وما تصنع باليوم؟ ان السَنَة تدور، ولكنه يوم ثمانية عشر من ذي الحجة.

فقلت: ما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟

فقال: تذكرون اللّه ـ عزّ ذِكرُه ـ فيه بالصيام والعبادة، والذِكر لمحمد وآل محمد، فإن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أوصى أميرَ المؤمنين (عليه السّلام) أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً[1].

الشيعة وعيد الغدير

وانطلاقاً من هذه الأحاديث الشريفة ـ التي تُحرّض الناس على اتخاذ يوم الغدير عيداً اسلامياً، وتُوجّهُهم نحو العبادة والصلاح ـ ترى المسلمين الشيعة[2] في جميع البلاد منذ زمن الأئمة الأطهار، الى زماننا هذا يتّخذون يوم الغدير عيداً لهم في كل عام، فيتقرّبون الى اللّه تعالى بالصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بالمأثور، شكراً للّه على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة علي

١ـ الكافي للشيخ الكليني: ج١ ص٢٠٤، الغدير: ج١ ص٢٨٥.

٢ـ وهم اتباع الامام علي، الذين اتبعوه لأنه الحق والحق معه ـ كما قال النبي «ص».

أمير المؤمنين، ويتزاورون ويتواصلون فَرِحين مبتهجين متقرِّبين الى اللّه بالبِر والإحسان، وإدخال السرور على الأرحام والجيران. واذا لقي أحدهم أخاه - في هذا اليوم - صافحه وقال: الحمد للّه الذي جعلنا مِنَ المتمسّكينَ بولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين(١).

وتتوافد جماهير الشيعة - في هذا العيد السعيد - في كل سنة الى النجف الأشرف حيث مرقد الإمام العظيم أمير المؤمنين (عليه السّلام)، ولايقلُّ المجتمعون عند قبره المقدس لزيارته عن نصف مليون، يأتون من كل فج عميق، ليؤكدوا بأنفسهم عمق الولاء وصلابة الاعتقاد بامامهم الحق: أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) وليسجّلوا لأنفسهم شرف الحضور عند مقامه المبارك، ولاينفضّون ولاينصرفون حتى يحيطوا بالضريح المقدس، ويزوروا إمامهم ويسلّموا عليه ويهنئوه كما لو كان حاضراً أمامهم(٢)، ويلقوا في زيارته خطاباً مأثوراً عن بعض الأئمة الطاهرين، يشتمل على الشهادة لأمير المومنين بسَبقه الى الاسلام ومواقفه المشرّفة الكريمة وسوابقه العظيمة وجهاده الأكبر وعنائه في تأسيس قواعد الدين وخِدمة سيد النبيين والمرسلين... الى مالَه (عليه السّلام) من الخصائص والفضائل التي منها تعيين النبي إيّاه خليفة يوم الغدير(٣).

١- كما جاء هذا النَص في الحديث الشريف.

٢- لأن الإمام إمام حيّاً وميتاً، ولأن الإمام حي يرزق عند اللّه لقوله تعالى: ﴿ولاتحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحياء..﴾ وقوله سبحانه: ﴿ولاتقولوا لمن يُقتل في سبيل اللّه أموات بل أحياء...﴾.

٣- ولولا ضيق المجال لكنتُ أذكر لك - أيها القارىء - نموذجاً من كلمات تلك الزيارة حتى تذوق - من خلالها - لذة الايمان وحلاوة الولاء وسعادة الروح وحرارة الشوق، والزيارة مذكورة في كتب الدعاء والزيارة فراجع.

نعم... هذا دأب المسلمين الشيعة في كلّ عام، وقد استمرّ خطباؤهم - في كل عصر ومصر - على الاشادة بحديث الغدير، مُسنداً ومُرسَلاً، مجملاً وتفصيلاً[١].

هذا... ويظهر للباحث أنَّ الشيعة لم ينفردوا باتخاذ يوم الغدير عيداً - وإن كانوا يهتمون به اكثر من غيرهم - بل ان غيرهم من المسلمين كانوا يعتبرونه عيداً أيضاً ... فقد ذكر العلامة البحّاثة الكبير الشيخ الأميني (رضوان اللّه عليه) في كتاب الغدير ج١ ص٢٦٧: ان البيروني عدَّ يوم الغدير «مما استعمله اهل الاسلام من الأعياد»[٢] وان ابن طلحة الشافعي كتب - في كتاب مطالب السؤول ص٥٣ عند حديثه عن عيد الغدير - ما نَصُّه: يوم غديرخُم، ذَكَره (أي الامام أمير المؤمنين) في شِعره، وصار ذلك اليوم عيداً ومَوسماً، لكونه كان وقتاً نصَّه رسول اللّه (ص) بهذه المنزلة العليّة، وشرَّفه بها دون الناس كلّهم.

وأضاف الشافعي في ص٥٦: وكل معنى امكنَ إثباته، مما دلّ عليه لفظ «المولى» لرسول اللّه (ص) فقد جعله لعلي، وهي مرتبة سامية ومنزلة سامقة ودرجة عليّة ومكانة رفيعة خصّصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم يومَ عيد ومَوسمَ سرور لأوليائه».

قال شيخنا الجليل الأميني: تُفيدنا هذه الكلمة اشتراك المسلمين قاطبة في التعيُّد بذلك اليوم، سواء رجع الضمير في «اوليائه» الى النبي أو الوصي (صلّى اللّه عليهما وآلهما) أمّا على الأول فواضح، وأما على الثاني: فكل المسلمين يوالون أمير المؤمنين علياً، سواء في ذلك من يواليه باعتباره خليفة

١ـ هذه مقتطفات من كتاب المراجعات: ص١٩٨.

٢ـ في كتاب الآثار الباقية في القرون الخالية: ص٣٣٤.

رسول اللّه بلافصل، ومَن يراه رابع الخلفاء... وتُقرؤنا كتبُ التاريخ دروساً من هذا العيد، وتَسالمُ (أي إتفاق وإجماع) الامة الاسلامية عليه في الشرق والغرب، واعتناء المصريين والمغاربة والعراقيين بشأنه في القُرون المتقادمة، وكونه عندهم يوماً مشهوداً للصلاة والدعاء والخطبة وانشاد الشِعر ـ على ما فُصِّل في المعاجم ـ.

عيد الغدير في السماء

أيها القارىء الكريم: لقدكان حديثنا ـ حتى الآن ـ عن عيد الغدير ومراسمه في الأرض.

أمّا الآن... فقد جاء دور هذا السؤال: ماذا يجري في السماوات يوم عيد الغدير؟

هذا السؤال لايجيب عليه إلاّ الامام المعصوم المؤيَّد من عند اللّه تعالى، حيث ان عِلمه من علم جدّه المصطفى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) والنبي متّصل بالعالَم الأعلى، ويعرف ـ وهو في الأرض ـ ما يجري في السماوات، باذن اللّه تعالى.

اذاً... تعال معي الى ثامن ائمة اهل البيت: الامام علي الرضا (عليه السّلام) ليحدّثنا عما يجري في السماء يوم عيد الغدير في كل عام.

قال (عليه السّلام):«إن يوم الغدير في السماء اشهر منه في الأرض[1]

١ـ لعلّ السبب هو أن اهل السماء كلّهم مؤمنون، ولهذا يحتفلون جميعاً بيوم خلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) أمّا اهل الأرض ففيهم المؤمن وغيره، ولايحتفل بيوم عيد الغدير إلاّ المؤمنون الشيعة.

إنَّ للّه تعالى في الفردوس قصراً، لَبِنَةً من فضّة ولَبِنَة من ذهب فيه مائة ألف قبَّة حمراء، ومائة ألف خيمة من ياقوتة خضراء، ترابه المسك والعنبر، فيه اربعة انهار: نهر من خمر ونهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل، حواليه اشجار جميع الفواكه، عليه الطيور ابدانها من لؤلؤ واجنحتها من ياقوت، تُصوِّت بألوان الأصوات، اذا كان يوم الغدير وَرَد الى ذلك القصر اهلُ السماوات، يسبّحون اللّه ويقدِّسونه ويهلِّلونه، فتتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء وتتمرَّغ في ذلك المسك والعنبر، فاذا اجتمع الملائكة طارت، فتنفُض[١] ذلك عليهم.

وإنهم في ذلك اليوم لَيتهادون نثار فاطمه[٢] فاذا كان آخر اليوم نودوا: انصرفوا الى مراتبكم فقد أمنتم من الخطر والزلل الى قابل في هذا اليوم[٣] تكرمة لمحمد وعلي...»[٤].

أيها القارىء الكريم: إن من جملة العادات الجارية عند الناس في الأعياد هو إهداء الهدايا، بعضهم الى بعض، لأن الهدية رَمز المحبّة وشعار الصداقة.

وبطبيعة الحال تختلف قيمة الهدايا، باختلاف المُهدي والمهدىٰ إليه، فهناك الهدايا البسيطة وهناك الهدايا الغالية...

وقد قرأتَ في حديث الامام الرضا (عليه السّلام) أن هدية اهل السماء ـ في يوم عيد الغدير ـ هو نثار فاطمة (عليها السّلام).

١ـ أي: ترشّ.

٢ـ تهادى: اهدى بعضهم الى بعض. النثار: ما يُنثر في الاعراس على الحاضرين.

٣ـ اي عيد الغدير القادم.

٤ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٦٥، ورواه الشيخ الطوسي في أماليه.

فما هو نثار فاطمة؟

الجواب: لقد روى الصفوري الشافعي(١) عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «والّذي بعثني بالكرامة وخصَّني بالرسالة، إنّ اللّه لمّا زوّج علياً من فاطمة.... ثم اَمر شجرة طوبى ان تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدرِّ الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر».

وفيه أيضاً عن انس بن مالك قال: بينما النبي في المسجد اذ قال لعلي: «هذا جبرئيل اخبرني أن اللّه قد زوَّجك فاطمة، وأشهَد على تزويجها اربعين ألف مَلَك، واوحى الى شجرة طوبى ان انثري عليهم الدرّ والياقوت والحُلي والحُلَل، فنثرت عليهم، فابتدرت الحور العين يلتقطن من اطباق الدُرّ الياقوت والحلي والحُلَل، فهم يتهادونه الى يوم القيامة».

١ـ في كتاب نزهة المجالس: ج٢ ص٢٢٣، وقريب منه في حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٥ ص٥٩، وفي الرياض النضرة للمحب الطبري: ج٢ ص١٨٤

مسجد الغدير

لقد احتلَّت واقعة الغدير مركز الصدارة في تاريخ الاسلام وحياة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وصار المكان الذي وقعت فيه هذه الواقعة مسجداً معروفاً يقصده المؤمنون ويصلُّون فيه ويتذكّرون ذلك اليوم المجيد والموقف العظيم الذي وقفه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) معلناً فيه عن الخليفة من بعده.

وقد روي عن الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) انه قال: «يستحب الصلاة في مسجد الغدير، لأن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اقام فيه امير المؤمنين (عليه السّلام) وهو موضعٌ اظهر اللّه تعالى فيه الحق»[1].

وعن حسّان الجمّال[2] قال: حَملتُ أبا عبداللّه [الصادق] (عليه السّلام) من المدينة الى مكة، فلمّا انتهينا الى مسجد الغدير نظر الى ميسرة المسجد فقال: «ذلك موضع قَدَم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حيث قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».. الى آخر الحديث[3].

١ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٧٣.

٢ـ الجمّال: صاحب الجَمل، وكان يُستأجر للسفر.

٣ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٧٢ و٢٢١ مع اختلاف يسير.

وسأل عبدالرحمن بن الحجّاج من الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) عن الصلاة في مسجد «غديرخم»..؟

فقال (عليه السّلام): «صَلِّ فيه، فانّ فيه فضلاً، وقد كان أبي (عليه السّلام) يأمر بذلك»[١].

وقال الشيخ صاحب الجواهر[٢]: «وكذلك يستحب للراجع على طريق المدينة الصلاة في مسجد غديرخم والاكثار فيه من الدعاء، وهو موضع النَصّ من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على أمير المؤمنين..».

وقد عيَّن المؤرّخون مَوقع هذا المسجد بين الغدير والعين[٣].

هذا... ولكن من المؤسف جداً أن هذا المسجد لاترى له أثراً هذا اليوم، فقد انهدم بنيانه وزالت آثاره، وصار خَبراً بعد عين، ولم يُجدَّد بناؤه حتى الآن، مع العِلم أنه:

١ـ بيت من البيوت التي اَذِن اللّه أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، ومسجد من مساجد اللّه التي دعى الى عمارتها.

٢ـ كما يعتبر من الآثار الاسلاميّة التي يجب المحافظة عليها، تخليداً لتاريخ الاسلام ورجاله وتراثه.

٣ـ انه احياء لذكرى عظيمة، فهو يُعيد الى الأذهان تلك الواقعة التاريخية المقدسة التي تعتبر رمزاً للايمان.

١ـ وسائل الشيعة كتاب الصلاة ابواب المساجد.

٢ـ في موسوعته القيّمة: جَواهر الكلام: ج٢٠ ص٧٥.

٣ـ معجم البلدان: ج٢ ص٣٨٩.

ولعلّ هذا هو السبب في اهماله وعدم تجديد بنائه!!

وحتى الطريق المؤدّي اليه ـ والذي كان طريق الحجاج بين المدينة ومكة طوال قرون عديدة ـ استُبدل بغيره، وزالت معالمه واندرست آثاره... ولاحول ولاقوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم.

معلومات عن أرض الغدير

نشرت مجلّة تراثنا[1] استطلاعاً مصوَّراً ومقالاً قيّماً عن ارض غديرخُم وموقعها الجغرافي والتاريخي، للاستاذ الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي الذي قام برحلتين الى تلك الأرض المقدَّسة... نقتطف منه مايلي:

١ـ إن (غديرخُم) جزء من وادي الجحفة، ويقع في مبتدأ الوادي ونهاية وادي الخرّار، وهو على ثلاثة اميال ـ ٨ كيلومترات ـ من ميقات الجحفة، على ميسرة الطريق للقادم من المدينة الى مكة، جنوب شرقي (رابغ) بما يقرب من ٢٦ كيلو متراً.

٢ـ ووادي الغدير وادٍ كبير جداً، وارضه سهلة ومنبسطة، ولهذا فهي تستوعب عدداً كبيراً من الناس، بخلاف الأرض الحزنة ذات التلال والمرتفعات حيث لايمكن تجمّع الناس فيها على صعيد واحد.

من هنا تعرف حُسن اختيار الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حيث اختار هذه الأرض الواسعة لالقاء الخطبة واخذ البيعة من الناس.

١ـ الصادرة عن مؤسسة آل البيت (عليهم السّلام) لإحياء التراث، في قم المقدَّسة ايران، العدد ٢٥.

٣ـ وتُعرف المنطقة ـ حالياً ـ بـ (الغُرَبة) ويسكنها أُناسٌ من البلادية من خرب، وقد التقى الكاتب ببعضهم هناك.

٤ـ وهناك عين ماء في الشمال الغربي للموقع، ويبدو أنها كانت منذ زمن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولازالت باقية حتى الآن.

٥ـ كما أن هناك غديراً تصب فيه العين المذكورة.

٦ـ وهناك عدد كثير من شجر السَمُر، واحده: سَمُرة ـ بفتح السين وضمّ الميم وفتح الراء ـ وهو شجر الطَلح، وهو شجر عظيم، ولذا عُبِّر عنه بالدَوح ـ كما في الأحاديث والأشعار ـ واحده: دوحة، وهي الشجرة العظيمة المتشعِّبة ذات الفروع الكثيرة.

دَور الشعراء في عيدِ الغَدِير

وقد جاء الشعراء ـ من القرن الأول الهجري، وحتى هذا القرن ـ ليشتركوا في هذا المهرجان الديني السنوي الخالد، ويؤدّوا دوراً مشرقاً ويُعبّروا عن عمق ولائهم ومحبتهم لهذا الإمام العظيم، عبر القصائد المنظومة والأبيات الشعرية التي تتناول الحديث عن عيد الغدير وعن المَتوَّج في عيد الغدير وهو أمير المؤمنين علي (عليه السّلام)[1].

وحتى غير المسلمين ـ من المسيحيين وغيرهم ـ اشتركوا في نظم القصائد والتعبير عن صادق الحب لبطل الانسانية والإسلام: علي أمير المؤمنين (عليه السّلام)، وأقتطف لك ـ أيها القارىء ـ من بين مئات القصائد التي نُظمت في مناسبة الغدير هذه الأبيات من قصيدة للاستاذ بولس سلامة الشاعر المسيحي المعروف يقول:

لاتَقُل شيعةٌ هُواةُ علِيٍ   إنَّ في كلِ مُنصِفٍ شِيعيّاً

١ـ راجع موسوعة الغدير للشيخ الاميني حتى ترى مئات القصائد المنظومة في هذه المناسبة الدينية الخالدة.

هُوَ فَخرُ التاريخ لافَخرُ شَعبٍ يدَّعيه ويصطفيه وَلِيّاً
ذِكرُهُ إن عَرى وجومَ الليالي شقَّ مِن فلقة الصباح نجيّاً
ياعليَّ العصور هذا بياني صِغتُ فيه وحيَ الإمام جَليّا
يا أميرَ البيان هذا وَفائي أحمدُ اللّه أن خُلقتُ وَفيّا
يا أميرَ الإسلام حَسبِيَ فخراً أنني منك مَالىءٌ أصغرَيّا
جَلجَلَ الحقُ في المسيحيِّ حتى عُدَّ من فَرطِ حُبِّه علويّا
أنا من يعشقُ البطولةَ والإلهامَ والعَـدلَ والخِلاقَ الرضيّا
فإذا لـم يكـن عليٌّ نبيّاً فلقـد كـانَ خُلقُه نَبويّاً
ياسماء اشهدي ويا أرض قَرّي واخشعي إنني ذكرت عليّا

وعندما ينتقل إلى ذكرى عيد الغدير الخالد يقول:

عادَ مِن حجّةِ الوداع الخطيرِ ولفيفُ الحَجيج مَوجُ بُحورِ
بلغَ العائدونَ بطحاء «خُمٍ» فكأنّ الركبان في التنّورِ
بَلَغوهُ لايحمدون مقيلاً بل يَحثّونَ نُوقَهُم للمسير
واذا بالنبي يَرقبُ شيئاً وهو في مِثل جَمدة المسحورِ
جاء جبريل قائلاً: يانبي اللّه بلّغ كلامَ رَبٍ مُجيرِ
أنتَ في عِصمةٍ مِن الناس فانثُر بيِّنات السماءِ للجمهورِ
وأذِعها رسالةَ اللّهِ وَحياً سَرمَدياً وحُجّةً للعصور
فدعاهُم إلى السِماع مُنادٍ فاستجابوا رَجعَ النداءِ الجهير
وأستداروا كَهالةٍ حولَ بَدرٍ يغمرُ الأرض بالشُعاعِ المنير
كلُّهم يرقب البيانَ وما في الأمر شَكٌ فالقولُ جِدٌّ خطير

ما دعاهُم طه لأمرٍ يسير وصعيدُ البطحاء وهج حَرور
وارتقى منبَرَ الحدائج طه يشهر السمع للكلام الكبير
أيها الناس إنما اللّه مولاكم ومولاي ناصري ومُجيري
ثم إني وَليُّكم منذ كان الدهر طفلاً حتى زَوال الدهور
يا إلهي مَن كنتُ مولاه حقاً فعليٌّ مولاه غير نكير
يا إلهي والِ الذين يوالونَ ابنَ عَمي وأنصُرحَليفَ نَصيري
كُن عدواً لمن يُعاديه واخذل كلَّ نكس وخاذلٍ شرّير
قالها آخذاً بِضبع علي رافعاً ساعدَ الهُمام الهَصُورِ
لاحَ شَعرُ الإبطين عند اعتناق الـ زندِ للزَندِ في المقامِ الشهيرِ
فكأنَّ النبيَّ يرفَع بَندَ الـ عِزّ عِيداً للقائدِ المنصورِ
راوياً للزمان فَضل علي باسطاً للعُيونِ حقَ الوزير
حَيدرٌ زوجُ فاطم وأبو السبطين والرمح يومَ طعن النحور
وربيبُ الرسولِ وابنُ مربّيه المُعاني في البَذلِ جُهدَ الفقير
والفقيهُ العظيمُ أصوبُ خلَق اللّه رأياً لطالبٍ مستنير
سوف ألقاكُمُ على الحوض اذ يأتي عَليٌّ بكيرَ كلِ بكير
أسأل المؤمنين: كيفَ حفظتم عفو آي القرآن أمر سفيري
لاتَضلُّوا واستمسكوا بكتاب اللّه بعدي، بعترتي، بالأمير
بَثَّ طه مقالَهُ في علي واضحاً كالنهار دون ستور
لامَجازٌ ولاغُموضٌ ولُبسٌ يَستحِثُّ الأفهام للتفسير
فأتاه المهنئون عيونُ الـ قوم يُبدون آيةَ التوقير
جاءه الصاحبان يبتدران الـ قولَ طُلاً على حقاق العبير:

بتَّ مَولىً للمؤمنين هنيئاً للميامين بالامــام الجديـر
هَنّأتهُ أزواجُ أحمدَ يتلو هُنّ رَتَلٌ من الجميع الغفير
عِيدك العيدُ يا علي فإن يصمت حسود أوطامسٌ للبدورِ
أنزل اللّه آيةً عقبَ ذاك الـ يـوم ختماً لدينه المبرور
كان وهجُ الشروق يومَ حراءٍ وجلالُ المغيب يوم الغديرِ[1]

١ـ ديوان عيد الغدير للشاعر بولس سلامة: ص١٠٦.

القسم الثاني

الأحاديث القُدسِيَّة

الأحاديث القُدسية ـ في الاصطلاح الديني ـ هي الأحاديث التي صدرت عن اللّه تعالى، وتشمل ما دارَ بين اللّه وانبيائه وملائكته مِن محاورات ومكالمات، ولاتشمل القرآنَ الكريم، والتوراة والانجيل[1].

وفيما يلي نورِد بعض تلك الأحاديث القدسيَّة التي وردت في إمامة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وخلافتِه مِن بعد الرسول الأعظم مباشرة:

١ـ من المناسب ان نشير ـ في هذا المجال ـ الى أن التوراة والانجيل قد تَعرَّضتا للتحريف والتغيير، فَزيدت فيهما كلمات وحُذفت كلمات، وبهذا سقَطتا عن الحُجّية والإعتبار، وفَقَدَتا الأصالة والشرعيّة، بخلاف القرآن الكريم فانه محفوظ ومحروس بعَين اللّه، قال سبحانه: ﴿إنا نحن نزّلنا الذِكر وإنا له لحافظون﴾ وبهذه المناسبة فاننا نُنبّه القارىء الكريم الى أن الآيات القرآنية التي تشير الى التوراة والانجيل إنما تقصد النسخة الأصليّة التي نزلت من عند اللّه، لا النسخة المحرَّفة المتداولة ـ حالياً ـ بين الناس.

خلَيفَتي على عبادي

١- روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل[1] عن اللّه تعالى أنه قال:

«أنا اللّهُ لا إله إلاّ أنا، خَلقتُ الخَلقَ بِقُدرتي، فاختَرتُ منهم مَن شئتُ مِن أنبيائي، واخترتُ من جميعهم محمداً حَبيباً وخليلاً وصَفيّاً، فَبَعثتُه رسولاً إلى خَلقي، واصطَفَيتُ له علياً، فجعلتُه له أخاً ووَصيّاً ووَزيراً، مُؤدِّياً عنه مِن بعده إلى خَلقي، وخَليفتي على عبادي، لِيُبيِّن لهم كتابي، ويسيرَ فيهم بِحُكمي، وجَعلتُه العَلَم الهادي من الضَلالة، وبابيَ الذي أُوتى منه، وبَيتي الذي مَن دَخَله كان آمِناً مِن ناري، وحِصنيَ الذي من لَجأ إليه حَصَّنَه مِن مَكرُوه الدنيا والآخرة، ووَجهي الذي مَن تَوجَّه اليه لَم أصرِف وَجهي عنه، وحُجَّتي في السّماوات والأرض على مَن فيهنَّ مِن خَلقي، لاأقبَلُ عَمَل عاملٍ منهم إلاّ بالإقرارِ بِولايته مع نُبوَّة احمد رسولي، وهو يَدي المبسُوطَةُ على عبادي، وهو النعمة التي أنعمَتُ بها على مَن أحبَبتُه مِن عبادي، فَمَن أحبَبتُه مِن عبادي وَتَوَلَّيتُه عَرَّفتهُ ولايَتَه ومَعرفَتَه، ومَن أبغضتُه من عبادي، أبغضتُه لانحرافه عن معرفته وَولايته، فَبِعزَّتي حَلَفتُ، وبِجَلالي أقسمت: إنّه لايتولّى علياً عَبدٌ مِن عبادي[2] إلا زحزَحتُه عن النار وأدخَلتُه الجنَّة، ولايُبغِضُه عَبدٌ مِن عبادي إلا أبغضتُه وأدخلتُه النارَ وبِئسَ المصير»[3].

١- هؤلاء سادات الملائكة، وقُربُهم الى اللّه ومنزلتهم لديه، تَفُوقُ منزلة سائر الملائكة.

٢- يتولّى أي: يُحبّه ويَتّبعُه ويعتقد بإمامته وخلافته وأفضليّته.

٣- كتاب عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ج٢ ص٤٨، كلمة اللّه لآية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي الطبعة الاولى ص١١١.

وبأخيك علي خَليفةً وباباً

٢ـ روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: «لمّا عُرج بي الى السماء السابعة، ومنها الى سِدرَة المنتَهى، ومنها الى حُجُب النور، ناداني ربّي تعالى: «يامحمد... أنتَ عَبدي وأنا ربُّك، فَلِي فاخضَع، وَإيّايَ فاعبد، وَعَليَّ فَتَوكَّل، فإنّي رَضيتُ بك عبداً وحَبيباً ورَسولاً ونَبيّاً، وَبأخيك علي خليفةً وبَاباً، فهو حُجَّتي على عبادي، وإمامٌ لِخَلقي، به تُعرفُ أوليائي مِن أعدائي، وبه يُمَيَّزُ حِزبُ الشيطان مِن حِزبي، وبه يُقام ديني، وتُنَفَّذُ أحكامي، وتُحفظُ حُدودي، وبكَ وبه وبالأئمة مِن وُلدِهِ أرحَمُ عبادي وإمائي...»[1].

إخترتُ لك عَليّاً

٣ـ وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في حديث آخر ـ: «لمّا أُسريَ بي الى السماء، ثم من السماء الى السماء، ثم الى سِدرَة المنتَهى، وَقَفتُ بين يدي ربي عزّوجلّ فقال لي: يامحمد؟

فقلت: لَبَّيكَ وسَعدَيك.

قال: قد بَلَوتَ خلقي[2] فأيّهم رأيتَ أطوع لك؟

قلت: ربّي.. علياً.

قال: صَدقتَ يامحمد... فهل اتّخذتَ لنفسك خليفةً يُودِّي عَنك ويُعلِّم عبادي مِن كتابي مالايَعلمون؟

١ـ المصدر السابق: ص١٢١.

٢ـ أي: إختبرتَهم وامتحنتَهم.

قلت: إختَر لي يارب.

قال: قد اختَرتُ لك عَلياً فاتّخِذهُ لنفسِكَ خَليفةً ووصيّا.

يامحمّد... عليٌّ راية الهدى وإمامُ مَن أطاعني وَنورُ اوليائي، وهو الكلمةُ التي ألزَمتُها المتقين، مَن أحَبَّه فقد أحبَّني ومَن أبغَضَه فقد أبغَضَني، فَبَشِّرهُ بذلك يامحمد...» الى آخر الحديث(١).

جَعَلتُهُ وَصِيَّكَ وخَليفتَك

٤- روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: لمّا أُسري بي الى السماء، أوحى إليَّ ربي جَلَّ جلالُه، فقال:

«يامحمد... إني اطّلعتُ إلى الأرض اطّلاعَة، فاختَرتُكَ منها، فَجَعَلتُكَ نَبيّاً، وشَقَقتُ لك مِن إسمي إسماً، فأنا المحمود وأنت محمد.

ثم اطّلعتُ الثانية، فاختَرتُ منها علياً، وجعلتُه وصيَّكَ وخليفتَك وزَوجَ ابنَتِكَ وَأَبا ذُرِّيَتِكَ، وشَقَقتُ له إسماً مِن أسمائي، فأنا العَليُّ الأعلى وهو علي، وجعلتُ فاطمةَ والحسنَ والحسينَ مِن نوركما، ثم عَرَضتُ ولايتُهم على الملائكة، فَمَن قَبِلَها كان عندي مِنَ المُقَرَّبين»(٢).

ولِعَليّ بالولاية

٥- وروي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال:

«ما قَبض اللّه نبيّاً حتى امَره ان يوصي الى افضل عشيرته من عصبته،

١- فرائد السمطَين للجويني الشافعي: ج١ ص٢٦٨ طبعة بيروت عام ١٣٩٨ هـ.

٢- كتاب عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ج١ ص٤٧.

وامرني ان اوصي.

فقلت: الى من يارب؟

فقال: اوص ـ يامحمد ـ الى ابن عمّك علي بن أبي طالب، فانّي قد اثبتُّه في الكُتب السالفة، وكتبتُ فيها انه وصيُّك، وعلى ذلك اخذت ميثاق الخلائق ومواثيق انبيائي ورسلي ، اخذت مواثيقهم لي بالربوبيّة ولك ـ يامحمد ـ بالنبوَّة ولعلي بالولاية»[1].

أيها القارىء الكريم: لقد مرَّت عليك نماذج من كلمات اللّه القُدسيّة، التي صدرت عنه تعالى، بشأن خلافة الامام علي بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وهي تشيِّد بشخصية الامام (عليه السّلام) وتؤكِّد على إمامته وخلافته، وعظمته ومنزلته الرفيعة عند اللّه.

والجدير بالذكر أن حديثاً واحداً من مِثل هذه الأحاديث، لم يصدر في حق غير الامام، من سائر المسلمين، وهذا يدل على أفضَليّة امير المؤمنين على سائر الصحابة وغيرهم.

وإن اردت المزيد من الأحاديث القُدسية في هذا المجال، فراجع كتاب كلمة اللّه، للشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي (رضوان اللّه عليه).

١ـ الأمالي للشيخ الطوسي/المجلس الرابع.

القسم الثالث

الأَحاديثُ النَبَويَّة

لقد وردت مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) باعتباره خليفة رسول اللّه والمعَيَّن من عند اللّه للخلافة والامامة.

والجدير بالذكر: ان هذه الأحاديث لم تصدر من النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في وقت واحد أو يوم واحد، بل كان رسول اللّه يُحدِّث بها اصحابه في مختلف المناسبات والمجالات، وكان يغتنم الفُرَص للتأكيد على خلافة الامام علي من بعده، ويُحذِّر المسلمين من التفرّق عنه والتمسك بغيره.

ونحن ـ في هذا القِسم ـ نذكرنماذج من تلك الأحاديث الشريفة، مع ذِكر المصادر:

١ ـ أنت مِنّي بمنزلة هارون من موسى

عن سعد بن أبي وقّاص قال: إن رسول اللّه (ص) خرج الى تَبوك

واستَخلفَ علياً، فقال (علي): أتُخَلّفني في الصبيان والنساء؟

فقال النبي: ألا ترضى أن تكون مِنّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنه لانبيَّ بعدي[١].

وعن ابن عباس قال: خرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بالناس في غزوة تبوك فقال له عليّ أخرجُ معك؟

قال (النبي): لا.

فبكى علي.. فقال النبي: أما ترضى أن تكون مِنّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنك لستَ بنبي، إنه لاينبغي أن اذهب إلاّ وأنت خليفتي[٢].

أيها القارىء: هذا الحديث معروف عند المحدّثين والمؤرّخين بـ «حديث المنزلة» وهو من الأحاديث الثابتة عند المسلمين جميعاً، ولامجال للمناقشة في سَنَده و صحتّه، لأنه متواتر جداً، وقد رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

والآن... يجدر بنا أن نقِف عند هذا الحديث وقفة تأمُّل وتفكُّر، لنطّلع على بعض أسراره ونُكاته: فالرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يعتبر علياً منه بمنزلة هارون من أخيه موسى بن عمران (عليهما السّلام) ويُثبت لعلي (عليه السّلام) كلَّ ما كان لهارون النبي من مراتب ومزايا ـ عدا النبوة ـ فيقول (صلّى اللّه عليه وآله): «أماترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي».

والسؤال الآن: ماهي أوجُه الشَبَه بين هارون وعلي (عليهما السّلام)؟

١ـ صحيح البخاري: ج٦ ص٣ باب غزوة تبوك، صحيح مسلم ج٢ ص١٩، مسند احمد بن حنبل ج١ ص١٧٤، مسند ابي داود: ج٣ ص٢٨، وغيرها.

٢ـ رواه الحاكم النيسابوري في مُستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٣٣، وغيره.

الجواب: الشَبَه موجود من عدّة جهات:

١ـ ان هارون كان أخاً نَسَبيّاً لموسى، وعليٌّ اتّخذه النبي أخاً له وخليلاً، وذلك لمّا آخى بين الأشكال والأمثال من أصحابه ولم يُؤاخ بين علي (عليه السّلام) وغيره.

فقال علي: يارسول الله آخيتَ بين اصحابك وتركتني؟

فقال النبي: انت أخي... أما تَرضى أن تُدعى إذا دُعيتُ، وتُكسى إذا كُسِيتُ، وتدخل الجنة إذا دخلتُ؟

قال علي: بلى يارسول الله.

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إنما ادَّخرتُك لنفسي، انت أخي وأنا اخوك في الدنيا والآخرة...»[١].

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): اذا كان يومُ القيامة نُوديتُ من بطنان العرش: نِعم الأب أبوك ابراهيم، ونِعم الأخ أخوك علي[٢].

ولهذا كان الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) يفتخر بهذه الفضيلة، ويعتزُّ بهذه المنقبة، لما فيها من عُلوّ الرتبة وسمّو المنزلة وعظيم الدرجة.

كان يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصِدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، لايقولها غيري إلا كذّاب، صَلّيتُ قبل الناس سبع سنين[٣].

١ـ مصادر هذا الحديث كثيرة منها: جامع الترمذي: ج٢ ص٢١٣، مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٤، تاريخ ابن كثير: ج٧ ص٣٣٥، سنن ابن ماجة: ج١ ص٥٧، مسند احمد بن حنبل: ج١ ص٢٣٠، المصابيح للبغوي: ج٢ ص١٩٩، الاصابة لابن حجر: ج٢ ص٥٠٧، تاريخ ابن هشام ج٢ ص١٢٣، وغيرها.

٢ـ فرائد السبطين للجويني الشافعي: ج١.

٣ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج١ ص٣٣٧، ميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص٢١٢ وغيرهما.

وإنّما قام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهذه الخطوة المباركة، لكي يُظهر عظمة الامام أمير المؤمنين وفضله وإمامته على سائر المسلمين، وهذا يدلّ على أن علياً (عليه السّلام) افضل من جميع الصحابة وأعلى مرتبةً منهم، ولو كان في الصحابة مَن هو افضل من الإمام، لكان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يتّخذه اخاً لنفسه، ولكنه لم يجد من يُساوي علياً في الفضيلة والعظمة ، فكان عليٌّ أخا رسول اللّه ، وهي ـ واللّهِ ـ مرتبةٌ عظيمة، ووِسامٌ نَبويٌّ كريم، ويحقٌّ للامام أن يفتخر به على غيره.

وقد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يُصرِّح بهذه الأُخوَّة المباركة في مناسبات مختلفة... فمنها: ماروي عن اسماء بنت عُميس أنها قالت: رأيتُ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: اللهم إني اسألك بما سألك اخي موسى: أن تشرح صدري وأن تُيسِّر لي امري... وأن تجعل لي وزيراً من اهلي، علياً أخي، أُشدد به أزري، وأشرِكه في أمري، كي نُسبِّحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنتَ بنا بصيرا...»[1].

قال السيد المرتضى عَلَم الهدى: (... والمؤاخاة من جملة تلك الأفعال التي تدلّ على غاية الفضل والإختصاص...

الى أن قال: والذي يدلّ على أنّ هذه المؤاخاة كانت تقتضي تفضيلاً وتعظيماً ـ وأنها لم تكن على سبيل المعرفة والمواساة ـ تظاهُر الخبر عن امير المؤمنين (عليه السّلام) في غير مقام، بقوله ـ مفتخراً مُتَبجِّحاً[2]: «أنا عبد اللّه وأخو رسوله، لايقوله بعدي إلاّ كذّاب مُفترٍ» فلولا أنّ في الأُخوّة

١ـ تاريخ ابن عساكر قسم حياة الامام علي (عليه السّلام) وغيره.

٢ـ تَبجّح: إفتخر وتباهى.

تفضيلاً عظيماً، لم يفتخر بها، ولاامسك مُعاندوه عن [القول] أنه لامَفخر فيها.

ويشهد أيضاً بأنَّ هذه المؤخاة ذَريعة قويَّة الى الإمامة[١] وسببٌ أكيدٌ لاستحقاقها، أنه (عليه السّلام) يوم الشورى ـ لّما عدَّد فضائله ومناقبه وذرائعه الى إستحقاق الإمامة ـ قال في جملة ذلك: أفيكم مَن آخى رسولُ اللّه بينه وبين نفسه غيري؟..).

الى آخر كلامه أعلى اللّه مَقامه[٢].

أيها القارىء الكريم: كان هذا هو الوجه الأول من وجوه التشابه بين النبي هارون والامام أمير المؤمنين علي (عليهما السّلام).

٢ـ وهارون كان وزيراً لموسى ـ كما قال تعالى عن لسانه: «واجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي»[٣] ـ وكذلك الامام علي (عليه السّلام) إنتَخبه النبي وزيراً له وأميناً على سِرِّه، فقال له: «ياعلي أنت أخي ووزيري وخير مَن اخلفه بعدي»[٤].

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): لكلّ نبي صاحبُ سِر، وصاحب سِرّي علي بن أبي طالب[٥].

وقال لعلي (عليه السّلام): انت صَفيّي وأميني[٦].

١ـ الذريعة: الدليل والوسيلة.
٢ـ كتاب الشافي للسيد المرتضى: ص١٦٩.
٣ـ سورة طه/الآية ٢٩.
٤ـ المناقب المرتضوية للحنفي الترمذي: ص١١٧.
٥ـ الفردوس للديلمي.
٦ـ الخصائص العَلوية للحافظ النَسائي: ص١٩. للتفصيل راجع كتاب الامام علي في الأحاديث النبوية فصل: الامام علي وزير رسول اللّه/للمؤلف.

٣ـ وقد شَدَّ اللّه عضُد موسى بأخيه هارون ـ كما قال سبحانه: ﴿سنَشدُّ عضُدَك بأخيك﴾[١] ـ كذلك شَدَّ اللّه عضُد النبي بأخيه علي.

وقد صرَّح النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهذا، عندما التقى ـ يوماً ـ بالامام علي (عليه السّلام) فاعتنقه وقبَّل بين عينيه وقال: بأبي وأُمّي مَن شدَّ اللّهُ به عضدي، كما شدَّ عضد موسى بهارون[٢].

وكان الامام علي (عليه السّلام) حاملَ راية النبي والمحامي عنه والمجاهد بين يديه، وكان (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يستنجد به في الأزمات والحروب، فكان الفتح والنصر حليفهَ.

قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في حديثٍ له الى وفد هوازن ـ: «.. ما استعصى عليَّ اهلُ مملكةٍ ولا أُمَّة، إلاّ رميتُهم بسهم اللّه: علي بن أبي طالب، ما بعثتُه في سَرِيَّة إلا رأيتُ جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ومَلَكاً أمامه، وسحابةً تظلّله، حتى يُعطي اللّهُ حبيبي النصرَ والظفر»[٣].

٤ـ وهارون كان خليفة لموسى، يحلّ محلّه ويقوم مقامه كلَّما غاب موسى عن قومه، كما قال تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قَومي﴾[٤].

وكذلك علي (عليه السّلام) عيّنه رسول اللّه خليفة له ـ بأمر من اللّه تعالى ـ وأنزله منزلة هارون من موسى في الخلافة وفي كل شيء إلاّ النبوّة

١ـ سورة القصص/الآية ٣٥.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص٣٠٥.

٣ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص٣٠٥، وذكره الخطيب في كتاب الأربعين وقال: إن النبي قال هذا الكلام لوفد ثقيف.

٤ـ سورة الأعراف/الآية ١٤٢.

فقط، لأن هارون كان نبيّاً، ومحمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) خاتم الأنبياء ولانبيَّ بعده.

أمّا فيما عدا النبوَّة فالامام علي (عليه السّلام) شريك مع النبي ومُمثِّل له من بعده.

ولولا أن نبي الاسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين لكان الامام علي جديراً بالنبوة والرسالة، بل كان نبيّاً كما كان هارون نَبيّاً، وقد صرَّح النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهذا حيث قال: «ياعلي.. لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النُبوة، فإن لم تكن نبيّاً فانك وَصيٌّ نبي ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء»[١].

(وقد يقول قائل: إن الحديث ـ حديث المنزلة ـ صدر في موردٍ خاص هو: نيابة علي (عليه السّلام) عن الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اثناء مغيبه في حملته الى تبوك، وكذلك كان هارون نائباً عن موسى اثناء ذهابه الى ميقات ربه، ومعنى ذلك أن الحديث لايدلّ على نيابة علي عن النبي بصورة عامة.

والجواب:.... إن الذين يقولون هذا القول نَسَوا أن الرسول استخلف على المدينة ابا لبابة حينما ذهب الى بدر، وابنَ عرفطة يوم (دومة الجندل) وابنَ أُمّ مكتوم ايام غزوات (بني قريظة) و(بني لحيان) و(ذي قرد) واستخلف ابا ذر يوم (بني المصطَلق) ونُميلة[٢] يوم خيبر، وابنَ الأضبط يوم عمرة القضاء، وأبارهم يوم فتح مكة، وابا دجانة يوم حجة الوداع[٣]

١ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ص٨٠.

٢ـ نُميلة: اسم شخص.

٣ـ ذَكر ذلك كلّه ابن هشام في سيرته في كلّ غزوة غزوة.

فهل نُقل عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال لأيّ واحد من هؤلاء النوّاب المؤقّتين: انت مني بمنزلة هارون من موسى؟؟!

انه لم يقل ذلك!

والواقع: ان الرسول اتَّخذ من تلك المناسبة وسيلة، واستعملها منبراً ليعلن فضل علي وقيادته للأُمَّة واستخلافه ايّاه، وانه هو وحده نائب النبي.

وكفى باستثناء النبوَّة دليلاً على عموم المنزلة المعطاة لعلي (عليه السّلام) فالواقع ان الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: إن منزلة علي منه كهارون من موسى اخوةً ووزارةً ونيابةً عامة وقيادةً للأُمَّة وكلّ رتبة اخرى كانت لهارون، سوى رتبة النبوّة...)[1].

هذا اولاً.

ثانياً: لقد صرَّح رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بحديث المنزلة في غير غزوة تبوك ايضاً... مرّات ومرّات.. .قبل غزوة تبوك وبعدها.

فمنها: ما رواه القندوزي الحنفي[2] عن الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري (رضوان اللّه عليه) انه قال: رأيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) آخذاً بيد علي يقول: «يا علي أنت أخي وصفيِّي ووصيّي ووزيري في امتَّي، مكانُك مني مكان هارون من موسى، إلاّ أنه لانبيَّ بعدي، من مات وهو يحبّك خَتَم اللّه (عزّوجلّ) له بالأمن والايمان، ومن مات وهو يبغضك لم يكن له نصيب في الاسلام».

ومنها: مارواه ابن عباس أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

١ـ كتاب: امير المؤمنين للشيخ الجليل محمد جواد الشرِّي: ص٥١٠.

٢ـ في كتاب ينابيع المودَّة: ص١٢٤.

قال لعلي (عليه السّلام) ـ يوم المؤاخاة، وكان قبل غزوة تبوك بثمان سنين ـ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لانبيَّ بعدي»[١].

ومنها: قوله لأم سليم ـ زوجة ابي ايوب الأنصاري ـ: «يا أُم سليم إنّ علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى»[٢].

وغيرها.

هذا... وهناك اوجه شَبَه اخرى بين النبي هارون والامام علي (عليهما السّلام) نترك القارىء الكريم ليكتشفها بذكائه وفطنته.

وقد توسّعنا ـ بعض الشيء ـ في التحدث عن حديث المنزلة، نظراً لأهميّته وأبعاده ونكاته... ولو لم يكن هناك حديث في خلافة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) غير هذا الحديث، لكفى دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً لكلّ من يستمع القول فيتّبع احسنه.

٢ـ أنا أو رجلٌ من أهل بيتي

بعث رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ابا بكر الى مكة لتبليغ سورة براءة ـ أو آيات منها ـ وقراءتها على كفّار قريش في موسم الحج، فنزل جبرئيل على رسول اللّه قائلاً: لايُبلّغها إلاّ أنت أو رجلٌ منك.

فارسل النبي علياً على ناقته العضباء وقال له: «إلحق ابا بكر وخُذ منه الكتاب فامض به الى مكة فاقرأه عليهم».

فلحق الامام علي (عليه السّلام) ابا بكر في الطريق، واخذ منه الكتاب ومضى الى مكة وحجَّ وبلّغ رسالة اللّه ورسوله.

١ـ رواه الطبري.

٢ـ مختصر كنز العمال المطبوع بهامش مسند احمد: ج٥ ص٣٣.

وعاد ابو بكر كئيباً الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقال: اَنزَل فيّ شيء؟

قال: لا إلا أني أُمرت ان أُبلِّغه أنا او رجل من اهل بيتي.

وفي حديث آخر: إن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلاّ انت أو رجل منك.

هذا الحديث رواه جمع من الصحابة منهم: اَنس بن مالك وسعد بن أبي وقّاص وأبو سعيد الخدري وعبداللّه بن عبّاس وجابر بن عبداللّه الأنصاري وابو رافع وابو هريرة.

كما روي عن ائمة أهل البيت (عليهم السّلام).

وقد ذكره جمع كثير من علماء أهل السُنة وحُفّاظهم... منهم:

١ـ أحمد بن حنبل ـ إمام الحنابلة ـ في مسنده ج١ ص٣ و١٥١.

٢ـ السيوطي الشافعي في تفسير الدرّ المنثور ج٣ ص٢٠٩.

٣ـ الطبري في تفسيره ج١٠ ص٤٦.

٤ـ ابن كثير في تفسيره ج٢ ص٣٣٣.

٥ـ الحافظ النسائي في الخصائص ص٢.

٦ـ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص١٢٥.

٧ـ الترمذي في الجامع ج٢ ص١٣٥.

٨ـ القسطلاني في شرح صحيح البخاري ج٧ ص١٣٦.

٩ـ الشوكاني في تفسيره ج٢ ص٣١٩.

١٠ـ الآلوسي في تفسيره ج٣ ص٢٦٨.

أيها القارىء الكريم: إن الاستدلال بهذا الحديث على خلافة الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) يكون عَبر مرحلتين:

الاولى: السَنَد.

الثانية: الدلالة.

أمّا السَند فقد ذكره علماء الحديث وائمة الفقه والتاريخ، وان شئت فراجع الجزء السادس من موسوعة الغدير القيّمة ـ ص٣٣٨ ـ فقد ذكر العلاّمة الأميني فيه اسماء ٧٣ من علماء المذاهب الأربعة الذين رووه عن طُرق واسانيد كثيرة، فيها الصحاح والثقاة، ولهذا فقد بَلغ حدَّ التواتر المعنوي.

وأمّا الدلالة فهي واضحة... إذ أن هذا الخبر يدل على عدم صلاحيّة أبي بكر لتبليغ سورة بل آيات من القرآن لأن العزلَ دليل على عدم صلاحية المعزول.

واذا كان الأمر كذلك بالنسبة الى سورة واحدة من القرآن فما تقول في الخلافة والامامة، مع العِلم أنَّ مسؤوليّتها اخطر واعظم بكثير من مسؤولية تبليغ سورة واحدة؟؟!!

كما يدل أيضاً على صلاحيّة الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) لنيابة رسول اللّه، واهليَّته للتبليغ والأداء.

وتسأل: لماذا لم يدفع النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) السورة الى خليفته ابتداءً وقبل ان يرسل أبا بكر ثم يسترجعه مع العلم ان النبي ﴿ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى﴾؟!

الجواب: إنّ هذا تنبيه من اللّه ورسوله على افضلية الامام علي (عليه السّلام) وارجحيَّته على ابي بكر خاصة وعلى الصحابة عامَّة، وأن المصلحة فيه لافي غيره، فتبصَّر بصَّرك اللّه تعالى.

٣ـ إنه وَصيّي وَخَليفتي في أُمّتي

روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: «مَن أحبَّ أن يتمسَّك بديني ويركب سفينة النجاة بعدي، فليقتَد بعلي بن ابي طالب، وليُعادِ عَدوَّه وليُوالِ وليَّه، فانه وَصيِّي وخليفتي في أُمَّتي، في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كل مسلم، وأميرُ كل مؤمن بعدي، قَولُه قولي، وأمره أمري، ونَهيُه نهيي، وتابعُه تابعي، وناصرُه ناصري، وخاذِلُه خاذلي.

ثم قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): مَن فارقَ علياً حَرَّم اللّه عليه الجنّة وجعَل مَأواه النار، ومَن خذل علياً خذله اللّه يومَ يُعرَضُ عليه، ومَن نَصَر علياً نَصَره اللّه يوم يَلقاه، ولَقَّنه حُجَّتَه عند مسألة القبر...»(١).

٤ـ فيَّ النُبوّة وفي عَليّ الخلافة

روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: «كنتُ أنا وعليٌ نوراً بين يدي اللّه عزّوجلّ... فلمّا خَلَق اللّه آدم ركَّب ذلك النور في صُلبه، فلم نَزل في شيء واحد، حتى افترقنا في صُلب عبدالمطّلب، فَفيَّ النبوة. وفي علي الخلافة»(٢).

٥ـ عليٌ خَليفةُ اللّه وخَليفَتي.

روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: «علي بن ابي طالب خليفةُ اللّه وخليفتي، وخَليلُ اللّه وخَليلي، وحُجَّة اللّه وحُجَّتي،

١ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي.

٢ـ الجمع بين الصحيحين لابن المغازلي الشافعي، غاية المرام ص٦٦، الفردوس للديلمي باب الخاء.

وبابُ اللّه وبابي، وصَفِيُّ اللّه وصَفِيِّي، وحبيب اللّه وحبيبي...» الى آخر الحديث[1].

٦ـ من تَقدَّم عليه فقد كذَّبَ بِنبُوَّتي

عن حارثة بن زيد عن عمر بن الخطاب قال: ... ياحارثة.. دَخلتُ على رسول اللّه وقد اشتَدَّ وَجَعُه، وأحببتُ الخَلوةَ به، وكان عنده علي بن ابي طالب والفضل بن العباس، فجلستُ حتى نهض ابن العباس، وبقيتُ أنا وعلي، فَتَبيَّنَ لِرسول اللّه ما أردتُ، فالتفتَ إليَّ وقال: «جئتَ لِتَسألني إلى مَن يصير هذا الأمر من بعدي»؟!

قلت ـ والكلام لعمر ـ: صَدقتَ يارسول اللّه!

فأشار النبي الى علي وقال: «ياعُمر... هذا وصيِّي وخليفتي من بعدي... هذا خازِنُ سِرِّي، فَمن أطاعه فقد أطاعني، ومَن عَصاه فقد عصاني، ومَن عصاني فقد عصى اللّه، ومَن تقدَّم عليه[2] فقد كذَّب بِنبوُّتي».

ثم أدناه[3] فقبَّل بين عينيه وقال: «وَلِيُّكُ اللّهُ وناصرُك، والى اللّهُ مَن والاك، فأنت وصيِّي وخليفتي في أُمتَّي...».

قال حارثة: فَتَعاظمني ذلك[4] فقلت:وَيحك ياعمر! كيف تَقدَّمتموه وقد سمعتَ ذلك من رسول اللّه؟!

١ـ المناقب لابن المغازلي الشافعي.

٢ـ أي: في الخلافة وغيرها.

٣ـ أي: أدنى النبيُ علياً اليه.

٤ـ أي: تعجّبتُ من هذا الاعتراف.

فقال عمر: ياحارثة.. بأمرٍ كان

فقلت: مِن اللّه أم مِن رسوله أم مِن علي؟!

قال: لا... بل المُلكُ عقيم... والحقُّ لابن ابي طالب[١].

أيها القارىء الكريم: لو طالعتَ هذا الحوار ـ مُجرَّداً عن كل تعصُّب وانحياز ـ لرأيت الحق صريحاً والأمر مكشوفاً، فالحديث لايحتاج الى شرح أو تعليق، لأن المعنى واضح.

٧ـ أوحى إليَّ أن أجعلَه خليفَتي

عن سلمان الفارسي (رضوان اللّه عليه) قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في حديث طويل ـ: «... يافاطمة... أما عَلمتِ أنّا اهلُ بيتٍ إختار اللّه لنا الآخرة على الدنيا، وان اللّه تبارك وتعالى إطَّلع إلى أهل الأرض إطّلاعة، فاختارني من خَلقه، ثم اطّلع ثانيةً فاختار زَوجكِ، وأوحى إليَّ أن أُزوِّجكِ إيّاه، وأتّخِذَه وَليّاً ووزيراً، وأن أجعلَه خليفتي في امَّتي، فأبوكِ خيرُ الأنبياء. وبَعلُك[٢] خيرُ الأوصياء...»[٣].

٨ـ خاصِفُ النَعل، هو ذلك

عن السيدة أُم سلمة قالت: قلتُ لعائشة ـ مُذَكِّرةً لها بعضَ ما يوجب إنتهاءها عن الخروج الى البَصرة ـ: أُذكِّركِ كنتُ أنا وأنتِ مع النبي (صلّى

١ـ رواه جملة من الحفّاظ والمحدثين،منهم:ابن حَسنَويه الموصلي الحنفي ـ من علماءالحنفية ـ في كتابه دُرُّ بحر المناقب ص٦٠.

٢ـ البَعل: الزوج.

٣ـ إكمال الدين للشيخ الصدوق.

اللّه عليه وآله وسلّم) وعليٌّ يتعاهد نَعله[1] إذ جاءه ابو بكر وعمر فاستأذَنا عليه، فَقُمنا الى الحجاب، ودَخَلا يُحدِّثاه، ثم قالا: يارسول اللّه إنا لاندري قَدرَ ما تصحبُنا[2] فلو علمتنا مَن تستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مَفزَعاً؟

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): أما إني لو فعلتُ لتفرّقتُم عنه كما تَفرَّقت بنو إسرائيل عن هارون!

فَسكتا... ثم خرجا.

فلما خرجنا الى رسول اللّه قلت له: مَن كنتَ ـ يارسول اللّه ـ مُستَخلِفاً عليهم؟

قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): خاصفُ النَعل.

فنزلنا، فلم نَر احداً إلا علياً. فقال النبي: هو ذلك)؟؟

قالت عائشة: نعم... أذكر ذلك[3].

٩ـ عليٌّ مع الحق والقرآن

روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ يومَ القيامة»[4].

وقال أيضاً: «رَحم اللّه علياً... اللهم اَدِر الحقَّ معه حيثما دار»[5].

قال الفخر الرازي ـ صاحب التفسير الكبير ـ في تفسير البسملة:...

١ـ أي: كان الامام علي يخصف نَعل رسولِ اللّه ويُصلحه.

٢ـ أي: لانعلم إلى كم تعيش معنا.

٣ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٢ ص٧٨.

٤ـ تاريخ بغداد: ج١٤ ص٣٢١ وغيره.

٥ـ صحيح الترمذي: ج٢ ص٢٩٨، مستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٢٤، وغيرهما.

أمّا أن علي بن ابي طالب كان يجهر بالبسملة فقد ثبت بالتواتر، ومَن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى. والدليل عليه قوله (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم): «اللهم أَدِر الحق مع علي حيث دار».

ثم قال الرازي ـ بعد ستين صفحة من هذا المقال ـ: ومَن اتّخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه).

أيها القارىء الكريم: إن حديث «عليٌّ مع الحق والحق مع علي» حديثٌ عظيمٌ جليل، يُرشدك الى عظمة مولانا وسيدنا علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) فالناس ـ عادةً ـ يقيسون الأفراد بمقياس الحق، فاذا كان الرجل مُلتزماً بالدين، متمسّكاً بأحكام الاسلام، عُرف ـ عند الناس ـ بالخير والصلاح. والعكس بالعكس.

وفي الحديث: إعرفوا الحق، تعرفوا اهلَه.

ولكن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يُصرِّح بأن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) هو الحق بعَينه، وهو مقياس معرفة الحق من الباطل، فاذا أراد أحدٌ ان يعرف الحق فعليه بالامام علي (عليه السّلام) فهو مقياس الحق، واقواله وافعالهُ هي الحق، وحكومته هي الحق، وخلافته هي الحق، وحروبه هي الحق، وكل شيء فيه هو الحق... فهو مقياس الحق، وكل ما خالفه فهو باطل، وكل من خالفه فهو على الباطل كائناً من كان، لاريب في ذلك ابداً.

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ياعلي إن الحق معك، والحق على لسانك، ما نطقتَ فهو الحق، إن الحق في قلبك وبين عينيك، والايمان مُخالطٌ لحمك ودمك كما خالطَ لحمي ودمي...»[1].

١ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ص١٣٠، المناقب للخوارزمي ص٧٦.

فانظر الى هذه المرتبة الشامخة والفضل العظيم الذي لاُيشاركه احدٌ من الصحابة على الاطلاق.

وكما أن الحق مع علي، كذلك القرآن معه:

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): عليٌ مع القرآن والقرآن مع علي، لايفترقان حتى يَردا عليَّ الحوض[١].

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في مَرض موته ـ: أيها الناس يُوشك ان أُقبضَ قبضاً سريعاً فيُنطلق بي، وقد قدَّمتُ اليكم القول مَعذرةً اليكم: ألا إني مُخلف فيكم كتابَ اللّه عزّوجلّ، وعترتي اهلَ بيتي.

ثم أخذ بيد علي (عليه السّلام) فرفعها وقال: هذا عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي، لايفترقان حتى يَرِدا عليَّ الحوض، فاسألوهما ما خلَّفتُ فيهما»[٢].

وحديث «عليٌ مع القرآن» كالحديث السابق، حديثٌ عظيمٌ جليل، يُرشدك الى جانب من عظمة الامام العظيم امير المؤمنين علي (عليه السّلام).

فالقرآن رسالة اللّه الى الانسان، ودستور الاسلام، والحبل الممدود بين السماء والأرض، والمعجزة الخالدة لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

هذا القرآن... يقف مع الامام علي (عليه السّلام) ويكون قريناً له الى يومُ يبعثون، يُرشِد اليه، ويهتف بفضائله وبطولاته، ويدعو الى التمسّك والاقتداء به.

١ـ مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٢٤، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: ج٩ ص١٣٤، الصواعق المحرقة: ص٧٤.

٢ـ الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٧٥.

وهذا القرآن.. بتفسيره وتأويله... بمحكمه ومُتشابهه... بأحكامه وشرائعه... بعلومه ومعارفه، بأسراره وخفاياه... بكلماته وحروفه... بجميع أبعاده وجوانبه... قد اودعه اللّه ـ بعد رسوله ـ في علي بن ابي طالب (عليهما السّلام).

وقد روي أنه (عليه السّلام) لمّا قَدِم الكوفة، صلّى بالناس اربعين صباحاً، قرأ فيها ـ أي في صلاته ـ سورة الأعلى فقط.

فقال المنافقون: واللّه ما يُحسن ان يقرأ ابنُ ابي طالب القرآن، ولو أحسن أن يقرأ لَقرأ غير هذه السورة.

فبَلغ كلامهم علياً (عليه السّلام) فقال ـ مُستنكراً ـ: وَيلَهم... إني لأعرف ناسخَه ومنسوخه، ومُحكمه ومَتشابهه، وفصاله من وصاله، وحروفه من معانيه... واللّهِ ما حرفٌ نزل على محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) إلا وأنا اعرف فيمن أُنزل، وفي أيّ يومٍ نَزل، وفي أي موضعٍ نَزل.

وَيلهم... أما يقرأون: ﴿إنَّ هذا لفي الصُحف الاولى صُحف ابراهيم وموسى﴾؟ واللّه عندي ـ أي الصُحف ـ ورثتُها من رسول اللّه، وورثها رسولُ اللّه من ابراهيم وموسى.

وَيلهم: واللّه أنا الذي أنزل اللّهُ فيَّ: ﴿وتَعيَها أُذُنٌ واعية﴾ فإنّا كنّا عند رسول اللّه، فيُخبرنا بالوحي، فأعِيَه ويفوتُهم، فاذا خرجوا قالوا: ماذا قال آنفاً﴾[١].

وقال (عليه السّلام): «سَلوني عن كتاب اللّه، فواللّهِ ما نزلت آية من كتاب اللّه في ليلٍ ولانهار، ولامَسيرٍ ولامقام، إلا وقد أقرأنيها رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وعلّمني تأويلها.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٠ ص١٣٨.

فقام ابن الكوّا(١) وقال: يا أمير المؤمنين فما كان ينزل عليه وأنت غائبٌ عنه؟

فقال (عليه السّلام): كان يحفظ عليَّ رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا غائب عنه حتى أُقدم عليه، فيُقرؤنيه ويقول: ياعلي أنزَل اللّهُ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فعلَّمني تأويله وتنزيله(٢).

اُنظر ـ أيها القارىء ـ الى هذا الاهتمام الشديد الذي كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يُوليه بخليفته (عليه السّلام) حيث كان يخبره بكل آيةٍ تنزل عليه وبتأويلها، فاذا كان الامام غائباً حفظ له رسول اللّه ما نزل عليه، حتى يقدم الامام، فيخبره النبي بالتنزيل والتأويل.

فهل تعرف مثيلاً للامام علي؟!

وهل كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يهتمّ ـ هذا الاهتمام الكبير ـ بغير الامام، من سائر الصحابة؟!

ألا يدلّ كل هذا على أفضلية الامام وأقربيّته من رسول اللّه واولويّته بالخلافة والامامة، دون غيره؟!

الجواب: بلى.

إن الامام علي بن ابي طالب بابُ القرآن، وهو الدليل الى القرآن، وهو العارف والعالِم بالقرآن.

فما اعظم علي بن ابي طالب؟!

ما أعظمه؟!

٢ـ هو احد المنافقين المنحرفين.

١ـ بحار الأنوار: ج٩٢ ص٧٨.

ولماذا العُدول عن هذا الامام العظيم الى غيره، ممن ليست لهم فضيلة واحدة يُذكَرون بها... سوى الفرار من الزحف يوم أُحد! والجُبن عن الحرب يوم خيبر! والشك في نبوّة رسول اللّه يوم الحُدَيبية! والتردد في إمتثال امر رسول اللّه يوم الغدير! والردّ على رسول اللّه ونِسبة الهجر اليه يومَ مرضه! والتخلّف عن جيش أُسامة... وغيرها من الفضائل الكثيرة!!!؟

١٠ـ له فضائل ليست لأحد غيره

عن عمرو بن ميمون قال: إني لَجالس عند ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط[١] فقالوا: يابن عباس إمّا أن تقوم مَعَنا وإمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء؟

فقال ابن عباس: بل أنا اقومُ معكم ـ وهذا قبل ان يعمى بَصَرُه ـ فابتدأوا فتحدّثوا... فلاندري ما قالوا... ثم جاء ابن عباس يَنفض ثوبَه[٢] ويقول (مُتضجِّراً): أُفٍّ وتُف... وَقَعوا[٣] في رجل له بِضع عشرة فضائل، ليست لأحد غيره.

ثمّ بدأ ابن عباس يُعَدِّد بعض فضائل الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال:

١ـ وَقَعوا في رجلٍ قال له النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «لأبعَثَنَّ رجلاً لايُخزيه اللّه ابداً، يُحبّ اللّهَ ورسولَهَ ويُحبّه اللّهُ ورسولُه» فاستَشرَف لها من استشرف[٤] فقال (النبي) : أين علي ؟ فجاء وهو

١ـ الرهط: القوم والقبيلة واذا أُضيف اليه عدد كان معناه: النفس والشخص كما في قوله تعالى: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾.

٢ـ نَفض الثوب إشارة الى التبرّي ممّا قيل له.

٣ـ وقعوا فيه: أي: طَعنوا فيه وذكروه بسوء.

٤ـ أي: تمنّى كل واحد من الصحابة ان يكون هوذلك الرجل الذي اشار اليه النبي الكريم.

أرمَد[١] لايكاد أن يُبصر، فَنَفَث في عينيه ثمّ هزَّ الراية ثلاثاً، فأعطاها إيّاه، فجاء عليٌّ بصفيّة بنت حَيي[٢].

وأضاف ابن عباس قائلاً:

٢- ثم بَعث رسولُ اللّه(صلّىاللّه عليه وآلهوسلّم)أبا بكر بسورة التوبة، فَبَعث علياً خَلفه، فأخَذها منه وقال (النبي): لايَذهب بها إلاّ رجلٌ مني وأنا منه.

٣ـ وقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ لبني عمّه ـ: أيُّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟

فابوا وعليٌ جالس، فقال علي: أنا أُواليك في الدنيا والآخرة، فتركه وأقبل على رجل رجل منهم فقال: ايّكم يواليني في الدنيا والآخرة، فأبوا، فقال علي: أنا اواليك في الدنيا والآخرة فقال لعلي: انت وليي في الدنيا والآخرة.

٤ـ وكان علي اول من آمن مِن الناس بعد خديجة.

٥ـ وأخَذ رسول اللّه ثَوبَه فوضَعه على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال: ﴿إنما يُريد اللّه ليُذهب عنكم الرجسَ اهلَ البيت ويُطَهِّركم تَطهيراً﴾[٣].

٦ـ وشرى عليٌ نفسَه[٤] فَلَبس ثَوب النبي ثم نام في مكانه...

٧ـ وخرج رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): في غزوة تبوك

١ـ الرَمَد: وَجَع العَين.

٢ـ إشارة الى إنتصار الامام ومَجيئه بالأُسارى.

٣ـ سورة الأحزاب.

٤ـ شرى: باعَ.

وخرج الناس معه، فقال له علي: أخرُج معك؟ قال: لا. فبكى عليٌ. فقال رسولَ اللّه: أما تَرضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانبيَّ بعدي، إنه لاينبغي أن اذهب إلاّ وأنت خليفتي.

٨ـ وقال له رسول اللّه: انتَ وَليُّ كل مؤمن بعدي ومؤمنة.

٩ـ وسَدَّ رسولُ اللّه أبواب المسجد غير باب علي، فكان (علي) يَدخل المسجد جُنُباً، وهو طريقه ليس له طريق غيره.

١٠ـ وقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «من كنتُ مولاه فان مولاه علي...».

الى آخر مارواه ابن عباس(١).

أيها القارىء الكريم: هذه نماذج قليلة، من الأحاديث التي رُويت عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في فضائل الامام علي (عليه السّلام) وخلافته وإمامته من بعد النبي مباشرة، ولاأكون مُبالغاً إذا قلت: ان الأحاديث المرويَّة في هذه المجالات، خارجة عن نِطاق العَدِّ والإحصاء، ولم يدَّع احدٌ من المحدّثين والمؤرّخين احصاءها وجمعها حتى الآن.

وقد ذُكر ان المنصور العبّاسي سأل من سليمان الأعمش ـ وكان فقيه عصره في الحديث والرواية ـ: ياسليمان اخبرني كم من حديثٍ ترويه في فضائل علي بن ابي طالب؟

قال الأعمش: يسيراً.

١ـ مُسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٣٣٠، الخصائص العَلوية للنسائي: ص٧، مُستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٣٢، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، المناقب للخوارزمي: ص٧٥، البداية والنهاية لابن كثير: ج٧ ص٣٣٧، الرياض النضرة للمحب الطبري: ج٢ ص٢٠٣ وغيرها.

فقال المنصور: ويحك كم تحفظ؟

قال الأعمش: عشرة آلاف، أو الف حديث.

فقال المنصور: بل عشرة آلاف كما قلتَ اوّلاً[١].

ان سليمان الأعمش لم يكن صحابياً ولاتابعيّاً، ومع ذلك فقد حفظ مما روي في فضائل الامام علي (عليه السّلام) عشرة آلاف حديث، وقد خشي من المنصور ـ لأنه كان يلاحق العلويّين ويقتلهم ـ فتراجع عن كلامه وقال: أو ألف حديث.

ولكن اللّه تعالى اجرى الحق على لسان المنصور فقال: بل عشرة آلاف كما قلتَ اولاً.

وهكذا عرفت ـ أيها القارىء الكريم ـ ان سليمان الأعمش يعتبر عشرة آلاف حديث «يسيراً» في فضائل الامام علي (عليه السّلام).

وقد قال احمد بن حنبل ـ إمام الحنابلة ـ: ما بَلَغنا عن احدٍ من الصحابة ما بلغنا عن علي بن ابي طالب[٢].

وإن اردتَ مَزيد الإطلاع على تلك الأحاديث، فراجع كتاب الغدير للشيخ الأميني وكتاب المراجعات للسيد شرف الدين وكتاب عليٌ لاسواه للسيد الرضوي وكتاب الامام علي من المهد إلى اللَّحد للسيّد القزويني، وغيرها.

١ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ص١٢١.

٢ـ كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني: ج٧ ص٦١.

القسم الرابع

الأدلَّة العقليَّة

أيها القارىء الكريم: واذا عرضنا مسألة خلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وامامتِه على العقل، لرأيناه يصوِّت باسم الإمام ويحكم له ويقف الى جانبه ويفضّله على غيره... للامور التالية:

١ـ الأعلميَّة

لاشك ان قيمة الانسان بعلمه، وكلّما كان مستواه العلمي أعلى كانت قيمته أكثر، وكان افضل من غيره.

والى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾؟![1].

وبقوله: ﴿يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين أُوتواالعِلم درجات﴾[2].

١ـ سورة الزمر/الآية ٩.

٢ـ سورة المجادلة/الآية ١١.

وفي الحديث الشريف: «قيمة كل امرىء ما يحسنه»[١].

بعد هذه المقدّمة نقول: لقد ثبت ان الامام علي بن أبي طالب (عليهما السّلام) كان اعلم صحابة رسول اللّه على الاطلاق، وقد شهد له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بذلك بقوله:

«أنا مدينة العِلم وعليٌّ بابها ولاتؤتى البيوت إلاّ من أبوابها»[٢].

«أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها»[٣].

«أنا مدينة الفقه وعليٌّ بابها»[٤].

ولايخفى ما في هذه الأحاديث الشريفة من بديع التعبير وجمال اللفظ وغزارة المعنى وعُمق المحتوى.

فالنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يُعبِّر عن عِلمه الواسع بالمدينة الواسعة الكبيرة التي تضمّ الملايين فيها، ثم يحصر طريق الوصول الى هذه المدينة العلمية العظيمة بباب واحد فقط وهو الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) ومعنى هذا ان كل علم وكل حكم شرعي ومسألة فقهية يجب أن تؤخذ من الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) ومن الأئمة الطاهرين الذين يستلهمون علومهم منه، وأن كل ما يؤخذ من غير أهل البيت فهو خطأ وانحراف.

١ـ نهج البلاغة.

٢ـ مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٢٦، راجع كتاب الغدير: ج٦ ص٦١ فقد ذكر اسماء ١٤٣ من الحفاظ والعلماء الذين ذكروا هذا الحديث الشريف.

٣ـ لسان الميزان للعسقلاني: ج٥ ص١٩، ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٣٨ وغيرهما.

٤ـ تذكرة خواصّ الامّة لسبط ابن الجوزي: ص٢٩، تاريخ بغداد للخطيب: ج٤ ص٣٤٨ وغيرهما.

وقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «اعلم أُمّتي من بعدي: علي بن ابي طالب»[١].

وقال: «أنا ميزان العِلم وعليٌّ كفّتاه»[٢].

وقال: «أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه»[٣].

والجدير بالذكر انه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يشهد لأحد من الصحابة بالعِلم والمعرفة كما شهد لخليفته (عليه السّلام) وهذا يدل على تفرّد الامام بهذه الفضيلة وتفوُّقه على الآخرين.

(... ومن أهم الأُسس للوظائف الراقية والمناصب السامية ـ كالحكم والقضاء ـ هو العلم بالأحكام الشرعية وتعاليم آداب القضاء والفتوى.

ودرجاتُ الايمان باللّه ومعرفتِه تابعة لمراتب العلم، ونحن لانستطيع ان نعرف عِلم الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) ومدى ايمانه باللّه تعالى، لأنّ الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال ـ في حديث صحيح ـ: «ياعلي ماعَرف اللّه إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ اللّه وانت، وما عرفك إلاّ اللّه وأنا».

ولانستطيع ان نحدّد عِلم الامام ونحيط به، لآنه من عِلم رسول اللّه، وعلم رسول اللّه من اللّه تعالى، وليس عن طريق الاكتساب والتحصيل، بل بالإفاضة من عند اللّه تعالى...)[٤].

١ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص١٩٠، فرائد السمطين للجويني الشافعي: ج١ ص٩٧ وغيرهما.

٢ـ فردوس الأخبار للديلمي.

٣ـ الغدير: ج٦ ص٨٠.

٤ـ الامام علي من المهد الى اللحد للسيد الوالد: ص١٩٣.

ويتحدث الامام (عليه السّلام) عمّا افاضه عليه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من العِلم فيقول:

«علَّمني رسولُ اللّه ألف باب من العِلم، يُفتح لي من كلّ باب ألف باب».

وفي حديث آخر: «يُفتح لي من كلّ باب ألف ألف باب»[١].

ويقول (عليه السّلام): ألا إنّ العِلم الذي هَبط به آدم من السماء الى الأرض، وجميعَ ما فُضّلت به النبيُّون الى خاتم الأنبياء، عندي، وعند عترة خاتم النبيِّين، فأين يُتاه بكم؟! بل أين تذهبون؟![٢].

ويقول ابن عباس: قال لي علي (عليه السّلام): يا أبا عباس[٣] اذا صَلَّيتَ العشاء الآخرة فالحقني الى الجبّان[٤].

قال: فصلّيتُ ولحقته، وكانت ليلةً مُقمَرَةَ[٥] فقال (عليه السّلام) لي: ما تفسير الألِف من (الحمد)؟

قال ابن عباس: فما علمتُ حرفاً أُجيبُه، فتكلَّم في تفسيرها ساعةً تامة.

ثم قال لي: فما تفسير اللاّم من «الحمد»؟

فقلت: لااعلم.

فتكلَّم في تفسيرها ساعةً تامَّة.

ثم قال: فما تفسير الحاء من «الحمد»؟

١ـ راجع بحار الأنوار: ج٤٠ ص١٢٧ فهناك الأحاديث المتعددة في هذا الباب.

٢ـ بحار الأنوار: ج٩٢ ص٨٠.

٣ـ ابو العباس كُنية ابن عباس.

٤ـ الجبّان: الصحراء.

٥ـ مُقمَرة: مضيئة بنور القمر.

فقلت: لا أعلم.

فتكلّم في تفسيرها ساعةً تامَّة.

ثم قال: فما تفسير الميم من «الحمد»؟

فقلت: لا اعلم.

فتكلَّم في تفسيرها ساعةً تامَّة.

ثم قال: فما تفسير الدال من «الحمد»؟

فقلت: لاأدري.

فتكلَّم فيها الى أن برق عمود الفجر.

فقال لي: قم أبا عباس الى منزلك وتأهَّب لفرضك.

قال ابن عباس: فقمتُ وقد وعيتُ كلَّ ما قال، ثم تفكَّرتُ فاذا عِلمي بالقرآن في علم علي كالقرارة في المثغنجر[١].

وفي هذا المجال يقول الامام علي (عليه السّلام): لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً، من تفسير فاتحة الكتاب[٢].

أي ان كتابة تفسير سورة الفاتحة فقط، تُشكِّل مجموعة كبيرة من الكتب والمجلَّدات الضخام، فلايحملها ـ من حيث الكميَّة ـ إلا سبعون بعيراً، وهذه كناية عما ينطوي عليه القرآن الكريم من تفسير عميق يحيط به الامام (عليه السّلام) ولايحيط به غيره من الصحابة.

ولّما تسلَّم (عليه السّلام) السُلطة ـ بعد مقتل عثمان ـ خرج الى المسجد وقد تَعمَّم بعمامة رسول الله، ولَبِس بُردَي رسول الله وتقلَّد سيفَ رسول الله، فارتقى المنبر وحَمد الله وأثنى عليه، وجلس مُتمكّناً، وشبك

١ـ القرارة: غدير الماء. المثغنجر: البحر/والحديث في بحار الأنوار: ج٩٢ ص١٠٣ ـ ١٠٤.

٢ـ بحار الأنوار: ج٩٢ ص١٠٣.

اصابعه ووضَعها على اسفل بطنه ونادى:

يا معشر الناس... سلوني قبل أن تفقدوني... هذا سَفَط العلم... هذا لُعاب رسول اللّه... هذا ما زقّني رسول اللّه زَقّاً زقّاً... سلوني فانّ عندي علم الأولين والآخرين...

أما واللّهِ لو ثُنيت لي الوسادة، لَحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بانجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين اهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينتهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يارب إن علياً قضى بقضائك...

واللّه إني لأعلم بالقرآن وتأويله مِن كل مُدَّعٍ علمه، ولولا آية في كتاب اللّه لأخبرتكم بما يكون الى يوم القيامة...»(١).

ويقول الصحابي الجليل عمّار بن ياسر: كنتُ عندامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السّلام) في بعض غزواته، فَمَررنا بوادٍ مملوءٍ نَملاً، فقلت: يا أمير المؤمنين اترى احداً ـ مِن خَلق اللّه تعالى ـ يعلم عدد هذا النمل؟

قال (عليه السّلام): نعم ياعمار... أنا أعرِف رجلاً يعلم عدده، وكم فيه ذَكر وكم فيه أُنثى.

فقلت: مَن ذلك الرجل يامولاي؟

فقال: ياعمار أما قرأتَ في سورة يس: ﴿وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾؟

فقلت: بلى يامولاي.

فقال: أنا ذلك الامام المبين(٢).

١ـ الارشاد للشيخ المفيد: ص١٥، بحار الأنوار: ج١٠ ص١١٧.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٠ ص١٧٦.

كتاب علي

وللامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) كتاب يتضمّن العلوم والأحكام الشرعية وغيرها، وقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) يحتفظون به ويتوارثونه إماماً بعد إمام، ويقرأون فيه وينقلون عنه ويستدلّون به، وطالما ترى في أحاديث الأئمة الطاهرين (عليهم السّلام) قولهم: وجدنا في كتاب علي... كذا وكذا...

وهذا الكتاب موجود الآن عند خاتم الأوصياء الامام المهدي المنتظر (عجّل اللّه تعالى فَرَجه الشريف) فهو الامام الحق وعنده مواريث الأنبياء والأئمة (عليهم السّلام).

العلوم المتنوّعة

من الواضح أن كلمة (العِلم) لاينحصر معناها في عِلم معيّن، بل الالف واللاّم للاستغراق، فهو عام يشمل مختلف العلوم والمعارف، الدينية وغيرها، كعلم الفقه والتفسير والقضاء والفضاء والكيمياء وغيرها ممّا لايمكن احصاؤها.

ومن المناسب ان نشير الى بعض العلوم المتنوّعة للامام (عليه السّلام).

القضاء

عِلم القضاء شرط اساسي في الحاكم والخليفة الذي يتولّى قيادة الأُمّة بصورة «شرعية» واذا كان جاهلاً بمسائل القضاء وكيفية الحكم بين الناس

فانه لايصلح للخلافة الاسلامية بأي حال من الأحوال، لأن الخليفة هو المرجع الديني للاُمَّة، فهم يراجعونه في مختلف شؤونهم العائلية والفردية والاقتصادية والاجتماعية، فلابد أن يكون عارفاً بنظام القضاء وموازينه الشرعيَّة، حتى يحكم بين الناس بالعدل والمساواة، ويعطي كلَّ ذي حق حقَّه، ولاينحرف عن الصراط المستقيم قيد شعرة.

اذا عرفت هذا... فاعلم أن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) كان الآية العظمى في القضاء والحكم بين الناس.

وقد شهد له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بذلك حيث قال: «اقضاكم علي» وقال: «إن اقضى امتَّي علي بن أبي طالب»[١].

وكان قضاؤه (عليه السّلام) يُدهش العقل في تدقيقه واصابته للهدف وكشفه عن الواقع مهما كانت القضية غامضة والواقع مجهولاً[٢].

وقد ذكر المؤرّخون أن الصحابة كانوا يراجعون الامام (عليه السّلام) في الأحكام الشرعية ويستفتونه كلّما استعصت عليهم مسألة من المسائل الشرعيّة، فهذا ابو بكر بن أبي قحافة طالما فزع الى الامام (عليه السّلام) في مسائل الدين والقضاء التي كان يُسأل عنها؛ وهذا عمر بن الخطاب هو الآخر كان يلجأ الى خليفة رسول اللّه علي (عليه السّلام) في كثير من المسائل والقضايا، وطالما اطلق كلمته المشهورة: «لولا علي لهَلك عمر»[٣]

١ـ مصابيح السنَّة للبغوي: ج٢ ص٢٠٣، المناقب للخوارزمي: ص٤٨ وغيرهما.

٢ـ راجع كتاب قضاء امير المؤمنين (عليه السّلام) لتقرأ القضايا المدهشة له.

٣ـ الرياض النضرة: ج٢ ص١٩٦، ذخائر العقبى: ص٨٠، وراجع الجزء السادس من موسوعة الغدير القيِّمة لتقرأ القضايا المذكورة في هذا المجال، وقد ذكروا أن عمر بن الخطاب كرّر مقالته هذه سبعين مرَّة.

و«لابارك اللّه في معضلة ليس لها ابو الحسن»[1].

وكذلك عثمان بن عفان وغيره.

وحَدَث ـ عدّة مرّات ـ ان حكموا بانفسهم من دون مراجعة الامام علي (عليه السّلام) ثم ما لبثوا ان انكشف لهم الخطأ في الحكم والقضاء.

ولك ـ أيها القارىء ـ ان تسأل: لماذا كانوا يجهلون مسائل القضاء وموازينه؟ ولماذا كانوا يُخطأون؟؟

الجواب: لأنهم لم يكونوا خلفاء لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بل كان الامام علي (عليه السّلام) هو الخليفة بالحق.

وعن ابن عباس: ان عمر قال للامام (عليه السّلام): يا ابا الحسن إنك لَتعجِل في الحكم والفصل للشيء اذا سُئلت عنه!

قال ابن عباس: فابرز علي (عليه السّلام) كفَّه وقال له: كم هذا؟

فقال عمر: خمسة.

فقال (عليه السّلام): عجلتَ!!

قال: لم يَخفَ عليَّ.

فقال (عليه السّلام): وأنا أُسرعُ فيما لايخفى عليَّ.

الفضاء

من الحقيقة والصواب أن نقول: إن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) يعتبر إمام علماء الفضاء وقدوة رجال الفَلَك والنجوم، لأنه كان عارفاً بانظمة الفضاء واسرار السماء وقوانين الافلاك والمنظومات، وكان

١ـ مستدرك الصحيحين للحاكم: ج١ ص٤٥٧، ارشاد الساري للقسطلاني: ج٣ ص١٩٥.

ينادي على المنبر: سَلوني قبل أن تفقدوني... سلوني عن طُرق السماوات فإنّي اعرَفُ بها مِن طُرق الأرض!.

اذا كان علماء الفضاء ـ اليوم ـ قد استطاعوا الوصول الى القمر... فان الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) يكشف ـ ولأول مرة ـ عن أن هناك طُرقاً بين الكواكب... ويمكن التنقّل من كوكب الى كوكب!!.

وهل اكتشف العِلم الحديث هذا حتى الآن؟!

... وفي حديثه عن النجوم... يقول (عليه السّلام): «هذه النجوم ـ التي في السماء ـ مدائن مثل المدائن التي في الأرض[١] مربوطة كل مدينةٍ بعمودَين مِن نور»[٢].

واليوم... وبعد اربعة عشر قرناً... يأتي علماء الفضاء ليكتشفوا أنّ هذه الكواكب مسكونة، وأن لها حضارة قائمة!

وكان هذا الكلام من الامام علي (عليه السّلام) سَبقاً عِلمياً في عالَم الفضاء والنجوم.

وبمناسبة التحدث عن الفضاء... أذكر الحديث التالي: قال الامام جعفر الصادق ـ حفيد الامام امير المؤمنين ـ (عليهما السّلام): إنّ للّه تعالى إثني عشر ألف عالَم، كلُ عالَم أكبر من السماوات والأرض، وأنا الحجَّة عليم[٣].

وجاء في التاريخ: إنّ الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) كان يتصفَّح النجوم ويقرأ الأحداث فيها... ففي ليلة شهادته (عليه السّلام) كان ينظر

١ـ المدائن: جمع مدينة.

٢ـ كتاب سفينة البحار: ج٢ مادة كوكب.

٣ـ كتاب مشارق انوار اليقين للحافظ البُرسي: ص١٣٩.

الى السماء ويتأمَّل بعض النجوم ويقول: هي هي ـ واللّه ـ الليلة التي وعدنيها حبيبي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولم يكن كلامه هذا، تَنبُّؤاً أو حَدساً، بل كان حقيقة وواقعاً، فَلقد استُشهد صباح تلك الليلة.

أيها القارىء: والآن... أذكر لك اغرب واعظم من ذلك.

لقد كان الامام علي (عليه السّلام) يتصرَّف في بعض الكواكب، بإذن اللّه تعالى طبعاً، وبقوّة إلهيةٍ غيبية.

فقد ذكر المؤرِّخون ـ من علماء الشيعة والسنّة ـ: ان الشمس رُدَّت للامام امير المؤمنين (عليه السّلام) وذلك عندما اقتربت من الغروب.

روي عن جويرية بن مسهر ـ في قصة ردّ الشمس للامام ـ قال: ... رأيتُ شفتيه تتحركان، وسمعتُ كلاماً كأنه كلام العبرانيَّة، فارتفعت الشمس، حتى صارت في مِثل وقتها في العصر، فصلّى الإمام (عليه السّلام) فلما انصرفنا (أي أتممنا الصلاة) هَوت الى مكانها، واشتبكت النجوم.

فقلت: أنا أشهد أنك وصيٌّ رسول اللّه.

فقال: ياجويرية: أما سمعتَ اللّه عزّوجل يقول: ﴿فَسَبِّح باسم ربك العظيم﴾؟

قلت: بلى.

قال: فاني سألتُ اللّهَ باسمه العظيم فردَّها عليَّ.

أيها القارىء الكريم: لعلّك تعجب من هذه المعجزة الباهرة للامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وتسأل: كيف يمكن ذَلك؟

والجواب: اولاً: ليس ذلك من المحالات العقلية، حتى يستحيل

وقوعه، بل هو ممكن عقلاً.

ثانياً: إن اللّه تعالى يستجيب دعوة اوليائه، حتى لو استدعت الاستجابة خَرْق العادة والطبيعة، فهذا النبي زكرياً (عليه السّلام) يسأل ربه ان يرزقه ولداً، وهو في سِنّ الشيخوخة وزوجتُه كذلك، بالاضافة الى انها كانت ـ في شبابها ـ عقيماً لاتلد.

ولكن اللّه تعالى يخرق كلَّ القوانين الطبيعية ـ في هذا المجال ـ فتَحمل زوجتُه ويرزقهما اللّه تعالى يحيى!.

ثالثاً: إن اولياء اللّه لايتصرَّفون في الكائنات إلاّ باذنه سبحانه.

رابعاً: إن اولياء اللّه يستمدّون قدرتهم من قدرة اللّه تعالى.

أماْ كان عيسى بن مريم يُبرأ الاكمه والابرص بلمْسة يد، أونظْرة او نفخة؟!

أما كان يُحيي الموتى؟!

أما كان يخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيطير في السماء؟!

ان كل ذلك كان يتحقق باذن اللّه تعالى واستمداد من قدرته.

كذلك خليفة رسول اللّه: الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) كان مزوَّداً بالقدرة الغيبية الالهية التي تصنع المعجزات.

هذا.. واعلم ان المؤرّخين ـ من علماء الشيعة واهل السنَّة ـ قد ذكروا هذه المعجزة الباهرة للامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) في كتبهم التاريخية، وقد ذكر العلاّمة الأميني في موسوعة الغدير القيّمة ـ الجزء الثالث ـ اسماء اثنين وخمسين مصدراً من كتب اهل السنة، التي تذكر هذه المعجزة للامام (عليه السّلام)... وأمّا كتب الشيعة فهي زاخرة بذكرها.

عِلم النحو

لقد ثبت تاريخيّاً أن الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) هو الذي اسّس عِلم النحو ووضع القواعد الأوليَّة للّغة العربية.

وقد اختلف المؤرّخون في السبب الذي دعا الامامَ الى ذلك، وممّا ذكره بعضهم: ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) سمع قارئاً يقرأ القرآن خطأً[1] فساءه ذلك وامر خليفته (عليه السّلام) بوضع قواعد النحو والعربيّة، فأملى الامام علىٰ ابي الاسود الدؤلي قواعد النحو وجوامعه واصوله، وانما اختار الامام ابا الأسود لذلك لأنه كان رجلاً ذكيّاً فطنا.

وكتب ابو الأسود قواعد النحو، ثم علّمها ابنه عطاء، ثم نشرها بين الناس[2].

قال ابن حجر ـ في الاصابة ـ: (اوَّلُ من وضع العربية ونقَّط المصحف: ابو الاسود الدؤلي، وسُئل أبو الأسود عمَّن نَهج له الطريق؟

فقال: تلقّيته من علي بن ابي طالب).

وقال ابن قتيبة ـ في المعارف ـ: (ابو الأسود الدؤلي اوَّل من عمل كتاباً في النحو بعد علي بن ابي طالب).

وجاء علماء النحو طوال التاريخ ـ كسيبويه والخليل والكسائى

١ـ قالوا: ان القارىء قرأ قوله: ﴿إنّ اللّه بريء من المشركين ورسوله﴾ بجرٍّ ﴿ورسوله﴾ عطفاً على ﴿المشركين﴾ فيكون المعنى: إن اللّه بريء من المشركين ومن رسوله، وهذا هو الكفر بعينه، والصحيح هو رفع اللام في ﴿ورسوله﴾ فيكون المعنى: ان اللّه ورسوله بريئان من المشركين.

٢ـ للتفصيل راجع كتاب الشيعة وفنون الاسلام للسيد حسن صدرالدين.

وغيرهم ـ فتوسَّعوا في هذا العلم بعد أن اخذوا اصوله من كلام سيد البلغاء والمتكلّمين الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام).

الخطابة والأدب

لقد كان الامام علي (عليه السّلام) في الذِروة العالية والقمّة الشاهقة في الخطابة والأدب، وكانت خُطَبه تجمع بين روعة البيان وجمال الاسلوب وسموّا المعنى وغزارة المحتوى.

كان (عليه السّلام) يخطب في كل مناسبة وفي كل يوم جمعة، بل وفي كثير من ايام الاسبوع، وكانت خطبة رائعة في الأدب والبلاغة وآية في الجمال والفصاحة.

والخطيب، مهما بلغ في الخطابة والقدرة على البيان، فلابد أن يُخطيء تارة أو يتلعثم اخرى، إلا ان الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) لم يُخطىء في كلامه قط ولم يتلعثم مرّة!.

كان اذا ارتقى المنبر، اجتمع اُلوف الناس للإصغاء الى حديثه وكتابة خُطَبه والاستفادة من علومه، فكان يفيض عليهم ممّا رزقه اللّه من علوم الدين والدنيا واسرار السماوات والأرضين.

وكان حديثه (عليه السّلام) يشقّ طريقه الى القلوب، ويترك أثَره في النفوس... ومرَّة وقف في الخوارج[1] وخطب فيهم خطبة واحدة ابتـدأت من الصباح الى وقت الظهر، عاد على اثرها ثمانية آلاف منهم الى الاسلام.

ولاعجب من هذا كلّه... فالامام (عليه السّلام) سيد البلغاء

١ـ الخوارج فرقة خرجوا على الامام وارتدُّوا عن الاسلام.

والمتكلّمين و«باب مدينة علم الرسول» وهو يقول: «وإنّا لأُمَراء الكلام وفينا تَنشَّبَتْ عُروقه وعلينا تهدَّلتْ غصونه»(١).

ومن غريب خُطبه (عليه السّلام) خطبتان: احداهما خالية من النقطة، والاخرى خالية من الالف، وقد خطب بهما عندما طلبوا منه ذلك وهو يريد ارتقاء المنبر!!(٢).

وما جاء خطيب أو اديب أو فيلسوف إلاّ واعترف بعظمة الامام، وتصاغرت نفسه أمام شخصيّته (عليه السّلام).

ولقد احسن من قال: كلامُ علي كلامٌ عليّ، وما قاله المرتضى مرتضى.

قال الشريف الرضي: (كان(عليه السّلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها)(٣).

وقال شيخ المعتزلة ابن ابي الحديد: (... وأمّا الفصاحة فهو إمام الفصحاء وسيّد البلغاء، وقيل عن كلامه: هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)(٤).

وجدير بك ـ أيها القارىء ـ ان تقوم بمراجعة عامة لخطب الامام (عليه السّلام) وكلماته الحكيمة التي جُمعت في (نهج البلاغة)(٥) حتى تقف على بحر زاخر من العلوم والمعارف والتعاليم التربوية والعائلية والاجتماعية

١ـ نهج البلاغة.

٢ـ راجع كتاب الامام علي من المهد الى اللحد: ص٢١٠، فقد ذكر الخطبتين فيه.

٣ـ مقدّمة نهج البلاغة.

٤ـ مقدّمة شرح نهج البلاغة.

٥ـ وهو جزء من اربعة وعشرين جزءاً من خطبه وكلماته (عليه السّلام).

والسياسية والعسكرية ودروس التوحيد والعقيدة والوعظ والارشاد.

أيها القارىء الكريم: كانت هذه بعض الملامح والجوانب من العلوم والفنون المتنوِّعة التي منحها اللّه تعالى لخليفة رسول اللّه: علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) ذكرناها بمناسبة التحدُّث عن الأعلميَّة وأنها من الأدلّة العقلية على خلافته (عليه السّلام) وقد راعينا الايجاز والاختصار جداً.

٢ـ الأفضليَّة

الفضائل على قسمين:

١ـ الفضائل الذاتية: وهي التي تكون للفرد من يوم ولادته، كالحسَب الرفيع والنسَب الشريف، وما شابه ذلك.

٢ـ الفضائل المكتسَبة: وهي التي يحصل عليها الفرد بنفسه، ويسمو بها الى درجات الكمال، كالتقوى والعلم والجهاد والايثار، وغيرها.

ومن البديهي الواضح أن العقل يحكم بأفضلية مَن جَمع بين القسمين وأرجحيَّته على غيره، فمثلاً: اذا دار الأمر بين فردين: احدهما: صاحب فضيلة من الفضائل. والثاني: جامعٌ للفضائل كلها، فان العقل يحكم بوجوب تقديم الثاني على الأول، لأنه افضل.

وقبيح ـ عند العقل والعقلاء ـ أن يُقدَّم المفضول على الأفضل، بل يعتبرون ذلك ظلماً واستخفافاً في حق الأفضل.

بعد هذا التوضيح نقول: لقد ثبت ـ عند كل من له معرفة بالتاريخ ـ أن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) حاز الفضائل بقسميها، وتميَّز بها عن غيره من الصحابة فوجَب ـ بحكم العقل والعقلاء ـ ان يكون هو الخليفة لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) دون غيره، لأن الخلافة منصب ديني خطير، لايليق بـه إلا الأفضل الذي جمع الفضائل الى نفسه.

الفضائل الذاتية

أمّا فضائل الامام علي الذاتية التي كانت له منذ الولادة، فهي كثيرة جداً، نذكر منها ما يلي:

أـ نور اللّه

لقد خلق اللّه الامام علي بن أبي طالب مِن نفس النور الذي خلق منه رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وذلك قبل ان يَخلق آدم أبا البشر بفترة طويلة جداً.

عن ابن عباس قال: سمعت رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول لعلي: «خُلقتُ أنا وأنت من نور اللّه تعالى»[1].

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): خُلقت أنا وعلي بن ابي طالب من نورٍ عن يمين العرش، نُسبِّح اللّه ونُقدّسه، من قبل ان يَخلق اللّه تعالى آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلمّا خلقَ اللّه آدم نَقَلنا الى اصلاب الرجال وارحام النساء الطاهرات، ثم نقلنا الى صُلب عبدالمطّلب وقسَّمَنا نصفين: فجعل

١ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي: ج١ ص٤٠ الطبعة الاولى بلبنان.

النصف في صُلب أبي: عبداللّه، وجعل النصف الآخر في صُلب عمّي: أبي طالب، فخُلقتُ من ذلك النصف وخُلق عليٌ من النصف، واشتقَّ اللّه تعالى لنا من اسمائه اسماء: فاللّه عزّوجلّ محمودٌ وأنا محمد، واللّه الأعلى وأخي علي، واللّه فاطرٌ وابنتي فاطمة، واللّه محسن وابناي الحسن والحسين، وكان اسمي في الرسالة والنبوَّة، وكان اسمه (أي: علي) في الخلافة والشفاعة، وأنا رسول اللّه، وعليٌ وليُّ اللّه»(١).

بعد هذا... هل تتصور ـ أيها القارىء ـ شرفاً فوق هذا الشرف العظيم؟!

وهل يشترك احدٌ من الصحابة في هذه الفضيلة مع الامام علي؟!

ب ـ المولد الطاهر

أين وُلد الامام علي؟!

أين فَتح عينيه؟!

هلمَّ معي الى كتب التاريخ وموسوعات الأخبار لتقرأ أن الامام علياً (عليه السّلام) وُلد في الكعبة المشرَّفة، وذلك عندما دخلت السيدة فاطمة بنت أسد المسجد الحرام، لتدعو اللّه تعالى كي يُسهِّل عليها امر الولادة، فانشقَّ لها جدار البيت، ودخلت فيه السيدة بنت أسد ـ ولم تدخل من الباب كي لايكون الأمر طبيعياً ـ ثم التأمت فتحة الجدار، ووَلدت علياً (عليه السّلام) هناك، وبقيت ثلاثة أيام في البيت الحرام،تأكل من طعام الجنة ـ كما في الحديث ـ.

ثم عاد نفس الجدار لينشقَّ مرَّة اخرى، وخرجت السيدة بنت أسد من

١ـ فرائد السِمطين للجويني الشافعي: ج١ ص٤١ طبعة لبنان الاولى.

الكعبة، حاملةً على ذراعها وليَّ اللّه عليَّ ابن أبي طالب ووجهُه كالقمر الزاهر، ولم تخرج من باب الكعبة كي لايكون الأمر طبيعياً[١].

قال الحافظ ابن الصبّاغ المالكي في كتاب الفصول المهمة ص١٤:

(... ولم يولد في البيت الحرام قبلَه احدٌ سواه، وهي فضيلة خصَّه اللّه تعالى بها، إجلالاً له وإعلاءاً لمرتبته وإظهاراً لِتكرمته).

وقال الشاعر المصري عبدالباقي العمري ـ في قصيدته العينية التي يُخاطب فيها الامام (عليه السّلام) ـ:

انت العليُّ الذي فوق العُلى رُفعا

ببطن مكَّة وسْط البيت قـد وُضعا

ويقول الآلوسي ـ في شرحه لهذه القصيدة عند هذا البيت ـ ص١٥:

... وفي كون الأمير (كرّم اللّه وجهه) وُلد في البيت امرُ مشهور في الدنيا، وذُكر في كتب الفريقين السُنة والشيعة.

الى ان يقول: (ولم يُشتهر وضع غيره (كرَّم اللّه وجهه) كما اشتُهر وضعه، بل لم تتّفق الكلمة عليه، وأحرى بإمام الأئمة ان يكون وضعه فيما هو قبلةٌ للمؤمنين، فسبحان مَن يضع الأشياء في مواضعها وهو احكم الحاكمين).

١ـ قال الحاكم النيسابوري في كتاب المستدرك: ج٣ ص٤٨٣: وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد وَلدت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (كرَّم اللّه وجهه) في جوف الكعبة.

وذكر الشيخ الأميني ١٦ مصدراً من كتب علماء السنة و٥٠ مصدراً من كتب الشيعة، حول ولادة الامام علي (عليه السّلام) في الكعبة، فراجع الجزء السادس من كتاب الغدير: ص٢١، لتقرأ التفصيل.

فهل تعرف ـ أيها القارىء ـ فضيلةً فوق هذه الفضيلة المقرونة بالخوارق؟!

وهل نالها احدٌ من الناس أجمعين؟!

الجواب: كلا... إنها من خصائص سيدنا علي أمير المؤمنين (عليه السّلام).

ومن البديهي أن مَن يختار اللّه الكعبة له مولداً ـ بتلك الكيفية المذكورة ـ افضل من غيره.

ج ـ الايمان

لقد وُلد الامام علي (عليه السّلام) مؤمناً باللّه، وعلى فطرة التوحيد، كما وُلد رسول اللّه كذلك.

قال (عليه السّلام) ـ في خطبةٍ له ـ: «... فانّي وُلدتُ على الفطرة، وسبقتُ الى الايمان والهجرة...».

فلم تنحرف فطرتُه التي فَطَره اللّه عليها، ولم يُشرك باللّه طرفةَ عين، ولم يسجد لصنم ابداً.

وهذه فضيلة عظيمة يمتاز الامام بها عن جميع الصحابة الذين قضَوا سنوات طويلة من حياتهم في عبادة الأصنام وتعظيم الأوثان.

هذا... وقد شهد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) للامام علي بالايمان الذي لايدركه احد... فقال ـ يوم الخندق لّما برز الامام لقتال بَطل المشركين عَمرو بن عبدودّ العامري ـ: «برَز الايمان كلُّه الى الشرك كلِّه»(١).

١ـ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٤ ص٣٤٤ وغيره.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وُضعت في كَفَّة، ووُضع ايمان علي في كفَّة، لَرجح ايمان علي(١).

وهل شهد رسول اللّه لغير الامام علي بهذه الشهادات؟!

وهل يبقى مجال لتفضيل الآخرين على هذا الامام؟!

هل يسمح العقل بذلك؟!

النَسَب

إن أُسرة بني هاشم أُسرة عريقة بالشرف والشهامة والفضيلة والعظمة، وقد انحدر منها رجال اعترفت السماء لهم بالعظمة والجلال، وسجَّل التاريخ اسماءهم ـ في طليعة صفحاته ـ بحروفٍ من نور.

فذاك عبدالمطّلب... سيّد مكة وكهف الهاشميين، وذاك ابنه عبداللّه الذي اختاره اللّه ليكون والداً لخاتم الأنبياء، وذاك أبو طالب... مؤمن قريش وشيخ البطحاء، وهذا رسول اللّه سيد الأنبياء وعظيم العظماء.

وقد شاء اللّه تعالى أن تزداد هذه الاسرة الكريمة شرفاً ورفعة، فخلَق الامام علياً منها.

فما اعظم هذه الاسرة!

وما اعظم هذا النسب!

إنها أُسرة سجَّل اللّه تعالى لها المجد والخلود... وانه نَسَب سميٌ فوق

١ـ ينابيع المودَّة للقندوزي الحنفي: ص٢٥٤، ذخائر العقبى للطبري، المناقب للخوارزمي، وغيرها.

كل الأنساب.

أيها القارىء الكريم: هذا جانب من الفضائل الذاتية لخليفة رسول اللّه: الامام علي امير المؤمنين (عليه الصلاة والسّلام) والتي كانت له منذ الولادة أو قبلها.

الفضائل المكتسَبة

أمّا فضائل الامام علي (عليه السّلام) المكتسَبة فقد مَلأت المشرق والمغرب، واعترف بها اولياؤه واعداؤه، وسجّلتها التواريخ والموسوعات، ونظّمتها الشعراء والادباء، وكتب عنها المسلمون والمسيحيّون وغيرهم.

وكل مسلم ـ مهما كان مستوى ثقافته ومعلوماته ـ لابد وأن يعرف شيئاً عن الامام وفضائله ومناقبه، حتى لو انكرها بلسانه.

والتحدث عن فضائل الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) يحتاج الى مجال واسع وفراغ مفتوح، لأنه تحدُّثٌ عن القيم الانسانية والشخصية الاسلامية.

ان التحدث عن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) تحدُّثٌ عن مكارم الأخلاق وجميل الصفات وحميد الخصال.

وانني ـ وأيُّ مؤلّف آخر ـ لااستطيع ان اؤدّي حتى جزءاً صغيراً من حقّ هذه الشخصية التي جعلها اللّه كالشمس الضاحية متألّقة في سماء العظمة والخلود.

وفيما يلي نذكر بعض فضائل الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) والتي

تميَّز بها عن سائر الناس اجمعين، مما جعلتْ فيه الأفضلية والأهلية لخلافة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

الجهاد

قال تعالى: ﴿فضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾(١).

وقال الامام علي (عليه السّلام): «ألا وإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فَتَحه الله لخاصَّة أوليائه».

وقد ضرب (عليه السّلام) الرقم القياسي في البطولة والجهاد، من اجل إعلاء كلمة الله سبحانه، ولم يبلغ احد من الصحابة ما بلغه الامام من الشجاعة والاستقامة في الحروب.

أمّا ابو بكر وعمر وعثمان فهذا التاريخ ـ بين يديك ـ لم يُسجّل لهم انتصاراً واحداً في كل الحروب، بل سجّل لهم الهزيمة والفرار يوم (أُحد)!

وأمّاجهاد الامامعليوبطولاته فلاتخفى على احد، ولايُنكرها من له ادنى معرفة بالتاريخ.

وقد اشاد القرآن الكريم بجهاد الامام علي وبطولاته، في عدّة آيات، منها: قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤفٌ بالعباد﴾(٢) حيث ذكر المفسِّرون انها نزلت في شجاعة الامام وتضحياته(٣).

١ـ سورة النساء/الآية ٩٥.

٢ـ سورة البقرة/الآية ١٠٧.

٣ـ مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص٤، تفسير القرطبي: ج٣ ص٣٤٧، أُسد الغابة لابن الأثير: ج٤ ص٢٥ وغيرها. للتفصيل راجع كتاب علي في القرآن للسيد صادق الشيرازي فقد ذكر اكثر من ستمائة آية نزلت في شأن الامام علي (عليه السّلام).

وقد اشادت ملائكة السماوات بشجاعة الامام وجهاده: منها: يوم أُحد ـ عندما انهزم المسلمون وبقي الامام صامداً يدافع عن النبي في ساحة القتال ـ هتف جبرئيل بين السماء والأرض: «لاسيف إلاّ ذو الفقار... ولافتى إلاّ علي»[1].

ونزل جبرئيل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قائلاً: يارسول اللّه ان هذه لهي المواساة!

فقال النبي: ياجبرئيل إنه منّي وأنا منه.

فقال جبرئيل: وأنا منكما[2].

وعلى كل حال... لاكلام في ان علياً سيد المجاهدين وقدوة الأبطال.. خاض ساحات القتال والمعارك منذ شبابه ... والى آخر حياته.

شارَك رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في معظم حروبه وغزواته التي ناهزت الثمانين، وكان حاملاً لِلواء الرسول.

والجدير بالذكر: أنَّ النبي لم يُؤمِّر احداً على الامام... بل كان (عليه السّلام) في كل الحروب ـ التي حضَرها ـ اميراً على الجيش وقائداً على العسكر، وما هذا إلاّ لِما كان يتمتع به مِن الكفاءة والشهامة والبطولة.

لم يخسر المعركة ابداً، بل كان الفتح والنصر يتحقق على يديه دائماً.

كان يخوض المعركة بكل بسالة... يجاهد ... ويقاتل... ويتحمل الآلام... ويقتل هذا ويصرع ذاك.. ويستقبل السيوف والنبال بصمود الايمان وثبات العقيدة... حتى ينتصر.

١ـ البداية والنهاية لابن كثير: ج٧ ص٣٣٥، السيرة النبويّة لابن هشام: ج٢ ص١٠٠، ينابيع المودَّة للقندوزي الحنفي: ص٢٠٩ وغيرها.

٢ـ تاريخ الطبري: ج٢ ص١٩٧.

وهذه حرب «بدر» و«أُحد» و«حُنين» و«خيبر» و«الخندق» وغيرها، تَشهد للامام (عليه السّلام) بالجهاد والشجاعة والاستقامة.

وعندما لاحت معالم حرب الجمل ـ في البصرة ـ قام (عليه السّلام) خطيباً في اصحابه، فحمد اللّه واثنى عليه وصلّى على النبي وآله.. وكان مما قال:

«... لقد كنتُ وما أُهدَّد بالحرب، ولا أُرهَب بالضرب... أنا ابو الحسن، الذي فَلَلتُ حدَّ المشركين، وفرَّقتُ جماعتَهم، وبذلك القلب ألقى عدوِّي اليوم، وإنني على ما وَعدني ربّي من النصر والتأييد، وعلى يقينٍ من امري، وفي غير شُبهةٍ عن ديني...».

وعندما فارق (عليه السّلام) الحياة ـ وساعةَ كان جسده الشريف ممدوداً على المغتسل ـ قام احد الحاضرين بعدٍّ مواضع السيوف والسهام التي اصابته في الحروب، والتي بقيت آثارها الى بعد الوفاة، فكانت الف جراحة!!.

ولاتسأل عن الجراحات التي زالت آثارها بمرور الأيام، فاللّه أعلم بها.

أيها القارىء الكريم: كان هذا عرضاً خاطفاً وحديثاً عابراً عن جهاد الامام علي (عليه السّلام) وبطولاته.

العبادة

عبادة اللّه... فضيلة تسمو بالانسان الى ذروة الكمال وقمّة المنزلة عند اللّه سبحانه.

وبالرغم من ان اولياء اللّه يتمتّعون بالكمال والمنزلة عنده سبحانه،

فانهم يُخصِّصون وقتاً كبيراً لعبادة اللّه وتسبيحه وتعظيمه.

وهكذا كان الامام علي ـ وهو سيد اولياء اللّه بعد رسول اللّه ـ يتفرَّغ لعبادة اللّه سبحانه ـ بالاضافة الى الصلوات الواجبة والنوافل والى جانب اعماله القيادية ومسؤليّاته الاجتماعية.

كان يقف بين يدي خالقه وقفة الخاشع الفقير... ويُناجي ربَّه مناجاة العبد المسكين.

اذا ارخى الليل ستاره، قام (عليه السّلام) بين يدي اللّه وقضى ساعات طويلة في رحابه... يتفكَّر في عظمته وسلطانه... ويتأمَّل قدرته وبديع صُنعه... ويتذكّر ثوابه وعقابه وجَنَّته وناره...

ولاينفجر الصبح إلا وقد صلّى ركعات كثيرة، وسقى الأرض بدموعه الغزيرة.

يقول ابو الدرداء: (شهدتُ علي بن ابي طالب بين اشجار بني النجّار وقد اعتزل عن مَواليه واختفى عمّن يليه واستتر بمُغَيلات النخيل...

فاذا انا بصوتٍ حزين، ونغمة شَجي وهو يقول: إلهي كم من مُوبقةٍ حَلمتَ عن مقابلتها بنقمتك... وكم من جريرة تكرَّمتَ عن كشفها بكرملك.. إلهي إنْ طال في عصيانك عمري وعظُم في الصحف ذنبي، فما أنا بِراجٍ غير رضوانك».

فشغلني الصوت واقتفيتُ الأثر، فاذا هو علي بن أبي طالب بِعينه، فاستترتُ له وأخملتُ الحركة... فركع ركعات في جوف الليل... ثم فرغ الى الدعاء والبكاء، والبثّ والشكوى.

ان الامام (عليه السّلام) بالرغم من انه كان معصوماً من الذنب والخطأ، فانه يناجي ربَّه بكلمات المقصِّرين الخائفين الخاشعين بين يدي

الخالق العظيم.

يقول ابو الدرداء: فكان فيماناجى به اللّه أن قال: «الهي أُفكِّر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثم أذكر العظيمَ من اخذك فتعظُم عليَّ بليَّتي...

آه.. إنْ أنا قرأتُ في الصُحف سيئةً أنا ناسيها وأنت مُحصيها... فتقول: خذوه! فياله من مأخوذ لاتنجيه عشيرته ولاتنفعه قبيلته...

آه... من نارٍ تُنضج الأكباد والكِلى

آه... من نارٍ نزَّاعةٍ للشَوى

آه... من غمرةٍ من ملهبات لظى

ثم انغمر في البكاء... وبعد ذلك اختفى عليَّ صوتُه، فلم اسمع له حِسّاً ولاحركة.

فقلت: غَلَب عليه النوم لطول السَهر... أوقظه لصلاة الفجر. فأتيتُه فاذاهو كالخشبة المُلقاة، فحرَّكتُه فلم يتحرّك... فقلت: إنا للّه وإنا إليه راجعون، مات علي بن ابي طالب.

فأتيتُ منزله مبادراً انعاه إليهم. فقالت السيدة فاطمة (عليها السّلام): يا أبا الدرداء ما كان مِن شأنه ومن قصّته؟

فأخبرتُها الخبر.

فقالت: هي واللّه ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية اللّه!

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق...

يقول ابو الدرداء: فواللّه ما رأيتُ ذلك ـ أي: هذه العبادة ـ لأحد من اصحاب رسول اللّه»[١].

١ـ بحار الأنوار: ج٤١ ص١١.

ومن مناجاته (عليه السّلام): إلهي... ماعبدتُك خوفاً من عقابك، ولاطمعاً في ثوابك، ولكن وجدتُك اهلاً للعبادة فعبدتُك(١).

وقال الامام محمد الباقر (عليه السّلام): كان لأمير المؤمنين خمسمائة نخلة، فكان يصلي عند كل نخلةٍ ركعتين(٢).

أيها القارىء الكريم: هذه رَشَحات من عبادة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وقد قرأتَ ان ابا الدرداء يحلف باللّه ـ حتى لايتّهمه احدٌ بالكذب ـ أنه لم ير احداً من صحابة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يعبد اللّه كعبادة الامام علي (عليه السّلام) وهذه فضيلة للامام ـ في عداد فضائله ـ تميّزه عن الآخرين وتؤكّد أهليتّه للخلافة، دون غيره.

العدل

العدل: أن لاتظلم احداً... ان تحكم الناس على اساس: ﴿إن اكرمكم عند اللّه اتقاكم﴾ من دون تمييز بين القوي والضعيف والشريف والوضيع والغني والفقير...

وكل ما يؤدّي الى اضاعة الحقوق وهدر الكرامات وإعطاء الأولويَّة لبعض القوميّات والجنسيات والبيوتات... فهو خلاف العدل.

وقد تجسَّد العدل ـ بكلّ أبعاده وجوانبه ـ في الامام علي (عليه السّلام) وقد شهد له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بذلك عدة مرات منها: قوله: «ياعلي: أنت اول الناس ايماناً، وأوفاهم بعهد اللّه،

١ـ بحار الأنوار: ج٤١ ص١٢.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤١ ص١٥.

وأقومهم بأمر اللّه، وأقسمهم بالسويّة واعدلُهم بالرعيّة وأبصرهم بالقضية واعظمهم عند اللّه مزيّة»[١].

هذا... ولو لم يرد في شأن الامام علي غير هذا الحديث لكفاه فخراً وفضلاً على غيره، فالنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لايُعبِّر عن الامام بـ: العادل والقاسم والوفي و... بل يستعمل صيغة افعل التفضيل لتكون اتم دلالةً على المطلوب، فيقول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): اعدلهم ... أوفاهم.. اقومهم.. اعظمهم..» وضمير الجمع يعود الى الناس ـ كما هو واضح ـ.

فاذا كان الامام علي هو الأعدل والأقوم والأوفى والأبصر والأقسم، كان ـ بالطبع ـ هو الجدير بخلافة رسول اللّه الذي شهد له بهذه الصفات، ولم يشهد بها لغيره.

هذا.. واذا انتقلنا الى تاريخ الامام (عليه السّلام) رأيناه يتلألأ بصُوَر العدل وقصص الحق والانصاف، وفيما يلي نذكر نماذج منها:

قال (سلام اللّه عليه) ـ في خطبة له ـ: «واللّه لأن ابيتَ على حَسَك السَعدان مُسهَّداً[٢] وأُجرَّ في الأغلال مُصفَّدا، احبّ إليَّ من أن القى اللّهَ ورسولَه ـ يوم القيامة ـ ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحُطام.

وكيف اظلم احداً لنفسٍ يُسرع الى البِلى قُفولُها ويطول في الثرى حُلولها؟!

الى ان يقول: واللّه لو أُعطيتُ الأقاليم السبعة[٣] بما تحت أفلاكها على

١ـ بحار الأنوار: ج٤١ ص١٠٧، حلية الأولياء لأبي نعيم: ج١ ص٦٥، لسان الميزان للعسقلاني: ج٢ ص١٩.

٢ـ السعدان: نبت له شوك. المُسَهَّد: الذي لاينام من الألم.

٣ـ المقصود من الأقاليم السبعة: الكرة الأرضية كلها.

أن أعصي اللّه في نملةٍ اسلبها جلب شعيرة مافعلت»(١).

وذات يوم جاءته إمرأتان، احداهما من العرب والاخرى من الموالي، وطلبتا منه مساعدةً مالية، فساوى بينهما في العطاء، فقالت احداهما: إني امرأة من العرب وهذه من العجم؟!

فقال (عليه السّلام) إني ـ واللّه ـ لااجد لبني اسماعيل ـ في هذا الفيىء ـ فضلاً على بني اسحاق ـ أي: لااجد لكِ فضلاً على تلك(٢).

وفي اليوم الثاني من تسلُّمه السلطة ـ بعد مقتل عثمان ـ بادَر (عليه السّلام) الى الأموال والأراضي التي كان عثمان قد وزَّعها على اقربائه بلااستحقاق، فامر بارجاعها الى بيت المال وقال: «ألا إن كان قطيعةٍ اقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال اللّه، فهو مَردود في بيت اللّه، فان الحق القديم لايُبطله شيء.. واللّهِ لو وجدتهُ ـ أي المال ـ قد تُزوِّج به النساء ومُلك به الإماء لَرددتُه، فان في العدل سعة، ومَن ضاق عليه العدل فالجَور عليه اضيق»(٣).

كان (عليه السّلام) يحكم على اكثر من نصف الكرة الأرضية، من العراق الى الحجاز الى اليمن الى... المغرب الأقصى، وكانت تأتيه الاموال من هذه الدول.. بالاضافة الى ما كان يملكه من الأراضي والعيون، ومع ذلك كله... لم يُشيِّد (عليه السّلام) لنفسه قصراًولاعرشاً، بل كان يعيش مساوياً مع الفقراء في المسكن والملبس والمطعم، ويُوزِّع امواله عليهم.

يقول (عليه السّلام) في كتابه الى عامله على البصرة: «... واللّهِ ما

١ـ نهج البلاغة/الجزء الأول.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤١ ص١٣٧.

٣ـ نهج البلاغة/الجزء الأول.

كنزتُ من دنياكم تِبرا، ولاادّخرتُ من غنائمها وَفرا، ولا اعددتُ لبالي ثوبي طمرا، ولاحُزتُ من ارضكم شِبرا...[١]»[٢].

وتفرَّق عنه بعض الناس والتحقوا بمعاوية، بسبب امتناعه (عليه السّلام) عن تفضيلهم على سائر المسلمين، فقال له بعض اصحابه: يا أمير المؤمنين أعطِ هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش، على الموالي والعجم؟!

فغضب (عليه السّلام) وقال: أتأمروني ان اطلب النصر بالجور؟![٣]، لاوالله ما افعل... ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم... والله لو كان مالي لو اسيتُ لهم، وكيف وانما هو مالُهم ـ أي: مال المسلمين ـ[٤].

وأتوه بمال من اصفهان ـ يوم كان في الكوفة، وكانت الكوفة موزَّعة على سبع مناطق ـ. فقسَّم المال سبعة أقسام وبقي رغيف واحد، فكسره سبع كسرات، ثم جعل كل كسرة على كل جزء، ثم دعى بأُمراء المناطق السبع ودفعها إليهم، لكي يوزّعوها على المسلمين[٥].

وقبل أن يخرج (عليه السّلام) من البصرة قام خطيباً في أهلها وقال ـ وقد اشار الى قميصه وردائه ـ: والله إنهما لمن غزل اهلي.

ثم اشار (عليه السّلام) الى صُرَّةٍ في يده كانت فيها نفقته وقال: (والله ما هي إلاّ مِن غَلَّتي في المدينة، وإن خرجتُ عنكم بأكثر ممّا تَرون،

١ـ التبر: الذهب. الوفر: المال. الثوب هو الرداء والازار معاً، والطمر هو احد هذين.

٢ـ نهج البلاغة/الجزء الرابع/باب كُتبه (عليه السّلام).

٣ـ وفي نسخة: أن اطلب العدل بالجور.

٤ـ كتاب الأمالي للشيخ المفيد: ص١٠٤.

٥ـ بحار الأنوار: ج٤١.

فأنا عند اللّه من الخائنين). ثم خرج وشيَّعه الناس الى خارج البصرة.

هل تعرف ـ يا أخي ـ حاكماً يدخل مدينةً فاتحاً منتصرا، ويظلّ فيها اياماً، ثم يخرج منها، من دون ان يستأثر لنفسه درهماً واحداً؟!

ان الحكام يدخلون البلاد بجيوشهم، فينهبون الأموال ويهتكون الأعراض، ويستبيحون الحُرمات ويرتكبون المنكرات، ويعملون ما يشتهون، ثم يخرجون منها تاركين وراءهم الدمار والخراب والدموع والآهات ولكن الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) لايخرج من البصرة إلاّ كما دخلها. ولهذا ترى اهل البصرة يُشيِّعون الامام الى خارج المدينة، رضىً به، لِما رأوا منه من المعاملة الطيِّبة والسيرة الحسنة والرحمة والشفقة والعدالة.

ولاعجب من ذلك... فالامام علي مثال العدل وصوت العدالة الانسانية.

ونختم الكلام عن عدالة الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) بكلام حفيده: الامام الصادق (عليه السّلام) حيث قال: «واللّه ما اكل علي بن ابي طالب حراماً قط».

إن حاكماً يحكم على أكثر من نصف الكرة الأرضيَّة ولايأكل حراماً ابداً ... هذا جدير بأن يكون خليفةً لرسول اللّه، دون غيره.

أيها القارىء الكريم: كان هذا حديثاً موجزاً عن الدليل العقلي الثاني على خلافة الامام علي (عليه السّلام) وهو دليل الأفضلية، وقد استنتجنا منه أن الخليفة يجب أن يكون الأفضل، وأن الامام علياً هو الأفضل، فوجب ـ عقلاً ـ أن يكون هو الخليفة.

واعلم أننا قد اختصرنا الكلام واعتصرنا الموضوع، مراعاةً لاسلوب

الكتاب، وإلاّ فالحديث عن افضلية الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) حديثٌ طويل وعريض وعميق وذو جوانب متعددة، والإسهاب والتفصيل فيه يستدعي مجلّداً خاصاً، ونسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا لتأليف ذلك، إن شاء اللّه.

والآن... تعال معي الى الدليل العقلي الثالث:

٣ـ العصمة

العصمة: قوة في العقل تمنع الانسان من ارتكاب المعاصي، مع قدرته الكاملةعليهاكسائرالناس،وهي شرط اساسي في الامام ـ كمافي النبي ـ[١].

وقد ثبت ـ بالأدلة العقلية والشرعية ـ ان الامام يجب ان يكون منزّهاً عن الرذائل والنقائص، معصوماً عن الخطأ والانحراف والذنوب الكبيرة والصغيرة، بأن لاتصدر منه المعصية لاعمداً ولاسهواً ولانسياناً.

وقد ذكر علماء العقيدة الاسلامية، ادلّةً عقلية متعددة على وجوب العصمة[٢] نذكر منها ما يلي:

١ـ ان الامام هو الحافظ للشرع والناشر للعدل والمقيم لأحكام اللّه وحدوده... وكل هذا لايتحقق إلا بالعصمة، إذ لو لم يكن معصوماً لجاز

١ـ سبق وأن ذكرنا بأن المقصود من (الامام) هو الخليفة، لاكل زعيم ديني، كما تعارف في هذا الزمان، وعلى هذا فـ (الخليفة) و(الامام) كلمتان مترادفتان، في هذه البحوث العقائدية.

٢ـ للتوسّع في موضوع العصمة راجع كتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفّر: ج٢ ص٧، وكتاب حقّ اليقين للسيد عبداللّه شبّر: ج١ ص٩٠، وغيرهما من كتب العقيدة الاسلامية الصحيحة.

أن يخون دينه ويتصرَّف حسَب اهوائه ومصالحه الشخصية، ويصبغ تصرّفاته بصبغة الدين، كما حدث ذلك ـ بالضبط ـ في عهد الحكام الامويين والعباسيين.

٢ـ ان العصمة هي التي تمنح الثقة للإمام واقواله، فلو انتفت العصمة انتفت الثقة بالأحكام والشرائع التي يُبلّغها من عند اللّه تعالى.

توضيح ذلك: ان الامام لو لم يكن معصوماً لأمكن أن يكذب على اللّه ـ عمداً أو سهواً أو نسياناً ـ أو يأمر بشيء من عنده، ومجرَّد هذا الاحتمال يسلب ثقة الناس به ولايحصل العلم بأقواله، فاذا قال: هذا حلال وذاك حرام احتَملوا أن يكون مُخطئاً في قوله هذا، فكيف يعتمدون عليه؟!

أمّا اذا كان معصوماً فان الجميع يتقبَّلون منه اقواله واوامره، بكل ثقة واطمينان، لأنهم يعلمون انه لايكذب ولايُخطيء ولايشتبه ابداً.

٣ـ ان الامام لو لم يكن معصوماً لأمكن ان يأمر الناس بالمعاصي... فهل يطيعه الناس حينئذٍ؟!

إن قلت: نعم.

قلنا: فما هي فائدة الامام إذاً؟!

إن الحكمة من وجود الامام هي توجيه الناس الى طاعة اللّه واجتناب معصيته، بالاضافة الى أن وجوب طاعته في المعاصي يؤدّي الى اجتماع الضدَّين... وهو محال.

توضيح ذلك: ان الغناء ـ مثلاً ـ حرام في الاسلام، فلو أمر الإمامُ الناسَ باستماع الغناء، وقلنا بوجوب طاعته، فمعنى هذا: وجوب ما وجب تركه، أي: اجتماع الوجوب والحرمة في شيء واحد... وهو محال.

وإن قلت: لاتجب طاعته في المعاصي.

قلنا: معنى هذا: أن يسود الفوضى والاضطراب بين الناس، لأن الامام يسقط عن أعين الناس، بسبب المعصية، فلايهابونه ولايخشونه ولايطيعونه، وهذا يؤدّي الى تضعضع الحكم، ويستغلّ الانتهازيّون الفرصة للصيد في الماء العكر والوصول الى مطامعهم ومصالحهم الشخصية.

إذاً: لابد أن يكون الامام معصوماً حتى تجب على الناس طاعته والانقياد له.

هذه بعض الادلّة العقلية على وجوب العصمة في النبي وخليفته.

وهناك الادلة الشرعية ـ من القرآن والحديث ـ لامجال لذكرها الآن[1].

بعد هذه المقدّمة... نقول: لقد ثبت ـ بدليل القرآن والأحاديث الصحيحة ـ أن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) كان معصوماً من الخطأ والانحراف والمعاصي والذنوب.

ويكفينا ـ في هذا المجال ـ قوله تعالى: ﴿إنّما يريد اللّه ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾[2].

حيث دلّت على عصمة اهل البيت (عليهم السّلام) وطهارتهم من كل رجس وذنب ومعصية.

وقد اجمع المفسِّرون ـ بلا استثناء ـ على أن الآية تشمل الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) فوجب أن يكون هو الخليفة لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لأنه افضل ممّن يجوز عليه الخطأ ويرتكب المعصية.

١ـ قد اشرنا الى بعض تلك الآيات في فصل (كيف يتم تعيين الخليفة) عند قوله تعالى: ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾.

٢ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٣.

٤ـ السابقة المشْرِقة

إليكم الآن نموذجين من المجتمع:

١ـ انسانٌ خُلق من نور اللّه، ووُلد في بيت اللّه، وتربّى في حِجر رسول اللّه، لم يسجد لصنم ولم يعبد وَثَناً، ولم يرتكب فاحشة، ولم تصدر منه معصية، ولم تكن فيهم رذيلة..

٢ـ وانسان تربّى في مجتمع الكفر، وسجَد للأصنام وخضع للأوثان، وقضى اكثر عمره في الكفر والعصيان..

هل يستويان؟!

إن العقل السليم يحكم بأفضلية الأول على الثاني، لأنه ذو سابقة مشرقة وشرف اصيل...

إن العقل يقول: إن مَن لم تسبق منه معصية افضل ممن قضى اكثر عمره فيها، وإن من لم يسجد لصنم افضل ممن شبعت الاصنام من سجوده لها، وإن من تكفّل رسولُ اللّه رعايته وتربيته افضل ممن تربّى في احضان الكفر والجاهليّة.

بعد هذه المقدمة... نقول: ان الانسان الاول ـ في المثال ـ هو الامام علي بن أبي طالب (عليهما السّلام).

إقرأ ما قاله (سلام اللّه عليه) عن نشأته وسابقته: «... وقد علمتم موضعي من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وَضَعني في حِجره وأنا وليد، يَضمُّني الى صدره، ويكنفني الى فراشه، ويمسّني جَسده ، ويشمّني عَرفه[1] وكان يمضغ الشيء ثم

١ـ العَرف: الريح الطيبة.

يُلقمنيه[١] وما وجَد لي كذبةً في قول ولاخَطلةً في فعل[٢].

... ولقد كنتُ أتّبعُه إتّباع الفصيل أثر أُمِّه[٣] يرفع لي في كل يومٍ علماً من اخلاقه، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يُجاور ـ في كل سنةٍ ـ بـ (حِراء)[٤] فأراه ولايراه غيري، ولم يجمع بيت واحدٌ ـ يومئذٍ ـ في الاسلام غيرَ رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوَّة.

ولقد سمعتُ رنَّة الشيطان حين نزول الوحي عليه (صلّى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنَّة؟

فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته. إنك تَسمع ما اسمع، وترى ما أرى إلا أنك لستَ بنبي، ولكنك وزير وإنك لَعلىٰ خير.

الى ان قال (عليه السّلام):

... وإنّي لِمن قومٍ لاتأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيماء الصِدِّيقين، وكلامُهم كلام الأبرار، عُمّار الليل ومَنار النهار[٥] متمسِّكون

١ـ يمضغ الشيء: يطحنه بأسنانه. يُلقمنيه: يجعلها لقمةً في فمي. قال ابن ابي الحديد ـ في شرح نهج البلاغة: ج٣ ص٣٧٠ ـ وقد روي ان رسول الله كان يمضغ اللحمة والثمرة حتى تلين، فيجعلها في فم علي وهو صغير في حجره.

٢ـ الخطلة في الفعل: الخطأ فيه وإيقاعه على غير وجهه.

٣ـ الفصيل: وَلد الناقة يتبع أمه في المشي بصورة دقيقة، وهذا مَثَل يُضرب لشدَّة الاقتداء والإتّباع.

٤ـ حِراء: غارٌ يقع في جَبَل ثَور بمكة المكرَّمة، كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقضي كثيراً من وقته فيه، وهناك نزَل عليه جبرئيل، وبُعث رحمةً للعالمين.

٥ـ عُمّار الليل: يُحيون الليل بالعبادة والدعاء، فعمارة الليل تكون بالعبادة وخرابها يكون بالنوم، منار النهار: أي أنهم مصابيح مضيئة يهتدي بها الناس.

بحبل القرآن، يُحيون سُنن اللّه وسُنن رسوله، لايستكبرون ولايَعلون ولايَغلون ولايفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل»[١].

وعن الفضل بن العباس قال: سألت أبي [العباس بن عبدالمطّلب] عن وُلد رسول اللّه الذكور، أيُّهم كان رسول اللّه له أشدّ حُبّاً؟

فقال: علي بن ابي طالب!!

فقلت له: سألتك عن بَنيه؟

فقال : إنه [الامام علي] كان أحبّ إليه [الى النبي] من بنيه جميعاً وأرأف، ما رأيناه زايله يوماً من الدهر[٢] منذ كان طفلاً، إلا أن يكون في سفرلخديجة،ومارأينا أباً أبرّ بابنٍ منه لعلي،ولاإبناً اطوعَ لأبٍ من علي له[٣].

نعم يا أخي... هذا هو الانسان الأول ـ في المثال ـ.

أمّا الانسان الثاني ـ في المثال ـ فهو غير الامام، ممّن ادّعى الخلافة والإمامة.

فانظر ـ بصَّرك اللّه ـ الى هذين الانسانين في هذين المثالَين، وحَكِّم عقلك وفطرتك: هل هما متساويان؟!

أم أنّ عقلك وفطرتك يحكمان ـ بلاتردّد ـ بأن الامام امير المؤمنين هو الأفضل وهو الأولى وهو الأقدم؟!

أيـها القارىء الكريـم : كان هـذا هو القسم الرابـع مـن الحـديث عـن خلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وإمامته، وقد اخترنا من

١ـ نهج البلاغة: ج١.

٢ـ زايلَه: فارَقه وتركه.

٣ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٣ ص٣٧١.

الأدلَّة العقلية ـ المذكورة في هـذا المجال ـ اربعة فقـط ، مراعـاةً لاسلوب الكتاب.

قال تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم، فَمن ابصرَ فلنفسه، ومَن عَمي فعليها﴾[1].

١ـ سورة الأنعام: آية ١٠٤.

لِمَن يُقال: أمير المؤمنين؟

«أمير المؤمنين» لُقبٌ يُطلقه الكثيرون على كل من جلس على كرسي الخلافة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) سواء كان حقاً ام باطلاً.

ولكن لايصح لنا أن نتّبع هؤلاء، بصورة عشوائية تقليدية، بل لابد من دراسة الموضوع، والبحث عن جذوره في الأحاديث النبويّة الصحيحة.

وهنا سؤالان:

الاول: هل خاطَب رسولُ اللّه احداً بهذا اللقب؟

الثاني: هل يختص هذا اللقب بشخصٍ معيّن، أم أنه عامُ لكل من جلس على كرسي الخلافة؟

الجواب: لقد قرأتَ أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أمر جميع المسلمين ـ يومَ الغدير ـ بأن يُسلِّموا على الامام علي (عليه السّلام) ويُخاطبوه: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

والجدير بالذكر: ان هذا لم يختص بيوم الغدير، بل كان (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يأمر المسلمين بذلك في مناسبات مختلفة، لمزيد التأكيد.

والأحاديث في هذا المجال كثيرة... منها: ماروي عن بُريدة الأسلمي أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يوماً في بستانٍ لقبيلةٍ من

الأنصار، فَجعل لايدخل عليه احدٌ من المسلمين إلا قال له: سَلِّم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وقال بريدة ـ بعد ذلك لأبي بكر، مذكّراً إياه هذا اليوم ـ: وكنتَ انتَ ممن سلَّم عليه بإمرة المؤمنين(١).

ومنها: ما روي عن ابي ذر الغفاري (رضوان اللّه عليه) انه قال: أمرنا رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن نُسلِّم على أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وقال: سلِّموا على أخي ووارثي وخليفتي في قومي، ووَليّ كل مؤمن من بعدي، سلِّموا عليه بإمرة المؤمنين، وانه ولي كل من يسكن الأرض الى يوم العَرض، ولو قدَّمتموه لأخرجت لكم الأرض بركاتها، فانه اكرمُ مَن عليها مِن اهلها(٢).

وامتثالاً لأوامر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وتأكيداته، كان المسلمون المؤمنون يُخاطبون الامام علياً (عليه السّلام) بهذا اللقب، وبه يُسلّمون عليه.

قال بريدة الأسلمي: كنّا نُسلّم على علي بن أبي طالب ـ بحضرة رسول اللّه ـ بإمرة المؤمنين، نقول: السلام عليك يا أمير المومنين ورحمة اللّه وبركاته. ويردُّ علينا(٣).

وعن جابر بن سَمرة قال: كنّا نقول لعلي بن ابي طالب: امير المؤمنين، ورسولُ اللّه لايُنكر، ويتبسَّم(٤).

١ـ سيأتي حديث بريدة بالتفصيل في فصل وقفة مع الشيخين.

٢ـ كتاب دُرّ بحر المناقب: ص٧٨ لابن حسنويه الموصلي الحنفي.

٣ـ قوله: ﴿ويردّ علينا﴾ أي: يردّ علينا جواب سلامنا. بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٢٤.

٤ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٢٩.

النبي يخاطب خليفته بهذا اللقب

والجدير بالذِكر: ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بنفسه ايضاً كان يُخاطب خليفته بهذا اللقب، ولم يُخاطِب غيرَه بذلك.

فقد روي عن ابن عباس قال: واللّهِ ما سمَّينا عليَ بن ابي طالب: امير المؤمنين، حتى سمّاه رسولُ اللّه... كنّا نحن مارِّين في أزِقَّة المدينة يوماً[١] إذ اقبل علي بن ابي طالب فقال: السلام عليك يا رسول اللّه ورحمة اللّه وبركاته.

فقال: وعليك السلام يا أمير المؤمنين...

قال ابن عباس: فعجبتُ من قول رسول اللّه في علي، فقلتُ: يارسول اللّه ما الذي قلتَ في ابن عمي، أحُبّاً له، أم شيئاً من عند اللّه؟!

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): لاواللّه.. ما قلتُ فيه شيئاً إلا رأيت بعَيني.

قال ابن عباس: وما الذي رأيتَ يارسول اللّه؟

فقال: «ليلةَ أُسري بي الى السماء، ما مررتُ ببابٍ من ابواب الجنة، إلا ورأيتُ مكتوباً عليه: علي بن ابي طالب أمير المؤمنين من قبل أن يُخلق آدم بسبعين ألف عام»[٢].

النبي يؤكّد لخليفته هذا اللَّقب

وكان (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يؤكّد لخليفته هذا اللَّقب ويُنوِّه

١ـ إزقّة ـ جمع زقاق ـ: السِكّة/الطريق الضيِّق.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٣٩.

به... ومن ذلك ما رُوي عن أنس بن مالك ـ خادم النبي ـ أن رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال ـ يوماً وعنده رجالٌ من اهله ـ: «سيَدخل عليكم الساعة ـ من هذا الباب ـ أميرُ المؤمنين وخير الوصيّين، أقدمُ أُمّتي سِلماً وأكثرهم عِلماً» فلم يلبث أن دخل علي بن أبي طالب(١).

وبَلَغه ان أُناساً من قريش، انكروا تسمية الإمام بـ «امير المؤمنين» فصعد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) المنبر وقال: «معاشر الناس: إن اللّه عزّوجلّ بعثني إليكم رسولاً، وأمرني أن استخلف عليكم علياً اميراً.

ألا... فَمن كنتُ نَبيَّه فانّ علياً اميره، تأميرٌ أمَّره اللّه عزّوجلّ عليكم، وأمرني أن أُعلمكم ذلك، لِتسمعوا له وتطيعوا، إذا أمركم بأمرٍ تأتمرون، واذا نهاكم عن امرٍ تنتهون.

ألا: فلايأتمرنَّ احدٌ منكم على عليٍ في حياتي ولابعد وفاتي، فانَّ اللّه تبارك وتعالى أمَّره عليكم وسمّاه: امير المؤمنين، ولم يُسمٍّ احداً من قبله بهذا الاسم...»(٢).

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) مُخاطباً خليفتهَ: «فأنت ـ ياعلي ـ اميرُ المؤمنين في السماء، وأمير المؤمنين في الأرض، لايتقدَّمك بعدي إلا كافر، ولايتخلَّف عنك بعدي إلاّ كافر، وإنَّ اهل السماوات يُسمّونك: أمير المؤمنين(٣).

١ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٢٧.

٢ـ كتاب الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢٤٤.

٣ـ مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٥٤٧، كشف اليقين: ص٥٨.

إختصاص الإمام بهذا اللّقب

هذا... ويستفاد ـ من مجموعة من الأحاديث ـ أنَّ لَقب «أمير المؤمنين» خاصٌ بالامام علي (عليه السّلام) ولايجوز شرعاً إطلاقه على غير الإمام ـ في أي زمان ـ حتى على سائر أئمة اهل البيت (عليهم السّلام) مع العِلم أن المعنى حاصلٌ فيهم، لأنهم خلفاء رسول اللّه الشرعيّون.

ومن ذلك... ما روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن اللّه تعالى أوحى اليه ـ ليلة المعراج ـ: «... يامحمد إخترتُ لك عليّاً، فاتّخِذه لنفسك خليفةً ووَصيّا.. وهو أمير المؤمنين حقاً، لمَ ينلها احدٌ قَبله، وليست لأحدٍ بعده...»[1].

ونستفيد ـ من هذا الحديث ـ ما يلي:

١ـ ان اللّه تعالى اختار الامام علياً خليفة ووصيّاً لرسول اللّه في ليلة المعراج، يوم كان النبي بين يدي ربه قاب قوسين أو أدنى، في الملكوت الأعلى.

٢ـ أن الإمام علياً (عليه السّلام) هو اول انسان مَنَحه اللّه هذا اللّقب، وأنَّ مَن سَبَقه ـ من اوصياء الأنبياء وخلفائهم ـ لم يمنحهم اللّه ذلك... وهذا معنى: «لم ينلها احدٌ قبله».

٣ـ أن اللّه تعالى لايمنح هذا اللقب ـ بعد الإمام علي ـ لأي أحد، حتى لو كان خليفةً بالحق، كأئمة اهل البيت (عليهم السّلام) وهذا معنى: «وليست لأحدٍ بعده».

١ـ المناقب للخوارزمي: ص٢٤٠، ورواه الشيخ الطوسي في الأمالي: ص١٨٥، فالحديث مرويٌ في كتب الشيعة والسنّة.

٤ـ ان بعض الناس سوف ينتحل لنفسه هذا اللَّقب، ويخاطبه اتباعه به، إلاّ أنّ هذا الانتحال باطل، لأن الامام علي بن أبي طالب: «هو امير المؤمنين حقاً».

قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلاّ الضلال﴾؟

الامام الصادق يستنكر

دخل رجل على حفيد رسول اللّه: الامام جعفر الصادق (عليه السّلام) فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فوقف الامام الصادق على قدميه وقال: مَه!! هذا اسم لايصلح إلاّ لأمير المؤمنين، سمّاه به[1] ولم يُسمّ به أحدٌ غيره فرضي به إلاّ كان منكوحاً، وإن لم يكن به ابتلي!

قال الرجل: فماذا يدعى به قائمكم؟

قال (عليه السّلام): يقال له: السلام عليك يابقية اللّه، السلام عليك يابن رسول اللّه[2].

ولسائل ان يسأل: اذا كان الأمر كذلك، فلماذا أُطلق هذا اللَّقب على غير الامام علي (عليه السّلام)؟

الجواب: إن الصحابة الصالحين كانوا يرفضون اطلاق هذا اللقب على غير الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وقد روي عن معاوية بن ثعلبة انه قال: مَرِض ابو ذر الغفاري فقيل له: أوص.

١ـ أي: ان اللّه تعالى سمّى الامامَ بهذا اللَّقب.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٣٢.

قال: قد اوصيتُ.

قيل: إلى من؟

قال: إلى أمير المؤمنين.

قيل: عثمان؟

قال: لا... ولكن أمير المؤمنين حقاً حقاً، امير المؤمنين علي بن ابي طالب(١).

هذا... وفي ظروف الخوف والشدَّة كان المؤمنون يخاطبون الحكّام بهذا اللقب، محافظة على حياتهم ودفعاً لشرّ الأعداء، ومن باب التقيّة والضرورة، كما قال تعالى: ﴿إلاّ ان تتّقوا منهم تقاةً﴾ وقد ثبت ـ في الشريعة الاسلامية ـ أن «ما من شيء حرَّمه اللّه إلاّ واحلّه لمن اضطرّ اليه».

اخي القارىء: وخلاصة القول: إن اطلاق لقب «امير المؤمنين» على غير الامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) مخالف للأحاديث النبويَّة والنصوص الشرعيّة، وعلى الانسان أن يراقب لسانه وقلمه حتى لايقع في هذه المعصية، ويتعرَّض لمحاسبة اللّه وعقابه.

١ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٣١.

مؤمنٌ يَصِف أميرَ المؤمنين

ضرار بن ضمرة مِن اصحاب الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) ومن الذين كانوا مع الامام واطّلعوا على اخلاقه وسلوكه وحياته.

دخل ضرار على معاوية بن ابي سفيان، وذلك بعد وفاة الامام (عليه السّلام) فابتدره معاوية قائلاً: ياضرار صِف لي علياً؟

فامتنع ضرار - في بادىء الأمر - عن ذلك، لأنه يعلم ما يحمله معاوية من الحقد الأسود تجاه خليفة رسول اللّه، ولاينسى تلك المواقف المُخزية التي وقفها معاوية ضد الإمام.

إلا أن معاويةأصرَّ على ضرار بأن يصف له اميرالمؤمنين(عليه السّلام).

فقال ضرار: إذا كان ولابدّ، فلقد كان واللّه:

بَعيدَ المَدى، شديدَ القوى.

يقولُ فَصلاً ويحكم عدلا

يتفجَّرُ العِلمُ مِن جوانبه

وتنطُفُ الحكمةُ مِن نواحِيه[1]

١- تنطُف أي: تقطر وتترشّح. وفي نسخة: وتنطق، وعلى كل حال.. فهذه كناية عن وُفور حكمته (عليه السّلام).

يستَوحشُ مِن الدنيا وزهرتها
ويَستأنِسُ بالليل ووَحشته
كان غَزيرَ الدَمعة
طويلَ الفكرة
يُعجبه من اللباس ما خَشن
ومِن الطعام ما جشب[١]
كان فينا كأحَدِنا[٢]
يُجيبُنا إذا سألناه
ويأتينا إذا دَعَوناه
ونحن ـ واللّه ـ مع قُربه منّا لانكاد نُكلِّمه، هَيبةً له
يُعظِّم اهل الدّين.
ويُقرِّبُ المساكين
لايَطمع القَويُّ في باطله، ولايَيأسُ الضعيفُ مِن عَدله

وأشهَدُ باللّه، لقد رأيتُه في بعض مَواقفه، وقد أرخى الليل سَدُولَه، وغارت نُجومُه، قابضاً على لحيته، يَتَمَلمَلُ تململَ السليم[٣] ويبكي بكاءَ الحزين وهو يقول: يادُنيا.. غُرّي غيري.. أبي تَعرّضتِ؟؟ أم إليَّ تَشوّقتِ؟؟ هيهات! قد بايَنتك[٤] ثلاثاً لارجعةَ فيها، فعُمركِ قصير، وخَطَرك يَسير

١ـ جَشُب أي: غَلُظ، وهو بعكس الأطعمة اللذيذة المتنوّعة.
٢ـ أي: لم يأخذه غرورُ الرئاسة والسلطة، ولم تكن بيننا وبينه موانع وحواجز، كما هو شأن الملوك والرؤساء.
٣ـ السليم ـ هنا ـ بمعنى الجريح الذي لايستقرُّ من الألم، وقد يقال ذلك لمن لدغته الحيَّة وسلبته الراحة والاستقرار.
٤ـ أي: قاطعتكِ وطلّقتك.

وعَيشُكِ حقير..

آه مِن قِلَّة الزاد، وبُعد السَفَر ووَحشة الطريق...».

فبكى الحاضرون، وبكى معاوية[١] وقال: رَحِمَ اللّه ابا الحسن... كان واللّه كذلك، فكيف حُزنك عليه ياضرار؟.

قال: حُزنُ مَن ذُبِح وَلَدُها بِحِجرها، فهي لاترقأ عَبرتُها ولايسكن حُزنها.

ثم قام ضرار وخرج باكياً.

فقال معاوية لمن عنده: أما إنكم لو فقد تموني لما كان فيكمَ مَن يُثني عليَّ هذا الثناء[٢].

١ـ أمّا بكاء الحاضرين، فشيءٌ طبيعي، لأنهم شعروا بالخسارة الكبرى التي حلَّت بالاسلام والمسلمين لفقد هذا الامام العظيم، وتذكّروا ذلك القائد الزاهد العادل الرحيم.
وأما بكاء معاوية فلاشك انه لم يكن بدافع المحبة ولامن باب التوبة والنَدم، بل من باب الإغراء والدَجَل، بدليل أنه لم يُغيِّر شيئاً من سياسته البغيضة ضد سيد العترة أمير المؤمنين (عليه السّلام) حتى بعد وفاة الامام، بل واصل حَملاته التضليلية ضد اهل بيت رسول اللّه بصورة عامة وضد خليفة رسول اللّه بصورة خاصة، حتى انه كتب الى عملائه أن يلعنوا الامام (سلام اللّه عليه) في المجامع والمحافل وصلوات الجمعة والجماعة، وأن يُشوِّهوا سُمعة اهل البيت (عليهم السّلام) لدى البُسَطاء الأغبياء من الناس، وأن يَنسبِوا اليهم ما لايليق بمقامهم ومكانتهم المقدّسة، وكان معاوية بنفسه يعمل ذلك.
للمزيد من المعلومات راجع كتاب النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية.

٢ـ الاستيعاب لابن عبدالبر المالكي، المناقب لابن شهرآشوب وغيرها، وقد رُوي حديث ضرار هذا ـ في بعض الكتب ـ باختلافات يَسيرة في بعض الألفاظ، والمحتوى واحد.

مَن هم الخلفاء بعد أمير المؤمنين؟

بعد ان ثَبت أن الامام علي بن ابي طالب (عليه السّلام) هو الخليفة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يأتي دَور هذا السؤال: مَن هم الخلفاء بعد امير المؤمنين؟

الجواب: لقد عَيَّن رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الخلفاءَ من بعده، واحداً بعد واحد ـ بأمرٍ من اللّه واختيار منه سبحانه ـ في مواطن عديدة وبألفاظ مختلفة، وحَدَّد عددهم بأثني عشرة خليفة، لايزيدون عن هذا العدد ولاينقصون.

ولئلاّ يَشتبه الناس بالآخرين، أو يَستغلّ المنافقون الفرصةَ ويحتلُّوا مركز الخلافة، فقد ذكر الرسول الكريم أسماءَ خلفائه وألقابَهم واسماء آبائهم، على الشكل التالي:

الخليفة الأول: الامام علي بن أبي طالب امير المؤمنين (عليه السّلام).

الخليفة الثاني: الامام الحسن بن علي المجتبى (عليه السّلام).

الخليفة الثالث: الامام الحسين بن علي الشهيد (عليه السّلام).

الخليفة الرابع: الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام).

الخليفة الخامس: الامام محمد بن علي الباقر (عليه السّلام).

الخليفة السادس: الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام).

الخليفة السابع: الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السّلام).

الخليفة الثامن: الامام علي بن موسى الرضا (عليه السّلام).

الخليفة التاسع: الامام محمد بن علي الجواد (عليه السّلام).

الخليفة العاشر: الامام علي بن محمد الهادي (عليه السّلام).

الخليفة الحادي عشر: الامام الحسن بن علي العَسكري (عليه السّلام).

الخليفة الثاني عشر: الامام محمد بن الحسن المهدي المنتَظَر (عليه السّلام وعَجَّل اللّه ظهورَه).

وهذا الامام الأخير (الامام المهدي) حَيٌّ حتى الآن، وقد انقضى مِن عمره الشريف ألف ومائة وخمس واربعون سَنة[1] وهو غائب عن الأبصار ولكنه ليس غائباً عن الناس والمجتمع، بل يعيش في أوساطهم، ويعرف كلَّ ما يجري في البلاد وبين العباد مِن قضايا وأحداث، ويطّلع حتى على جُزئيات الامور وخفاياها، ويرى الناس ويعرفهم، ولايعرفونه، لأنه لايُعرِّف نفسه إلا لبعض أولياء اللّه الصالحين، ويحضر موسم الحج كل عام، وسوف يظهر ـ عندما يأذن اللّه له ـ فيملأ الأرض قِسطاً وعَدلاً وخيراً وبركة، بعدما مُلئت ظلماً وجَوراً، ويُقيم حكومة اللّه في الكُرة الأرضية كلها، ويُحطّم

١ـ هذا عُمره الشريف ونحن الآن في سنة ١٤٠٠ هجرية، ولامانع من أن يعيش الامام هذا العُمر الطويل، لأن اللّه على كل شيء قدير وبيده الموت والحياة، ولأن الحكمة والمصلحة الإلهية تقتضي بقاءه وطولَ عُمره. للتفصيل راجع كتاب الامام المهدي من المهد الى الظهور للوالد: السيد محمد كاظم القزويني.

عروش الظالمين[١].

أيها القارىء الكريم: كان هذا عَرضاً موجزاً لأسماء خلفاء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

والآن نذكر بعض الأحاديث النبوية المرويّة في بيان عدد الخلفاء الشرعيّين واسمائهم:

عددُ خلفاءِ رسولِ اللّه

١ـ عن جابر بن سمرة قال: سمعتُ رسول اللّه (ص) يقول: لايزال هذا الدين[٢] عزيزاً مَنيعاً إلى اثني عشر خليفة. فكبَّر الناس وضَجُّوا. فقال (ص) كلمةً خَفيت عني. فقلت لأبي، ما قال؟

قال: قال (ص): كلُّهم من قريش[٣].

٢ـ عن جابر بن سمرة ايضاً قال: كنتُ عند النبي (ص) فسمعتُه يقول: بعدي إثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوتَه، فقلت لأبي: ما الذي قال؟

قال: قال (ص): كلُّهم من بني هاشم[٤].

أيها القارىء الكريم: لقد لاحظتَ ـ في الحديث الأول ـ أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حَصَر خلفاءه في قريش، وفي الحديث الثاني،

١ـ هذا ما تُصرّح به مئات الأحاديث المروية عن النبي (ص) واهل بيته الطاهرين والتي سجَّلتها الصِحاح المعتبرة والكتب التاريخية الموثوقة.

٢ـ وفي نسخة اخرى: لايزال الاسلام.

٣ـ صحيح مسلم: ج٢ كتاب الإمارة، صحيح ابي داود: ج٢ كتاب المهدي، تاريخ بغداد: ج٢ ص١٢٦، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١١، مُسند احمد بن حنبل: ج٥ ص١٠٧، وغيرها من عشرات الكُتب.

٤ـ ينابيع المودَّة للقندوزي الحنفي: ص٢٥٨ وص٤٤٥.

ضَيَّقَ النطاق في بني هاشم، حتى يُخرج من سوف يدّعي الخلافة من غيرهم.

٣ـ عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبداللّه بن مسعود ـ وهو يُقرؤنا القرآن ـ فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن: هل سألتم رسولَ اللّه: كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟

فقال عبداللّه بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قَدِمتُ العراق قَبلك، نَعَم لقد سألنا رسول اللّه فقال: إثنا عشر كعدد نُقباء بني اسرائيل[١].

٤ـ رَوى الحاكم[٢] عن النبي (ص) انه قال: لايزال أمر أُمَّتي صالحاً حتى يَمضي إثنا عشر خليفة... كلهم من قريش.

وقد روى احمد بن حنبل ـ إمام الحنابلة ـ في الجزء الخامس من مُسنده ـ اربعة وثلاثين حديثاً عن اربعة وثلاثين طريقاً، عن النبي (ص) في أن الخلفاء من بعده إثنا عشر[٣].

محاولات فاشلة

أيها القارىء الكريم: لقد حاول بعض المتعصِّبين والمنحرفين، أن يُحرِّفوا هذه الأحاديث عن معانيها الواقعية، ويُطبّقوها على الحكام الامويين

١ـ الصواعق المحرقة: ص١٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٧، تفسير القرآن للحافظ أبي الفداء المطبوع بهامش فتح البيان: ج٣ ص٣٠٩، وغيرها...

٢ـ في باب معرفة الصحابة من كتاب مُستدرك الصحيحين.

٣ـ راجع كتاب مُنتخَب الأثَر في الامام الثاني عشر، للشيخ لطف اللّه الصافي، حتى تجد ٨١ حديثاً عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في ان عدد الائمة والخلفاء من بعده إثنا عشر فقط، وكلهم من قريش، وفي بعضها: وكلهم من بني هاشم.

والعباسيين الذين غَصبوا منصب الخلافة من اصحابها الشرعيين. مع العِلم أن هذه الأحاديث لاتنطبق عليهم بأي وجه.

وقد تَصدَّى العلماء لهذه المحاولة الحاقدة، ورَدُّوا على اولئك المغرِضين، بالمنطق والدليل، وما فيه الكفاية للمُنصِف المؤمن.

وهنا ارى مناسباً ان اذكر ما كَتَبه الشيخ القندوزي الحنفي - وهو من علماء أهل السُنَّة - في هذا المجال:

(قال بعض المحقّقين: إن الأحاديث الدالّة على كَون الخلفاء بعده (ص) إثنا عشر، قد اشتهرت مِن طُرُق كثيرة، فَبِشَرح الزمان وتعريف الكَون والمكان، عُلم أن مُراد رسول اللّه (ص) من حديثه هذا، الأئمة الاثنا عشر مِن اهل بيته وعترته، إذ لايمكن أن يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لِقِلَّتهم عن إثني عشر.

ولايمكن أن يُحمل على الملوك الأموية، لزيادتهم على إثني عشر، ولِظُلمهم الفاحش - إلاّ عمر بن عبدالعزيز[1] - ولِكونهم غير بني هاشم، لأن النبي (ص) قال: كلهم من بني هاشم - في رواية عبدالملك عن جابر - وإخفاءُ صوته في هذا القول يُرجِّح هذه الرواية، لأنهم لايُحسنون خلافةَ بني هاشم.

ولايمكن أن يُحمل على الملوك العباسية، لزيادتهم على العدد المذكور، ولِقلَّة رعايتهم الآية ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في

١- طبعاً هذا رأيه الشخصي في عمر بن عبدالعزيز، وليس ثابتاً ما يُقال عنه من العَدل والخير، ولئن صدَر منه ما يُوهم ذلك، فانما كان لأسبابٍ سياسية امويّة، لا لأسباب دينية عقائدية. هذا وللموضوع تفصيل نتركه لمجال آخر.

القُربى﴾[١] وحديث الكساء[٢] فلابد من أن يُحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر مِن اهل بيته وعترته(ص) لأنهم كانوا أعلم اهل زمانهم، وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم واعلاهُم نَسَباً وأفضلهم حَسَباً، وأكرمهم عند اللّه، وكان علومهم عن آبائهم متّصلة بِجَدِّهم، وبالوراثة واللَّدُنيّة، كذا عرَّفهم اهلُ العِلم والتحقيق واهلُ الكشف والتوفيق، ويؤيِّد هذا المعنى[٣] ويشهد له ويرجّحه: حديث الثقلين، والاحاديث الكثيرة في هذا الكتاب[٤] وغيرها...)[٥].

اسماءُ خلفاءِ رسول اللّه

والآن نُقدِّم نماذج من الأحاديث النبويّة التي تُصرِّح باسماء خلفاء الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم):

١ـ عن ابن عباس قال: قَدِم يهوديٌّ يقال له: نَعثل وقال: يامحمد أسألكَ عن اشياء تُلَجلج في صَدري منذ حين، فان أجَبَتَني اسلمتُ على يديك...

إلى أن قال: فأخبرني عن وَصيِّك مَن هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصي،

١ـ سورة الشورى/الآية ٢٣.

٢ـ لايخفى عليك ـ أيها القارىء ـ أن في عبارة القندوزي بعض التسامح والإغماض، وإلاّ فان الثابت ان الحكام العباسيين عامَلوا آل رسول اللّه معاملة قاسية وخشنة جداً ومَلأوا بهم السجون وشرَّدوهم من ديارهم، وقتلوهم بالسم والسيف، والتاريخ يشهد بهذا، وخاصة هارون المسمّى بالرشيد، والمأمون وغيرهما.

٣ـ أي: ان الائمة الاثني عشر هم من أهل بيت النبي وعترته.

٤ـ يقصد كتابه: ينابيع المودّة.

٥ـ ينابيع المودة: ص٤٤٦ باب٧٧.

وإن نبيَّنا موسى بن عمران أوصى الى يوشع بن نون.

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): إن وصيّي علي بن ابي طالب، وبعده: سِبطاي الحسن والحسين، تَتلوه تسعةُ ائمة من صُلب الحسين.

قال اليهودي: يامحمد فسَمِّهم لي؟

قال (ص): إذا مضى الحسين فابنُه علي، فاذا مضى علي فابنُه محمد، فاذا مضى محمد فابنُه جعفر، فاذا مضى جعفر فابنُه موسى، فاذا مضى موسى فابنُه علي، فاذا مضى علي فابنُه محمد، فاذا مضى محمد فابنُه علي، فاذا مضى علي فابنُه الحسن، فاذا مضى الحسن فابنُه الحُجَّة محمّد المهدي، فهؤلاء إثنا عشر...» الى آخر الحديث[1].

٢ـ عن ابن عباس ايضاً قال ـ في حديث له مع النبي الكريم ـ: قلت: يارسول اللّه فكَم الأئمة من بعدك؟

قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): بِعَدد حواريّ عيسى، وأسباط موسى، ونُقباء بني اسرائيل.

قلت: يارسول اللّه فكَم كانوا؟

قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): كانوا إثني عشر، والأئمة بعدي إثنا عشر، أوَّلهم: علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فاذا انقضى الحسين فابنه علي فاذا انقضى علي فابنه محمد، فاذا انقضى محمد فابنه جعفر، فاذا انقضى جعفر فابنه موسى، فاذا انقضى موسى فابنه علي، فاذا انقضى علي فابنه محمد، فاذا انقضى محمد فابنه علي، فاذا انقضى علي فابنه الحسن، فاذا انقضى الحسن فابنه الحجّة.

١ـ راجع ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ص٤٤٠ حتى تجد الحديث بكامله، وذكره الحافظ الجويني الشافعي في فرائد السمطين: ج٢ باب٣١، وغيرهما..

قال ابن عباس: فقلت: يارسول اللّه أسامي لم اسمع بهنّ قط!

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): يابن عباس: هُم الأئمة بعدي وإن قُهِروا[1] أُمَناء معصومون نُجَباءٌ أخيار.

يابن عباس: مَن أتى يوم القيامة عارفاً بحقِّهم، اخذتُ بيده فأدخلته الجنّة.

يابن عباس: مَن أنكَرهم أو رَدَّ واحداً منهم فكأنَّما قد أنكرني ورَدَّني، ومن انكرني وردَّني فكأنَّما قد انكر اللّهَ وردَّه!.

يابن عباس: سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً، فاذا كان كذلك فاتّبع علياً وحزبَه، فانه مع الحق والحقُ معه، ولايُفترقان حتى يَرِدا عليَّ الحوض.

يابن عباس: وِلايَتُهم وِلايَتي، وَوِلايتي ولاية اللّه، وحَربهم حَربي، وحربي حربُ اللّه، وسِلمهم سِلمي، وسِلمي سِلم اللّه.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿يُريدونَ أن يُطفِئوا نُورَ اللّهِ بأفواهِهم، ويأبى اللّهُ إلاّ أن يُتمَّ نورَه ولو كرِهَ الكافرون﴾[2].

٣ـ عن حُذيفةبن اليَمان قال ـ في حديث له مع النبي العظيم ـ:

قلت: يارسول اللّه.. على مَن تُخَلِّفنا؟

قال: على مَن خَلَّف موسى بن عمران قومَه؟

قلت: على وَصيِّه يُوشع بن نون.

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): فإنَّ وصيّي وخليفتي مِن بعدي: عليُ بن أبي طالب، قائدُ البرَرَة وقاتل الكَفَرة، مَنصورٌ مَن نَصَره، مَخذولٌ مَن خذَلَه.

١ـ أي: حتى لو غُصبت منهم السُلطة.

٢ـ مُنتَخب الأثَر: ص٩٩، والآية في سورة التوبة: آية ٣٢.

قلت: يارسول اللّه فكَم يكون الأئمة مِن بعدك؟

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): عدد نُقباء بني اسرائيل[١] تسعةٌ [منهم] مِن صُلب الحسين اعطاهم اللّهُ عِلمي وفَهمي، خُزّانُ عِلم اللّه ومَعادِنُ وَحيه....

قلت: أفَلا تُسَمِّيهم لي يارسول اللّه؟

قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): نَعَم... إنه لما عُرج بي الى السماء، نظرتُ الى ساق العرش، فرأيتُ مكتوباً بالنور: «لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، أيَّدتُه بِعَلي ونَصرتُه به» ورأيتُ انوار الحسن والحسين وفاطمة، ورأيت في ثلاثة مواضع: عليّاً عليّاً عليّاً، ومحمّداً ومحمّداً[٢] وموسى وجعفر والحسن، والحُجّة يتلألأُ مِن بينهم كأنه كوكب دُرِّيّ.

فقلت: يارب مَن هؤلاء الذين قَرنتَ أسماءهم باسمك؟

قال: «يامحمد إنهم هم الأوصياءُ والأئمةُ مِن بعدك، خَلَقتُهم من طينتك فطوبى لمن احبَّهم[٣] والويلُ لمن أبغضَهم، فَبِهم أُنزل الغَيث[٤] وبهم أُثيبُ وأُعاقب»[٥].

١ـ أي: إثنا عشر.

٢ـ المقصود هو الخليفة الرابع: علي بن الحسين، والخليفة الثامن: علي الرضا، والخليفة العاشر: علي الهادي. أمّا محمد الأول فهو الخليفة الخامس: محمد الباقر، وأمّا محمد الثاني فهو الخليفة التاسع: محمد الجواد، والحجّة هو الامام المهدي (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

٣ـ طوبى ـ في المعنى اللُغوي ـ: هنيئاً. وفي الحديث إن في الجنة شجرة إسمها طُوبى.

٤ـ الغَيث: المطر، والمعنى ان اللّه تعالى، ببركة اهل البيت يترحَّم على خَلقه فينزل الأمطار والبركات.

٥ـ جَعل اللّه اهلَ البيت ميزاناً للثواب والعقاب، فمن أحبَّهم واعتقد بهم كان له الثواب، ومن ابغضهم أو انكر إمامتهم ومنزلتهم كان له العقاب والعذاب.

ثم رَفَع رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يده الى السماء، ودعى بدَعوات، فسمعتُه يقول: اللّهمَّ اجعل العِلم والفقه في عَقِبي[١] وعَقِب عقبي...»[٢].

أيها القارىء الكريم: هؤلاء ـ أي ائمة أهل البيت الذين مَرَّ ذِكرهم ـ خلفاء رسول اللّه الشرعيُّون، وهم اوصياؤه الحقيقيّون، لأنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عَيَّنهم وصرَّح بهم، ولأنه نَصَّ عليهم بأمر من اللّه واختيار منه سبحانه.

سؤال: إذا كان هؤلاء هم الخلفاء الذين عيَّنهم الرسول، فلماذا لم يتسلَّموا الحكمَ مِن بعده ـ على الترتيب طبعاً ـ بل تَسلَّمه آخرون؟؟

الجواب في الفصل القادم.

١ـ العَقِب: الذرية والنَسل.

٢ـ راجع كتاب منتخب الأثَر في الامام الثاني عشر: ص٩٧ حتى تجد ٥٠ حديثاً عن النبي (ص) يُصرِّح فيها بأسماء الخلفاء من بعده.

ماذا حَدَثَ بعد وفاة الرسول؟

ماذا حَدَث بعد وفاة الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

سؤال خطير.. والإجابة عليه تحمل بين طِيّاتها الآلام... والآهات... والشُجُون والأحزان!

لقد حَدَث زلزال... أين منه زلازل الكون!؟

لقد حدثت مأساة... أين منها مآسي العالَم!؟

لقد وقعت فتنة و(فَلتة) لازال العالَمَ يَئنُّ من وَطأتها، وَيَتلوّى تحت سياطها حتى اليوم!

وكأنّي بك ـ أيها القارىء الكريم ـ تَضَع يدك على قلبك، وتسألني بلهفة وفَزَع: ماذا حَدَث؟

وتُكرِّر: ماذا حدث بعد وفاة الرسول؟؟

هنا... وقبل ان اشرح لك بعض ما حدث، أطلب منك أن تتجرّد من العَصبيّة، وتتحرّر من قيود الإنحياز والهوى... وأن تستعد نفسيّاً لمطالعة الجواب، بروحٍ موضوعية مؤمنة...

وارجو أن تُمسك بيدك الاخرى مِنديلاً، لتمسح دموعك التي سوف تجري على خَدّيك... حُزناً على ما حَلَّ بالإسلام والمسلمين من كارثة

ومأساة وزلزال وفتنة و«فلتة» حَدَثت بعد وفاة الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)!

لقد اعدَّ المناوئون خطَّة مدبَّرة للاستيلاء على السلطة فور غياب الرسول، فلفَّقوا حديثاً نسبوه الى الرسول أنه قال: «لاتجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم» ولمّا لم يكن هذا الحديث المختلَق وحده كافياً ـ لمخالفته للنصوص والأحاديث الشريفة ـ فقد لجأوا الى اسلوب العنف واستخدام السلاح، لتنفيذ خطّتهم وفرض حكومتهم! وهذا شأن كل فرقة لاتملك المنطق والبرهان حيث تلجأ الى اسلوب العنف والسلاح حتى تفرض نفسها قهراً.

نعم! هذا ما حَدث فعلاً بعد غياب الرسول الأعظم!

فقد هرَع المناوئون الى سقيفة بني ساعدة[1] لانتخاب الخليفة ـ بزعمهم ـ وتجاهلوا يومَ الغدير ونكثوا بيعتَهم للامام علي امير المؤمنين، وتناسَوا وصايا النبي في خليفته وكأنَّ النبي لم يُعيِّن خليفة لنفسه!!

وهناك في السقيفة، وقَع الإختلاف والنزاع بينهم، فكانت كل قبيلة تحاول أن يكون الحاكم منها... ونادى احدهم: مِنّا امير، وصاح آخر: منّا أمير، وساد الفوضى في السقيفة، وجرى حوارٌ حادٌّ بين الأطراف المتنازعة، حتى ادّى الى اهانة بعضهم البعض.

وفي هذا الجوّ المليىء بالنزاع والفوضى، نَزل ثلاثة اشخاص الى الساحة لاستغلال الموقف والصيد في الماء العكر، وبدؤا بتنفيذ الخطّة ـ المدبَّرة قبل وفاة الرسول ـ على الشكل التالي:

١ـ سقيفة بني ساعدة: دكَّة مُسقَّفة، كان يلجأ إليها الفقراء والغرباء.

وقف ابو بكر ـ وبين يديه عمر بن الخطّاب وابو عبيدة الجرّاح:حفّار القبور بالمدينة ـ وقال للحاضرين: إني ناصحٌ لكم في احد هذين الرَجلين: ابي عبيدة الجرّاح أو عمر، فبايعوا مَن شئتم منهما!!

فقال عمر ـ حسَب الخطّة المسبقة ـ: مَعاذَ اللّه أن يكون ذلك وأنت بين اظهرنا... أُبسط يدك لأُبايعك.

وتبعه ابو عبيدة... فبايعاه[1].

وهكذا وقعت الفتنة و«الفَلْتَة» كما عبَّر عمر بن الخطاب عنها فيما بعد.

ولكنْ.. هل انتهى الأمر بهذه البساطة؟!

كلا.. لقد جرَّد عمر بن الخطاب سيفه، وجعل يطلب البيعة لصاحبه تحت بريق السيف والتهديد!

وهنا إحتدّ النزاع والجدال... فمن الناس مَن بايع خشية القتل، ومنهم مَن تحدّى القوم ووقف وخطب وحذَّر.

يقول ابن قتيبة[2]:... فقام الحباب بن المنذر وقال: يامعشر الأنصار... أملكوا على ايديكم ولاتسمعوا مقالة هذا واصحابه[3] فيذهبوا

١ـ كتاب الإمامة والسياسة: ج١ ص١٦ لابن قتيبة، وقد قالوا عنه: هو العالم الفاضل الفقيه ابو محمد عبداللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري من علماء اهل السُنَّة في القرن الثالث الهجري، ومن ائمة الأدب والنحو والتاريخ، وُلد ببغداد عام٢١٣ هـ وتوفي عام٢٧٦ هـ وله كتب كثيرة ومن أشهرها كتابه هذا، المعروف بتاريخ الخلفاء، وقد طبع عدّة مرات في مصر والعراق ولبنان.

٢ـ في كتابه الامامة والسياسة: ج١ ص١٤.

٣ـ يقصد بذلك عمرَ بن الخطاب وحزبه، لأن كلامه هنا جاء رداً على كلام عمر، كما ستعرف ذلك.

بنصيبكم من هذا الأمر، فان أبَوا عليكم ماسألتم فأجلوهم عن بلادكم، وتولّوا هذا الأمر عليهم، فأنتم ـ واللّهِ ـ أولى بهذا الأمر منهم... واللّهِ لايردُّ عليَّ احدٌ ما اقول إلا حطّمتُ انفه بالسيف.

قال عمر بن الخطاب: فلمّا كان الحباب هو الذي يجيبني، لم يكن لي معه كلام. الى آخر كلامه.

وكان سعد بن عبادة ـ زعيم الخزرج ـ قد حضر السقيفة وهو مريض، وعندما ساد الفوضى ـ بعد البيعة ـ كاد سعد أن يُسحَق تحت الأقدام... فصاح: قتلتموني.. قتلتموني.

فقال عمر: اقتلوا سعداً... قَتله اللّه.

فوثب قيس بن سعد، واخترط سيفه، وقَبض بلحية عمر وصَرخ في وجهه: واللّهِ يابن صهاك الحبشية[1] اللّيث في الملأ والجبان في الحرب، لو حرّكتَ منه شعرةَ، لَما رجعتَ وفي وجهك واضحة!

فأراد أبو بكر ان يُهدّأ الموقف، لئلا ينقلب الأمر عليه، فقال: مَهلاً يا عمر.

فقال زعيم الخزرج مُخاطباً عمر: يابن صهاك الحبشيَّة، أما واللّهِ لو أنّ لي قوةً على النهوض، لسمعتَ مني في سِككها زئيراً يُزعجك واصحابَك، ولألحقتُكم بقومٍ كنتم فيهم اذناباً اذلاّء، تـابعين غير متبوعين، فلقد اجترأتم على اللّه وخالفتم رسوله.

فأرادوا أن يأخذوا البيعة منه... فقال: لا واللّه حتى ارميكم بكل سهمٍ في كنانتي، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكتْه يدي، واقاتلكم بمَن معي من اهلي وعشيرتي. لاواللّه، لو أن الجنّ

١ـ صُهاك: جَدَّة عمر، كان يُعيَّر بها لكونها من اهل الفساد.

اجتمعت لكم مع الإنس، ما بايعتكم حتى أُعرَض على ربي واعلم حسابي.

ثم صاح: يا آل الخزرج.. إحملوني عن مكان الفتنة. فحملوه من دون أن يبايع هو أو اصحابه[١].

وكان سعد لايحضر معهم جمعةً ولاجماعة، ولو وجد عليهم اعواناً لَصال بهم، ولو بايعه احدٌ على قتالهم لَقاتلهم، فلم يزل كذلك حتى توفي ابو بكر، وولي عمر بن الخطاب،فخرج سعد الى الشام،ولم يبايع لأحد[٢].

قال البراء بن عازب ـ وهو يحكي بعض ما جرى من العنف على اخذ البيعة لأبي بكر ـ: ... فلم ألبث واذا أنا بأبي بكر قد أقبل، ومعه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة، وهم مُحتجِزون بالأُزُر الصنعانية، لايمرّون بأحدٍ إلا خبَطوه[٣] وقدَّموه فمدُّوا يده فَمسحوها على يد ابي بكر، شاء ذلك أو أبى[٤].

وعن عبدالله بن عبدالرحمن قال: ثم إن عمر إحتزم بإزاره، وجعل يطوف بالمدينة وينادي: إن ابا بكر قد بويع له فهلمُّوا الى البيعة... فَعرف أن جماعةً في البيوت مُستترون، فكان يقصدهم في جَمع، فيكبسهم[٥] ويُحضرهم في المسجد فيُبايعون...[٦].

أيها القارىء الكريم : لقد نُفِّذت هذه المؤامرة ... وجَسَدُ رسول

١ـ كتاب النوادر في الأحاديث: ص١١٤، تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٠٧، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٢ ص٣٧، طبعة مصر.

٢ـ الامامة والسياسة: ج١ ص١٧، تاريخ الطبري: ج٣ ص١٩٨.

٣ـ خَبَطوه: ضربوه أو أخذوه قهراً.

٤ـ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص٢١٩، في شرح الخطبة الشقشقية.

٥ـ كَبَس داره: هَجم عليها فجأةً.

٦ـ كتاب بيت الأحزان للقمي ص٥٩، الاحتجاج للطبرسي: ج١.

الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الطاهر ممدودٌ على المغتَسل، وخليفته علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) مشغول بتغسيله وتجهيزه، واهل البيت والمؤمنون من صحابته في حُزن عظيم وبكاء ونحيب!!.

إلا أن رجال السقيفة لم يعبأوا بكل ذلك، وفضَّلوا تنفيذ المؤامرة على مشاركة آل رسول الله في الحزن والمصاب الأليم.

ثم خرجوا يُعلنون أن إجماع المسلمين قام على انتخاب ابي بكر!!!.

سبحان اللّه!.. وهل يتحقق اجماع المسلمين بانتخاب شرذمة قليلة؟!

وهل يتحقق الاجماع بالعنف والسيف والإكراه على البيعة؟!

أين كان امير المؤمنين؟

لقد ذكرنا أن خليفة رسول اللّه: علي بن ابي طالب (عليه السّلام) كان مشغولاً بتغسيل النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وتجهيزه.

وبعد تنفيذ مؤامرة السقيفة، وبينما كان (عليه السّلام) يُسوِّي قبر رسول اللّه بمسحاته، جاءه رجل وقال له:

يا أمير المؤمنين... إن القوم قد بايعوا ابا بكر، وانخذلت الأنصار باختلافهم، وبَدرَ الطلقاء بالعقد لأبي بكر، خوفاً مِن إدراككم الأمر!.

فوضع (عليه السّلام) المسحاة على الأرض، وقرأ: ﴿بسم اللّه الرحمن الرّحيم آلم أحَسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لايُفتنون[1] ولقد فَتنّا الذين مِن قبلهم فَليَعلمنَّ اللّهُ الذين صَدَقوا وَليعلَمنَّ الكاذبين ـ الى قوله تعالى ـ ولَيعلَمنَّ اللّه الذين آمنوا وَليعلَمنَّ المنافقين﴾[2].

١ـ الفتنة ـ هنا ـ: الإمتحان والإختبار.

٢ـ سورة العنكبوت/الآيات ١ ـ ١١.

ثم قرأ: ﴿واتقوا فتنةً لاتُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾[١].

وتلاوة الامام (عليه السّلام) لهذه الآيات ـ عند سماعه خبر مؤامرة السقيفة ـ لها اكثر من معنى، فكأنه (عليه السّلام) يريد أن يقول: إن اللّه تعالى تعلَّقت إرادته بأن يمتحن المسلمين قاطبة ـ بعد وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ امتحاناً عصيباً يُعرف فيه المؤمن الخالص، ويتعرّى فيه المنافقون والكاذبون.

لقد جَرت سُنّة اللّه تعالى في خَلقه على الامتحان والاختبار، وكانت السقيفة هي اول إمتحان الٰهي يتعرّض له المسلمون، بعد غياب الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ومع الأسف... لم ينجح في هذا الامتحان إلا القليل القليل، وسَقط الباقون ونكثوا البيعة وخسروا الصفقة «ذلك هو الخُسران المبين».

ثم ترى الامام (عليه السّلام) يتلو قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنةً لاتُصيبَنَّ الذين ظَلموا منكم خاصة﴾.

وكأنَّه (سلام اللّه عليه) يريد أن يقول: إن مؤامرة السقيفة بلاء عام سوف يُحرق الرطْب واليابس، وان الذين يتّخذون موقف المتفرِّج في هذه الأزمة ولايثأرون لآل رسول اللّه المظلومين، سوف يدفعون ضريبة ذلك السكوت والخذلان، ولايَسْلمون من رياح النقمة وعواصفها.

وهذا ما حَدث بالفعل.

الإنقسام في الصحابة

ولما انتشر خبر مؤامرة السقيفة واغتصاب الحكم من خليفة رسول

١ـ كتاب النوادر في الأحاديث للفيض الكاشاني: ص١١٥.

اللّه، إنقسم الناس الى قسمين:

١ـ قسم إنحازوا إلى الحكومة الغاصبة ونكثوا بيعة الغدير، وبايعوا الحاكم وهم ضُعفاء الايمان، والمؤلّفة قلوبهم من الهَمَج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح!.

٢ـ وقِسم ثَبَتُوا على ايمانهم وصَمَدوا على الحق، ووَفَوا ببيعتهم لأمير المؤمنين، ورفضوا بيعة الحاكم الذي انتُخب بالسيف... وهؤلاء كانوا من شخصيات الصحابة ومن أجِلاّء المسلمين، ومن الذين مَدَحهم رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وشَهِد لهم بالجنة، ووصَفهم بالايمان، كالصحابي الجليل ابي ذر الغفاري[١] والصحابي الجليل سلمان الفارسي[٢] والصحابي الجليل المقداد بن الأسود الكندي[٣] والصحابي الجليل عمّار بن ياسر[٤] والصحابي الجليل مالك بن نويرة وقومُه[٥] وزعيم الخزرج سعد بن

١ـ الذي قال فيه النبي: «ما اظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء على ذي لهجة اصدق من أبي ذر، فاذا اردتم ان تنظروا الى اشبه الناس بعيسى بن مريم زهداً وهَدياً فعليكم به» صحيح الترمذي: ج٥ ص١٢١، مسند احمد بن حنبل: ج٢ ص١٦٣.

٢ـ الذي قال فيه الرسول: سلمان مِنّا اهلَ البيت، وقيل لعلي (عليه السّلام): حَدِّثنا عن سلمان؟ فقال: أدرَكَ العِلم الأول والآخر وهو بحر لايُنزح وهو مِنّا أهل البيت. رواه العلامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣١٩ وغيره.

٣ـ قال النبي (ص): إن اللّه عزّوجلّ امَرني بحب اربعة واخبَرني أنه يُحبّهم: علي وابو ذر والمقداد وسلمان. رواه الترمذي في صحيحه: ج٢ ص٢١٣، والحاكم في مستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٣٠.

٤ـ الذي قال فيه رسول اللّه: إن عماراً مُلِيء ايماناً من قَرنه الى قدمه وان الايمان اختلط بلحمه ودمه/تفسير الزمخشري: ج٢ ص١٧٦، تفسير الرازي: ج٥ ص٣٦٥.

٥ـ حيث رفض البيعة وإعطاء الزكاة للحاكم، وكان يسكن في ضواحي المدينة، وكان رسول اللّه قد أخبر الصحابة انه من اهل الجنة ، فارسل ابو بكر سَرِيَّة من الجيش ←

عبادة واتباعه، وغيرهم.

موقف العباس بن عبدالمطلب

وقد امتنع العباس بن عبدالمطلب من البيعة وقال ـ مخاطباً لعمر لمّا طلب منه ان يبايع ابا بكر ـ: إن بيعة رسول اللّه في يوم الغدير لابن عمّه في اعناقنا قبل بيعتكم هذه؛ ثم انشأ يقول:

ما كنتُ احسب أنّ الأمر منصرفٌ
عن هاشم ثم منه عن ابي حسن
اليس اوّلَ مَن صلّى لِقبلتكم؟
واعلمَ الناس بالآثار والسُنن ؟
واقربَ الناس عهداً بالنبي ومَن
جبريلُ عوناً له في الغُسل والكفن؟
مَن فيه مافي جميع الناس كلّهم
وليس في الناس ما فيه من الحَسَن
مَن ذا الذي ردّكم عنه فنعرفه ؟
ها إنَّ بيعتكم مِن أعظم الفتَن[1]

فقال له عمر: لابدّ من بيعتك ياعباس ومَن معك، وأيم اللّه لئن أبيتم لنحاولنّكم بالسيف..!

← بقيادة خالد بن الوليد فقَتل مالكاً وزنى بزوجته في نفس الليلة. للتفصيل راجع تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٤١ وتاريخ ابن الأثير: ج٣ ص١٤٩ وتاريخ ابي الفداء: ج١ ص١٥٨ وغيرهما من التواريخ.

١ـ كتاب النوادر في الأحاديث: ص١١٥ وتنسب هذه الأبيات الى غير العباس أيضاً.

موقف السيدة فاطمة من السقيفة

وأما النساء... فقد رفض جمعٌ منهن البيعة، ووَفين ببيعتهنّ للامام امير المؤمنين (عليه السّلام) يوم الغدير.

وأبرزُ النساء: الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (سلام اللّه عليها) فانها رفضت البيعة، واعلنت الحرب على ابي بكر ـ ورجال السلطة ـ، وكانت غاضبةً عليه، ولم تُكلّمه حتى فارقت الحياة[١] وقد صحَّ عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: يافاطمة إن اللّه يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ»[٢].

١ـ صحيح البخاري: ج٦ باب غزوة خيبر، وفيه ايضاً ج٥ باب فرض الخُمس، وفي صحيح مسلم: ج٢ ص٧٢، وغيرهما.

٢ـ الاصابة لابن حجر: ج٤ ص٣٧٨، الصواعق المحرقة: ص١٠٥، مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٥٤ وصحَّحه. للتفصيل راجع الجزء الثالث من الغدير: ص١٨٠.

الامام امير المؤمنين في مواجهة التحدّيات

ماذا كان موقف خليفة رسول اللّه مِن مؤامرة السقيفة؟

لقد كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قد اخبر خليفته علياً (عليه السّلام) بأن القوم سوف يتمرَّدون عليه وينقُضون بيعة الغدير ويُبايعون غيره.

وكان قد اوصاه بمواجهة هذه التحدّيات... بالصَلابة والصبر... أمّا الصَلابة ففي وجه الباطل واهلِه، وأمّا الصبر فعلى خيانة القوم وما سيُلاقيه منهم من الغدر والأذى والحسد.

وامتثل الامام علي (عليه السّلام) اوامر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ووصاياه.

فقد صبر وكظم غيظه واحتسب في ذلك الأجر، بالرغم من قدرته الكاملة على تصفية خصومه والقضاء عليهم بيد واحدة.

ولو كان الامام يجرّد السلاح في وجوه الغاصبين ـ وهو ذلك الشجاع البَطل الذي تعرفه ـ لكان يخرج من المعركة ظافراً منتصراً

لامحالة، إلاّ انه قَيّدته وصية رسول اللّه.

وقد اشار الامام (عليه السّلام) الى هذا الموضوع في رسالة كَتبها الى ابي بكر ـ يوم غَصَب مقاطعة (فَدك) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ـ جاء فيها:

«... أما واللّهِ لو أُذن لي بما ليس لكم به عِلم، لَحَصدتُ رؤوسكم عن اجسادكم كَحَبّ الحصيد[١] بِقَواضِب من حديد[٢] ولَقلعتُ من جماجم شجعانكم ما أُقرح به آماقكم[٣] وأُوحشَ به مَحالكم، فانّي ـ مذ عرفتَ ـ مُردي العساكر، ومُفني الجَحافل[٤] ومُبيد خضرائكم[٥] ومُخمد ضوضائكم...

لَعَمر أبي وأُمّي: لن تحبّوا أن تكون فينا الخلافة والنبوَّة، وأنتم تذكرون احقاد بدر، وثارات أُحُد.

أما واللّه لو قلتُ ما سَبق مِن اللّه فيكم، لَتداخلت اضلاعُكم في اجوافكم كتداخل اسنان دوارة الرَحى، فان نطقتُ يقولون: حَسَداً، وإن سكتُّ فيقال: ابن ابي طالب جَزَع من الموت...

الى ان قال: ... وكفى باللّه حكيماً، وبرسول اللّه خَصيما، وبالقيامة مَوقفاً، فلاابعدَ اللّهُ فيها سواكم، ولاتعسَ فيها غيركم، والسلام على من اتبع الهدى».

١ـ الحصيد: ماحُصِد من الزرع.

٢ـ قواضب ـ جمع قاضب ـ: الآلة الشديدة القطع.

٣ـ الآماق: زوايا العيون.

٤ـ جحافل ـ جمع جحفل ـ: الجيش الكثير.

٥ـ خضراء القوم: مُعظمهم.

فلما قرأ أبو بكر الكتاب، رعب من ذلك رُعباً شديداً وقال: ياسبحان اللّه.. ما اجرأه عليّ وأنكله عن غيري!!.

الى أن قال: ... مالي ولابن ابي طالب؟! وهل نازَعه احدٌ ففَلج عليه؟![1].

فقال له عمر: أبيتَ ان تقول إلا هكذا؟! فأنتَ إبن مَن لم يكن مقداماً في الحروب ولاسَخيّاً في الجدوب!!...

فقال له ابو بكر: ناشدتُك اللّهَ ـ ياعمر ـ لمّا تركتني من أغاليطك وتَربيدك[2] فواللّهِ لو هَمَّ ابن ابي طالب بقتلي وقتلك لَقَتَلَنا بشماله دون يمينه!!

وما ينجّينا منه إلا احدى ثلاث خصال:

اَحدها: أنه وحيدٌ ولا ناصر له.

والثانية: أنه ينتهج فينا وصيَّةَ رسولِ اللّه.

والثالثة: انه مامِن هذه القبائل احدٌ إلا وهو يتخضَّمه[3]..

الى أن قال له: أنسيتَ يومَ أُحُد، وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل، وقد احاطت به [بالإمام] ملوك القوم وصَناديدهم، موقنين بقتله لايجد مَحيصاً للخروج من اوساطهم...؟!!

ثم عَمد الى رئيس القوم فضَربه ضربةً على أُم رأسه، فبقي على فكٍّ واحد ولسان، ثم عَمد الى صاحب الراية العظمى فضَربه ضربةً على جُمجُمته فَفلقَها، ومرَّ السيف يهوي في جسده، فبراه ودابَّته بنصفين، ولمّا

١ـ فَلج: فاز وغَلب.

٢ـ تربّد الرجُل: تعبّس.

٣ـ خَضَم الشيء: قَطعه، والمعنى ـ هنا ـ: الحقد والضغينة.

أن نظَر القوم الى ذلك إنجفلوا من بين يديه[١] فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً، حتى تركهم جراثيم جموداً على تلعةٍ من الأرض... الى آخر كلامه[٢].

وقال (عليه السّلام): «أما والبيتِ والمفضي الى البيت[٣] لولا عهدٌ عهده إليّ النبي الأُمّي لأوردتُ المخالفين خليجَ المنيَّة، ولأرسلتُ عليهم شآبيب صواعق الموت، وعن قليلٍ سيعلمون»[٤].

هذا من جهة.

من جهة اخرى: كان صبر الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) له الاثر الكامل في المحافظة على حياة الاسلام وبقائه، فلو كان الامام يجرّد السيف ويتصدّى ـ عسكرياً ـ للمخالفين، لكانت الحرب تقع بين المسلمين وتُراق الدماء كالأنهار وتضعف شوكتهم وتستغلّ دولتا الفرس والروم ـ وهما القوّتان العظيمتان في ذلك اليوم ـ الفرصة فتنقضّ على المسلمين وتبيدهم عن آخرهم، وبذلك يموت الاسلام ولايبقى له اثر.

ولكن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) ـ بصبره وحِلمه وحَنَكته وسياسته الرشيدة ـ حافظَ على الاسلام والمسلمين، بالرغم من إبتعاده عن كرسي الحكم.

١ـ انجفل القوم: هربوا مسرعين.

٢ـ كتاب الاحتجاج: ج١ ص٩٥، للشيخ الطبرسي ـ وهو من علماء القرن السادس ـ نقلناه باختصار.

٣ـ أي: قَسماً بالكعبة وما يؤدّي إليها. أو: قسماً بالكعبة وربّ الكعبة، وهذا يدل على جواز الحلف بغير الله تعالى من سائر المقدسات الاسلامية.

٤ـ الكافي: كتاب الروضة.

وقد كان الصبر ـ على الامام ـ عسيراً جداً، خاصة وأنه كان يرى تصرّفات السلطة ضده وضد آل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

لقد مَنعوه عن ممارسة الحكم، ومنعوه عن الخطابة، ومنعوه عن أي نشاط، وجَمعوا الحَطب على باب داره، وهتكوا ستره، وآذوا اهله، وقتلوا طفله الجنين في بطن أُمّه، وغصبوا حقَّه، وصنعوا ما يُقرح القلوب ويُدمع العيون... واللّه خير الحاكمين(١).

وقد اشار (عليه السّلام) ـ في الخطبة الشِقشِقية ـ الى الفترة الأليمة التي مرَّت عليه في حكومة ابي بكر وماعانه من المرارة والأسى، فقال: «... فصبرتُ وفي العين قَذى وفي الحَلق شَجا، ارى تراثي نَهبا»(٢).

كما أشار (عليه السّلام) ـ في نفس الخطبة ـ الى الفترة الأليمة التي مرَّت عليه في حكومة عمر، وماعاناه من الاذى والمحنة فقال: «.. فصبرتُ على طول المدَّة وشدَّة المحنة».

وقال(عليه السّلام) ـ في هذا المجال أيضاً ـ:(.. وأغضيتُ على القذى، وشربتُ على الشجا، وصبرت على اخذ الكَظَم، وعلى أمرَّ من العَلَقم)(٣).

١ـ للتفصيل راجع كتاب فاطمة الزهراء من المهد إلى اللّحد للقزويني.

٢ـ القذى: الشوكة في العين. الشَجا: ما يعترض الحلق مِن عَظمٍ وغيره، وهذه كناية عمّا كان يعيشه الامام (عليه السّلام) من الألم والأذى والشدَّة في تلك الفترة، والتشبيه بالقذى والشجا إشارة الى أَلَمه الباطني وأذاه الخفيّ. وقد عبَّر (عليه السّلام) عن الخلافة والحكم بـ «تراثي» لأنها حقٌ له، لا لغيره.

٣ـ اغضيتُ على القذى: اغمضتُ عيني وفيها الشوكة تؤلمني، وما اصعبَ ان يغمض الانسان عينه على شوكةٍ فيها. الكَظَم: الفم أو الحلق أو مخرج النَفَس، والمعنى: الصبر على الاختناق والكبت. العَلقم: شيء مُرّ شديد المرارة، ويُضرب به المَثَل للصبر الأليم، فما تقول اذا كان الصبر أمرّ من العلقم؟!

ويتساءل البعض: كيف حدثتْ كل هذه القضايا؟ واين كان سيف الامام في تلك الظروف؟

الجواب: لقد ذكرنا أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان قد أمر خليفته بالصبر على ما سيلاقيه من الأعداء، وقد عرف الأعداء بأن الامام مأمورٌ بالصبر، ولذلك تجرَّؤا عليه.

والى جانب الصبر... كانت الصلابة والإستقامة... فلم يخضع الامام (عليه السّلام) للسلطة، ولم يتنازل عن حقّه الذي جعله اللّه له في الخلافة، بل كان يؤكّد عليه في مختلف المناسبات، ويحتجّ ـ لإثبات خلافته وأفضليته ـ بالقرآن والحديث والمنطق والدليل، وكان يذكّرهم بيوم الغدير وبيعتهم ايّاه.

ومن ذلك مارواه المؤرّخون أن الامام (عليه السّلام) دخل مسجد رسول اللّه، فاذا فيه جمع من المهاجرين والأنصار، فسلَّم عليهم ثم قال:

«اللّه اللّه ـ يا معشر المهاجرين والأنصار ـ لاتنسوا عهد نبيِّكم اليكم في حقّي، في يوم الغدير وغيره، ولاتُخرجوا سلطان محمد عن داره وقعر بيته الى دوركم وقعر بيوتكم[1] ولاتدفعونا ـ اهلَ البيت ـ عن حقّنا ومقامنا، فواللّه ـ يامعاشر الجمع ـ إن اللّه تعالى قضى وحكم وأعلمَ نبيَّه وانتم تعلمون أنّا ـ اهل بَيت النبوَّة ومنبع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العِلم واهل بيت الوحي ـ احقُّ بهذا الأمر منكم، فانّ فينا القارىء لكتاب اللّه، الفقيه في دين اللّه، المنصوص عليه بوَحيٍ من اللّه، المطَّلع بأمر الرعيَّة من جهة رسول اللّه.

١ـ قعر البيت: داخلهُ.

واللّهِ انه لَفينا هذا الأمر، فلاتتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بُعدا، أن تفسدوا ما قدَّمتموه بما احدثتموه فان في الحق سعةً عن القول بالظلم، ومَن ضاق عليه الحق فالجور عليه اضيق.

ثم تلا (عليه السّلام) قوله تعالى: ﴿وما محمّدٌ إلاّ رسول قد خَلت من قبله الرُسل اَفإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئاً﴾[١].

فقام بشير بن سعد الانصاري ـ سيّد الأوس، وهو الذي وَطأ الأمر لأبي بكر ـ فقال: واللّهِ ـ ياابالحسن ـ لوأن الانصارسمعت منك هذا الكلام قبل بيعتهالابي بكر،مااختلف عليك فيه اثنان منهم،ولسارعوا الى مبايعتك.

فقال (عليه السّلام): ياهؤلاء! ما كنتُ لأُخلّي رسول اللّه مُسجّى لا اواريه، وأُخرج أُنازع في سلطانه، وقد اوصاني وقال: يا اخي لاتفارقني حتى تواريني في رَمسي[٢]...

ثم التفت الامام اليهم وقال: ... فأُنشد اللّه[٣] رجلاً سَمع رسول اللّه ـ يوم غديرخم ـ يقول:«من كنت مولاه فهذاعلي مولاه،اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصرمن نَصره واخذل من خذله»ان يشهداليوم بما سمع؟؟

فقام جماعة كثيرة ، فشهدوا بذلك ، وكثر الكلام وارتفعت الاصوات...)[٤].

١ـ سورة آل عمران/الآية ١٤٤.

٢ـ الرَّمس: القبر.

٣ـ أي: أُقسم عليكم باللّه.

٤ـ كتاب النوادر للفيض الكاشاني: ص١١٨، وذكر شطراً منه الحافظ ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة: ج١ ص١٩، فهو مذكور في كتب الشيعة وأهل السُنّة.

نعم أيها القارىء... لقد عرفوا الحق ثم انكروه، وابرموا العهد ثم نقضوه.

وقد سُئل الامام الصادق (عليه السّلام) عن قوله سبحانه: ﴿يعرفون نعمة اللّه ثم ينكرونها﴾[1].

فقال: يعرفون يوم الغدير ثم ينكرونه يوم السقيفة[2].

١ـ سورة النحل/الآية ٨٣.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٦٦.

الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) يرفض بيعة ابي بكر

لقد حاول رجال السلطة ـ عدَّة مرّات ـ ان يأخذوا البيعة لأبي بكر، من الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلا أن الامام رفض ذلك رفضاً قاطعاً، وواجههم بكل صلابة وصمود، وأقسم باللّه العظيم أن لايبايع ابداً.

قال المؤرّخ الشهير ابن قتيبة ـ في كتاب الإمامة والسياسة ج١ ص١٨ ـ ما نصّه: ثم إن علياً (كرَّم اللّه وجهَه) أُتي به الى ابي بكر، وهو يقول: أنا عبد اللّه واخو رسوله.

فقيل له: بايِع ابا بكر!

فقال: أنا احقّ بهذا الأمر منكم.. لاأُبايعكم وأنتم اولى بالبيعة لي... اخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وتأخذونه منّا اهلَ البيت غصباً؟!

الستم زعمتم ـ للأنصار ـ انكم اولى بهذا الأمر منهم، لمّا كان محمدٌ منكم، فأعطوكم المقادة وسلّموا اليكم الامارة؟!

وأنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار: نحن اولى

برسول اللّه حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم مؤمنين.. وإلاّ فبوؤا بالظلم وانتم لاتعلمون!.

فقال عمر: يا أبا الحسن إنك لستَ متروكاً حتى تبايع!!.

فقال له علي: إحلب حَلَباً لك شطره[١] واشدد له اليوم أمرَه، يَرُدُّه عليك غداً.

ثم قال: واللّهِ ـ ياعمر ـ لااقبل قولك ولاابايعه[٢].

وفي كتاب سُليم بن قيس: إن عمر قال لأبي بكر: أرسل الى علي فليبايع، فانّا لسنا في شيء حتى يبايع، ولو قد بايَع أمنّاه.

فأرسل أبو بكر الى الامام مَن يقول له: أجِب خليفةَ رسول اللّه. فأتاه الرسول وقال له ذلك. فقال الامام (عليه السّلام): سبحان اللّه! ما اسرعَ ما كذبتم على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟! إنه (أي: أبا بكر) لَيعلم ويعلم الذين حولَه أن اللّه ورسولَه لم يستخلفا غيري.

فرجع الرسول الى أبي بكر واخبره بمقالة الامام علي (عليه السّلام) فقال ابو بكر: إذهب اليه وقل له: أجِب اميرَ المؤمنين ابا بكر!!

فعاد الرسول الى الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) وابلَغه مقالة ابي بكر، فقال الامام: سبحان اللّه! ما ـ واللّه ـ طالَ العهد فينسى، واللّهِ إنه (أي: ابا بكر) لَيعلم أن هذا الإسم لايصلح إلاّ لي، ولقد أمره رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ وهو سابع سبعة ـ فسلَّموا عليَّ بإمرة المؤمنين،

١ـ أي: إفعل فعلاً يكون لك منه نصيب، فأنت تبايعه اليوم ليُسلِّم لك السلطة غداً عند موته. وهذا ما حَدث بالفعل.

٢ـ وفي بعض التواريخ انه (عليه السّلام) قال ـ في ردّ عمر ـ: ... ولاأُبايعه ابداً. وهذا مزيد من التأكيد ـ بعد اليمين ـ على عدم بيعته لأبي بكر بأيّ حال.

فاستفهَم هو وصاحبُه مِن بين سبعة، فقالا: أمِن اللّهِ ورسوله؟ فقال لهم رسول اللّه: نَعم حقّاً من اللّه ورسوله، إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء الغُرّ المُحجَّلين[١] يُقعده اللّه عزّوجلّ يومَ القيامة على الصراط، فيُدخل اولياءه الجنة واعداءه النار.

فانطلق الرسول الى ابي بكر وأخبره بمقالة الامام (عليه السّلام) فسكتوا عنه يومهم ذاك[٢].

وله (عليه السّلام) ابيات رائعة: يُشير فيها الى حقّه في الخلافة، نذكرها بالمناسبة:

محمدٌ النبي أخي وصِنوي — وحمزةُ سيد الشهداء عَمّي
وجعفرٌ الذي يُضحي ويُمسي — يطير مع الملائكة ابنُ امّي
وبنتُ محمّدٍ سكَني وعِرسي — مَنوطٌ لحمُها بدمي ولحمي
وسبطا احمدٍ وَلدايَ منها — فأيُّكمُ له سهمٌ كسهمي؟
سبقتُكمُ الى الاسلام طُرّاً — على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجَبَ لي ولايتَه عليكم — رسولُ اللّه يومَ غدير خُمّ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ — لمن يلقى الإله غداً بظُلمي[٣]

١ـ الغُرّ ـ مِن الغُرَّة ـ وهي بياض الوجه. المحجَّل: ـ مِن التحجيل ـ وهو بياض يكون في قوائم الفَرس الأربع، وهذا يُشير الى النور الذي يشعّ ـ يوم القيامة ـ من مواضع الوضوء والمعنى: ان الامام علياً (عليه السّلام) هو قائد المؤمنين المصلِّين العابدين، وفيه اشارة الى أن المسح على الرجلين ـ الذي هو مذهب الشيعة ـ يشعّ نوراً يوم القيامة.

٢ـ كتاب سُليم بن قيس الهلالي وهو اقدم كتاب كُتب في الخلافة وقضاياها.

٣ـ رواها جمعٌ كبير من علماء ومؤرّخي الشيعة والسنّة. قال الحافظ البيهقي الشافعي ـ وهو من اكابر مشايخ اهل السنة ـ بعد ذِكر هذه الأبيات: إنّ هذا الشعر ممّا يجب على كل احدٍ ـ مُتَوالٍ في علي ـ حِفظه، ليعلم مفاخره في الاسلام.

وروي أنه (عليه السّلام) خاطَب ابا بكر بهذين البيتين:

فان كنتَ بالشورى ملكتَ امورَهم
فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنتَ بالقربى حَججتَ خصيمَهم
فغيرك اولى بالنبي وأقربُ

وكان (عليه السّلام) كثيراً ما يقول: واعجباه! تكون الخلافة بالصحابة، ولاتكون بالقرابة والصحابة؟!

وقال له قائل: إنك يابن ابي طالب على هذا الأمر لَحريص!

فقال (عليه السّلام): بل انتم ـ واللّهِ ـ أحرص وأبعد، وأنا أخَصّ واقرب، وإنما طلبتُ حقاً لي، وانتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه.

قال (عليه السّلام): فلمّا قرعتُه بالحجة في الملأ الحاضر، بُهت لايدري ما يجيبني»[١].

ثمَ انه (عليه السّلام) لزم بيته واعتزل القوم ولم يحضر معهم في جمعة ولاجماعة، وبدأ بجمع القرآن وكتابة تفسيره وتأويله، وتفرَّغ للعبادة.

وكان (عليه السّلام) يرفض التعاون مع الغاصبين والإنضواء تحت رايتهم.

قال ابن عباس: خرجتُ مع عمر إلى الشام ـ في إحدى خَرجاته ـ فانفرد يوماً يسير على بعيره، فاتبعتُه... فقال لي: يابن عباس... أشكو إليك

١ـ بحار الأنوار: ج٣٨ ص٣١٨.

ابنَ عمّك، سألتُه ان يخرج معي فلم يفعل، ولم أزَل اراه واجداً[١] فيمَ تظن موجدتَه؟!

قلت: إنك لَتعلم.

قال: اظنّه لايزال كئيباً لفوت الخلافة!

قلت: هو ذاك... إنه يرى ان رسول اللّه اراد الأمر له.

فقال: يابن عباس... وأراد رسول اللّه الأمر له....![٢].

ومرَّة قيل لعمر: ألا تُفوِّض الى علي عملاً؟

فقال: أتراه يرضى ان يكون لنا عاملاً؟!!

إن الامام (عليه السّلام) كان يرفض أن يكون عاملاً لمن هو دونه، لِما كان يتمتع به من عزَّة النفس وسُموِّ الروح واستقلال الشخصيّة، ولأنه اعلى منزلةً واعظم شأناً من أن يكون عاملاً أو وزيراً لأحد، إلاّ لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولكنه (عليه السّلام) ما كان يبخل برأيه عليهم عندما كانوا يستشيرونه في موضوع، أو يسألونه مسألة في الأحكام أو القضاء، بل كان يتصدّى بنفسه ـ في بعض الأحيان ـ لحلّ مشاكل المسلمين وحَسم خلافاتهم الاجتماعية والعائلية وغيرها.

١ـ واجداً: غاضباً.

٢ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١٢ ص٧٨.

هل استخلف النبي ابا بكر للصلاة؟

جاء في صحيح البخاري وغيره أن النبي (صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم) ـ لّما ثقُل واشتدّ به المرض ولم يستطع الخروج الى المسجد ـ قال: «مُروا ابا بكر فليصلّ بالناس...» كرّرها ثلاث مرّات[1].

وبهذه الرواية يستدلّ اهلُ السُنّة على خلافة ابي بكر بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)... فهل هذا صحيح؟

الجواب:

اولاً: إن هذه الرواية لم تَرِد في كتب الشيعة اطلاقاً، بل تفرَّد بها اهل السُنة فقط، ولهذا فليست حجَّة على الشيعة، ولايمكن الاستدلال بها عليهم.

ثانياً: إن الرواية المذكورة في كُتب الشيعة هي: (... ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لّما مرض كان بلال يأتيه في كل فريضة فيقول: الصلاة يا رسول اللّه، فانْ قَدِرَ رسولُ اللّه على الخروج خرج وصلّى بالناس، وإن

١ـ صحيح البخاري: ج٢ ص١٣٠ باب: اهل العلم والفضل احقّ بالامامة، وفي موارد اخرى منه ايضاً.

لم يقدر اَمر علي بن ابي طالب ان يصلّي بهم...

وذات يوم جاءه بلال يؤذنه بصلاة الفجر، فوجده قد ثَقُل عن الخروج، فنادى: الصلاة يرحمكم اللّه.

وكان رأس النبي في حِجر خليفته علي (عليه السّلام) فقال: يصلّي بالناس بعضهم فاني مشغول بنفسي.

فقالت عائشة: مُروا ابا بكر يصلّي بهم!!

... فظنَّ بلال ان ذلك عن امر رسول اللّه فقال للناس : قدِّموا ابا بكر... فتقدم ابو بكر وأمَّ الناس...

ولمّا بلغ الخبر الى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) غضب وخرج معصّب الرأس، يتهادىٰ بين علي (عليه السّلام) والفضل بن العباس ورجلاه تخطّان في الأرض من الضعف.... فتقدم ونحّى ابا بكر عن المحراب وصلّى بالناس جالساً...) الى آخر الخبر(١).

وفي سنن ابي داود «.... دعاه بلال الى الصلاة، فقال (صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم): مُرُوا مَن يصلّي بالناس».

وفي الطبقات لابن سعد: ج٢ ص٢٢٠: «... فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال لي رسول اللّه: مُرِ الناس فليصلُّوا...».

اذاً: استخلاف النبي ابا بكر للصلاة غير ثابت بل غير صحيح.

ثالثاً: إن في الرواية ـ التي يرويها البخاري وغيره ـ ما يدلّ على عدم الاستخلاف وأن صلاة ابي بكر بالناس كانت بغير إذن من النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولا رضىً منه!

١ـ النوادر في الأحاديث للفيض الكاشاني: ص١١٠ عن الأمالي.

تأمَّل هذه الرواية جيّداً: (... فلمّا دخل [ابو بكر] في الصلاة، وجد رسولُ اللّه في نفسه خِفَّة، فقام يتهادى بين رجلين، ورجلاه تخطّان في الأرض، حتى دخل المسجد...)[1].

إنَّ هذه الرواية صريحةفي أن صحّة النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كانت متدهورة جداً، ولهذا خرج معتمداً على رَجلين وليس على رَجُل واحد.

وبالاضافة الى ذلك: كانت رِجلاه تخطّان في الأرض، لما فيه من الضعف الشديد.

بعد الانتباه الى هذا... نتساءل: اذا كان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قد امر ابا بكر بالصلاة فلماذا خرج الى المسجد بهذه الحالة الصعبة؟!!

حتى لو كانت صلاة الجماعة واجبة على رسول اللّه لَسَقط الوجوب ـ والحالة هذه ـ وكان معذوراً عنها، لما به من الضعف والمرض... فما الذي دعاه الى تحمّل كلّ هذه المعاناة والخروج الى المسجد؟؟

إنّ هذا يدلّ على أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يستخلف ابا بكر للصلاة، وانه لمّا بلغه الخبر خرج الى المسجد ليزيحه عن إمامة الجماعة...

وهذا يؤكّد ما رواه الشيعة أيضاً.

رابعاً: لئن كانت هذه الرواية ـ على فرض صحتها ـ تدلّ على الخلافة... فلماذا لم يستدلّ بها ابو بكر ـ في السقيفة وما بعدها ـ تأكيداً للأمر وتثبيتاً للحكم؟!

١ـ صحيح البخاري: ج٢ ص١٦٢ وغيره.

ولماذا كان يلقي المسؤلية على المسلمين الذين انتخبوه؟!

خامساً: لقد اتّفق المؤرّخون أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) جهَّز جيش أُسامة وأَمر جمعاً من الصحابة ـ وفيهم ابو بكر وعمر ـ بالخروج معه ولَعنَ من تخلّف منهم عنه.

كما اتّفق المؤرّخون ايضاً أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ابقى علياً (عليه السّلام) عنده، ولم يكن يؤمِّر عليه احداً.

ونتساءل: لماذا عصى ابو بكر امر رسول اللّه وتخلّف عن جيش اسامة؟!

وكيف يستخلف النبي للصلاة من عصى امره وخالف قولَه؟؟

سادساً: ولو فرضنا ـ جَدَلاً ـ أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) استخلف ابا بكر للصلاة، فان ذلك لايدل على الخلافة ابداً.

وذلك لأنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) استخلف الكثير من اصحابه للصلاة في كلّ مرّة خرج فيها من المدينة الى حرب او غزوة ـ كما ذكرنا ذلك عند التحدث عن حديث المنزلة ـ فهل استدلّ احد منهم بذلك على الخلافة؟؟!

وقد روىٰ القوم أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) استخلف للصلاة ابن أُمّ مكتوم وهو اعمى.

ورَووا انه استخلف عبدالرحمن بن عوف... ولمّا عاد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الى المدينة كانت الصلاة قائمة، فصلّى خلف ابن عوف.

فلو دلّ ذلك على الخلافة لكان ابن عوف اجدر بها من غيره، بل كان يدَّعيها لنفسه!!.

اذاً: فالاستخلاف للصلاة لايدلّ على الخلافة الاسلامية وقيادة

المسلمين بأيّ حال من الأحوال.

سابعاً: لقد ثبت بالتواتر ـ في كتب الشيعة واهل السنّة ـ أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عيَّن الامام علي بن ابي طالب (عليهما السّلام) خليفة له يوم الغدير... فهل يبقى مجال ـ بعد ذلك ـ للاستدلال بهذه الأحاديث الضعيفة المختلَقة؟؟!!

وخلاصة القول:

١ـ ان النبي(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يستخلف ابا بكر للصلاة.

٢ـ ان ابا بكر تصدّى لامامة الجماعة دون رضى النبي ولا إذن منه.

٣ـ ان النبي خرج الى المسجد وازاحه عن المحراب وصلّى هو بنفسه.

٤ـ ان الاستخلاف للصلاة لايدلّ على الخلافة بأي حال...

هذا... وقد تعرّض علماؤنا الابرار الى هذا الموضوع بالتفصيل، وتناولوا رواة هذا الحديث واثبتوا ضعفهم وعدم وثاقتهم بالاضافة الى التناقضات الموجودة في متنه.

وقفةٌ مع الشيخين

لقد سجَّل التاريخ تصريحات هامَّة لأبي بكر وعمر بن الخطاب، في شأن خلافة الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وقدصدرت هذه التصريحات بعدمضيّ فترةعلى السقيفةواستقرارالأمر لهما، وهي اعترافات من الشيخين على حقيّة الامام علي (عليه السّلام) في الحكم وأولويَّته،وقد اجراها اللّه تعالى علىلسانهما،لتكون اقوى في الحجَّة.

وإنما احتفظ التاريخ بها، لأنها وثائق هامَّة، يمكن الاستشهاد والاستدلال بها، لبيان الحق وصاحبه.

وفي كل واحدٍ من هذه التصريحات والإعترافات، نقاطٌ تستدعي المناقشة والتأمّل.

وإليك بعضها فيما يلي:

١ـ أقيلوني فلستُ بخيركم

قال ابو بكر: أقيلوني... أقيلوني... فلستُ بخيركم وعليٌّ فيكم[1].

١ـ ذكره الطبري في تاريخه المشهور، والبلاذري ـ الذي كان قبل الطبري بمائة سنة ـ في أنساب الأشراف، وغيرهما.

في البداية... يجب أن نعلم أن صدور هذا الكلام من ابي بكر امرٌ لاشك فيه، وقد ذكره جملة من المؤرّخين.

ويكفي دليلاً على ذلك، قول الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) مشيراً الى كلام ابي بكر هذا ـ في الخطبة الشقشقية ـ: «...فيا عَجباً بَينا هو يَستقيلها في حياته إذ عقَدها لآخر بعد وفاته»[1].

وعلى كل حال... فان هذا الكلام اعتراف من ابي بكر على عدم صلاحيّته للقيادة والخلافة، فقوله: (لستُ بخيركم) معناه: لااصلح لقيادتكم. ومن الثابت أن القائد يجب ان يكون الأفضل في قومه وإلاّ فلايصلح للقيادة، ومَن نفىٰ عن نفسه صلاحية القيادة لايجوز له ان يتصدّىٰ لها، ولا أن يعهد بها الى غيره قال تعالى: ﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾.

بالاضافة الى ان قوله: ﴿اقيلوني﴾ لايمكن ان يصدر من الامام بالحق، إذ لايجوز للامام الاستقالة من البيعة، ولايصح توكيل الناس في إقالته وإعفائه، لأن الامامة منصب إلٰهي لاحقَّ للناس فيه.

كما أن قوله: ﴿وعليٌ فيكم﴾ إعتراف منه بأفضلية الامام علي (عليه السّلام) وصلاحيَّته للقيادة، وأنه الأولى بالإتّباع وأنه الامام بالحق، اللائق لمقام الخلافة.

١ـ نهج البلاغة: ج١ الخطبة الشقشقية، والمعنى أن ابا بكر تارةً يطلب من المسلمين ان يُقيلوه من السلطة في حياته، فيقول: أقيلوني فلستُ بخيركم وعليٌ فيكم، وتارة اخرى يعقد الأمر ـ عند وفاته ـ لعمر بن الخطاب، فاذا كان ابو بكر يرى الامام علياً (عليه السّلام) هو الجدير بالحكم والسلطة وهو الأولى والأفضل فلماذا يتصدّى للسلطة اولاً؟ ولماذا يعقد الأمر لعُمر ثانياً؟! ألا يدعو هذا التناقض الى الإستغراب؟!

هذا... وقد جاء البعض فحذف جملة (وعليٌّ فيكم) من كلام ابي بكر، ونقله ناقصاً، إلا أنها موجودة في تاريخ الطبري وكتاب الأنساب للبلاذري وغيرهما.

٢ـ إنّ لي شيطاناً يعتريني

لقد ذكروا لأبي بكر كلمة اخرى أيضاً، وهي انه قال: وَلِّيتُكم ولستُ بخيركم، فان استقمتُ فاتَّبعوني، وإن اعوججتُ فقوِّموني، فانَّ لي شيطاناً يعتريني عند غضبي، فاذا رأيتموني مُغضَباً فاجتنبوني[١].

وروى عيسى بن عطية ان ابا بكر خطَب في اليوم الثاني من تسلّمه السلطة، فقال: أيها الناس إني قد اقلتُكم رأيكم، إني لستُ بخيركم، فبايعوا خيرَكم... إن لي شيطاناً يحضرني...[٢].

وفي هذا الكلام مواضع للمناقشة:

١ـ فأبو بكر يرى ويعتقد أن الأفضل هو اللائق للقيادة، وأن القائد يجب أن يكون الأفضل، ولهذا يقول: (فبايعو خيرَكم).

٢ـ كما انه يُقرّ ويعترف بأنه ليس الأفضل، وإقرار الانسان على نفسه نافذ.

١ـ بحار الأنوار: ج٨ ص٢٥٧ الطبعة القديمة، ورواه ـ باختلافٍ يسير ـ كلٌّ من الطبري في تاريخه: ج٣ ص٢١٠، والمؤرِّخ ابن سعد في طبقات الصحابة: ج٣ ص١٥١، وقال الحافظ ابن قتيبة ـ في الامامة والسياسة: ج١ ص٢٢ ـ : إن ابا بكر قام خطيباً... ثم قال:.. واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني ـ احياناً ـ فاذا رأيتموني غضبتُ فاجتنبوني.

٢ـ كتاب مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: ج٥ ص١٨٣، طبعة مكتبة القدس، كنز العُمّال للمتّقي الهندي: ج٣ ص١٣٥، طبعة حيدرآباد، رواه باختلاف يسير، وقال: رواه الطبراني في الأوسط.

قد يقول قائل: ان ابا بكر اراد التواضع بهذه الكلمات، ولم يقصد المعنى الحقيقي لها.

والجواب: هذا خلاف الظاهر من كلامه، والمقام ليس مقام التواضع حتى يُحمل عليه، بل إنه صرَّح بهذا وهو على المنبر يخطب في الناس، وسِياق الخطبة وكلماتها ـ المسبقة واللاحقة ـ لاتتفق مع التواضع.

بالاضافة الى أن التواضع يجب ان يكون صدقاً لاكذباً. فتأمَّل.

٣ـ ان ابا بكر يُقرّ بأنَّ له شيطاناً يحضره ويعتريه، ويُزلّه ويُضلّه، ولهذا قال: (فان زغتُ) مما يدل على أن الشيطان يُغويه بالفعل.

٤ـ إنه يطلب من المسلمين أن يُوجِّهوه ويُقوِّموه، وهذا لاينسجم مع مركز الخلافة ومَنصبها، لأن الخليفة يجب أن يكون له دور القيادة والتوجيه، لا أن يطلب من الأُمة أن تتولّى توجيهه وتسديده عند الزيغ والغضب.

هذا وللامام الرضا (عليه السّلام) احتجاج رائع حول مقالة ابي بكر هذه وأنها تدل على بطلان إمامته، وقد جرى هذا الاحتجاج ـ بطلبٍ من المأمون العباسي وبحضوره ـ مع يحيى بن الضحّاك السمرقندي، ولم يكن في خراسان فقيه مثلُه ـ كما قيل ـ.

وممّا قاله (عليه السّلام) ـ مخاطِبا للمأمون بعد أن فشل يحيى في الجواب ـ: «.. لابد ليحيى من أن يُخبر عن ائمته أنهم كذبوا على انفسهم او صدقوا؟

فان زَعم انهم كذبوا، فلاإمامة لكذّاب، وإن زعم انهم صَدقوا فقد قال أوّلهم [يعني ابا بكر]: (وليّتُكم ولست بخيركم) وقال تاليه [يعني

عمر]: (كانت بيعة ابي بكر فلتة، فَمن عاد لمثلها فاقتلوه﴾(١) فواللّهِ ما رضي [عمر] لمن فَعل مثل فعلهم إلا بالقتل، فمَن لم يكن بخير الناس ـ والخيرية لاتقع إلا بنعُوت، منها: العلم، ومنها: الجهاد، ومنها سائر الفضائل، وليست فيه [أي في أبي بكر] ـ ومَن كانت بيعته فلتةً يجب القتل على من فَعل مثلها، كيف يُقبل عهده الى غيره وهذا صورته؟!

ثم يقول [ابو بكر] على المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فاذا مالَ بي فقوِّموني، واذا اخطأتُ فأرشدوني!!

فليسوا ائمةً بقولهم، إنْ صدقوا وإن كذبوا.

فما عند يحيى في هذا جواب(٢).

قال السيد المرتضى (رضوان اللّه عليه)(٣): (... إن قول أبي بكر يدلّ على أنه لايصلح للإمامة من وجهين:

احداهما: إن هذه صفةُ مَن ليس بمعصوم ولايأمن الغَلط على نفسه، ومَن يحتاج الى تقويم رعيّته له، إذا واقَع المعصية.

وقد بيَّنا أن الامام لابد أن يكون معصوماً مُسدَّداً مُوفَّقاً.

والوجه الآخر: ان هذه صفة مَن لايملك نفسه، ولايضبط غَضبه، ومَن هو في نهاية الطَيش والحِدَّة والخُرق والعَجلة.

١ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب الحدود باب رجم الحبلى.

٢ـ بحار الأنوار: ج٢٧ ص٣١٩.

٣ـ هو الفقيه العالم الجليل السيد علي بن الحسين الموسوي الملقَّب بالمرتضى وعَلَم الهدى، كان من أكابر فقهاء الشيعة وعلمائهم، وقد ذكروا في ترجمة حياته: انه جَمع من العلوم ما لم يجمعه احد، وحاز من الفضائل ما اعترف به الموافق والمخالف، وله كُتب ومؤلّفات كثيرة يرجع إليها الفقهاء، منذ عصره الى هذا اليوم. توفي سنة٤٣٦ هـ/ للتفصيل راجع الكنى والألقاب: ج٢ ص٤٨٠.

ولاخلاف في أن الامام يجب ان يكون مُنزَّهاً عن هذه الأوصاف، غيرَ حاصلٍ عليها...)(١).

والآن نتساءل:

١ـ كيف تسلَّط الشيطان على ابي بكر، وقد قال اللّه تعالى: ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سُلطان إلاّ مَن اتّبعَك مِن الغاوين وإنَّ جهنَّم لَمَوعدُهم أجمعين﴾!(٢).

وقال أيضاً: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكَّلون، إنما سلطانه على الذين يتولَّونه والذين هم به مُشركون﴾(٣).

٢ـ ولماذا يعتري الشيطان ابا بكر بالذات، وقد قال تعالى: ﴿ومَن يَعشُ عن ذِكر الرحمن نُقيِّض له شيطاناً فهو له قَرين﴾؟!(٤).

وقال سبحانه: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون﴾(٥).

٣ـ وما هو الأثر الذي يتركه الشيطان في ابي بكر عندما يعتريه، وقد قال اللّه تعالى: ﴿إن الشياطين لَيُوحون الى اوليائهم﴾؟!(٦).

وقال عزّوجلّ: ﴿وَزيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾(٧).

٤ـ ومَن هو هذا الشيطان... هل هو من شياطين الجنّ ام من شياطين الإنس؟!.

١ـ كتاب الشافي للسيد المرتضى.
٢ـ سورة النحل/الآية ٩٩.
٣ـ سورة الحجر/الآية ٤٢.
٤ـ سورة الزخرف/الآية ٣٦.
٥ـ سورة الأعراف/الآية ٢٧.
٦ـ سورة الأنعام/الآية ١٢١.
٧ـ سورة الأنعام/الآية ٤٣.

هذه اسئلة تطرح نفسها عند التأمّل في قول ابي بكر: (إن لي شيطاناً يعتريني).

٣ـ ماعندي عهدٌ من رسول اللّه

روي أن بُريدة الأسلمي دخل على عمران بن حُصَين الخزاعي في منزله، وذلك حين بايع الناس ابا بكر.

فقال بريدة ـ متسائلاً ـ: ياعمران... ترى القوم نسَوا ما سمعوا من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في حائط بني فلان[1] فجعل (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لايدخل عليه احد من المسلمين فيُسلِّم عليه إلاّ ردَّ عليه السلام، ثم قال له: سَلِّم على امير المؤمنين علي بن ابي طالب، فلم يَردَّ على رسول اللّه ـ يومئذٍ ـ احدٌ من الناس إلاّ عمر، فانه قال: مِن أمر اللّه أو مِن أمر رسول اللّه؟!

فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): بل من اللّه ومن رسوله!؟

فقال عمران: بلى... قد اذكر ذا.

فقال بريدة: فانطلق بنا الى ابي بكر فنسأله عن هذا الأمر، فان كان عنده عهدٌ من رسول اللّه عَهِده اليه بعد هذا الأمر، أو أمرٌ اُمِر به...

قال بريدة: فانطلقنا... فدخَلنا على أبي بكر فذكَّرناه بذلك اليوم وقلنا له: فلم يدخل احدٌ من المسلمين فسلَّم على رسولِ اللّه إلاّ قال له: سَلِّم على امير المؤمنين علي، وكنتَ أنت ممّن سلَّم عليه بإمرة المؤمنين؟!

١ـ الحائط ـ هنا ـ : البستان. و(بني فلان) يقصد قبيلةً من الأنصار.

فقال أبو بكر: قد اذكر ذلك.

فقال بُريدة: لاينبغي لأحدٍ من المسلمين أن يتأمَّر على امير المؤمنين علي (عليه السّلام) بعد ان سمّاه رسولُ اللّه بأمير المؤمنين، فان كان عندك عهدٌ من رسول اللّه عَهِده اليك، أو امرٌ أمرك به بعد هذا؟؟

فقال أبو بكر: لاواللّه، ماعندي عهدٌ من رسول اللّه، ولاامرٌ أمرني به، ولكن المسلمين رأوا رأياً، فتابعتُهم على رأيهم!!!.

فقال بريدة: لا واللّهِ... ما كان ذلك لك ولا للمسلمين خلافَ رسول اللّه.

فقال أبو بكر: أُرسل لكم إلى عمر.

فجاءه... فقال له أبو بكر: إنّ هذين سَألاني عن امرٍ قد شهدتُه. وقصَّ ابو بكر على عمر كلامهما.

فقال عمر: قد سمعتُ كلامهما، ولكن عندي المخرج من ذلك.

فقال له بريدة: عندك؟

قال عمر: عندي.

فقال بريدة: فما هو؟

قال عمر: لاتجتمع النبوَّة والمُلك في اهل بيتٍ واحد!.

فقال بريدة ـ وكان رجلاً مفوَّهاً جريئاً على الكلام ـ: ياعمر.. إن اللّه عزّوجلّ قد أبى ذلك عليك... أما سمعتَ اللّهَ في كتابه يقول: ﴿أم يَحسُدونَ الناسَ على ما آتاهم اللّهُ مِن فَضله فقد آتينا آلَ إبراهيم الكتابَ والحكمة وآتيناهُم مُلكاً عظيماً﴾[١] فقد جَمَع اللّهُ لهم النبوَّة والمُلك؟!

قال بريدة: فغضب عمر حتى رأيتُ عينيه تَتوقَّدان... ثم قال: ما

١ـ سورة النساء/الآية ٥٤.

جئتما إلاّ لِتفرِّقا جماعة هذه الأُمَّة وتُشتِّتا أمرها.

فما زِلنا نعرف منه الغضَب، حتى هلك[١].

اقول: في هذا الحوار نقاط ينبغي التنبيه عليها فيما يلي:

١ـ إن ابا بكر يعترف بأن الامام علي بن ابي طالب هو امير المؤمنين، وأنه بايعه على ذلك بأمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

٢ـ إن ابا بكر لايجد مُبرِّراً لجلوسه في مركز القيادة سوى رأي المسلمين!

ونحن نتساءل: أين رأي المسلمين؟! ومَن هم هؤلاء المسلمون؟!

ولماذا ـ إذاً ـ رَفض الكثير من الصحابة بيعة أبي بكر، وعلى رأسهم الامام علي (عليه السّلام) ثم ابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، وزعيم الخزرج سعد بن عبادة وقومُه، ومالك بن نويره وقومُه، وغيرهم؟!

ألم يكن هؤلاء مسلمين؟!

فأين رأي المسلمين وإمامُ المسلمين ـ عليٌّ (عليه السّلام) ـ رافضٌ له؟!

هذا... ولو فرضنا ـ جَدَلاً ـ أن رأي المسلمين قام على انتخاب ابي بكر.. فهل يجوز الإعراض عن حُكم اللّه ورسوله، والأخذ برأي المسلمين؟!

وقد قال اللّه تعالى: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولامؤمنةٍ اذا قضى اللّهُ ورسولُه أمراً أن يكون لهم الخِيَرةُ مِن أمرهم، ومَن يَعص اللّهَ ورسولَه فقد ضَلَّ ضلالاً مُبيناً﴾[٢].

١ـ كتاب كشف اليقين: ص٧٥.

٢ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٦.

هل يجوز الإعراض عن «امير المؤمنين» الذي عيَّنه اللّهُ ورسولُه؟!
هل يجوز نَقض البيعة؟

٣ـ إن عمر بن الخطّاب غَضِب من قول الحق ـ لمّا سمعه ـ ولم يعترف بالخطأ، مع العلم أن الإعتراف بالخطأ ـ في امور الدين ـ فضيلة، ولم يتراجَع عن كلامه، بالرغم من أن قوله كان مخالفاً لِنَصّ القرآن الحكيم.

٤ـ إن عمر بن الخطاب تَهرَّب من الجواب عن سؤال بُريدة، ولجأ الى اسلوب المغالطة فوجَّه التهمة الى بريدة وصاحبه، مع العِلم انهما لم يقصدا الفتنة والتفرقة، بل قَصَد التفاهم والرجوع الى امر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

٤ـ الحقّ مع علي

لمّا تسلّم ابو بكر القيادة قال البعض: إن ابا بكر تقدَّم علياً، وإنه يقول: أنا اولى بالمكان منه.

فقام ابو بكر خطيباً وقال:... يزعمون أني اقول: إني أفضل من علي، وكيف اقول ذلك ومالي سابقتَه ولاقرابتَه ولاخصوصيَّته، وَحَّد اللّهَ وأنا مُلحِده، وعَبَده عليٌ قبل أن اَعبده، ووالى الرسول وأنا عدوُّه، وسبَقني بساعاتٍ لو انقطعتُ لم أَلحق شأوه ولم اقطع غُباره.

وإن علي بن ابي طالب فاز ـ واللّه ـ من اللّه بمحبَّة، ومن الرسول بقرابة، ومن الايمان برتبةٍ لو جهد الأوَّلون والآخرون ـ إلا النبيّين ـ لم يبلغوا درجتَه ولم يسلكوا منهجه، بَذَل في اللّهِ مُهجتَه، ولابن عمه مَودَّته، كاشفُ الكرب، ودامغُ الريب، وقاطعُ السبب إلا سبب الرشاد، وقامعُ الشرك...

لَحِق قبل ان يُلاحَق، وبَرز قبل أن يُسابق، جَمع العِلم والحلم والفهم، فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لايدَّخر منها مثقالَ ذرَّة إلا انفقه في بابه، فمَن ذا يؤمِّل أن ينال درجتَه وقد جَعله اللّهُ ورسولُه وليّاً، وللنبي وصيّاً، وللخلافة راعياً، وبالإمامة قائماً؟!...

سمعتُ رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم) يقول: «الحق مع علي وعليٌّ مع الحق، مَن اطاع علياً رَشَد، ومَن عصى علياً فَسَد، ومَن احبَّه سَعد، ومَن ابغضَه شقي».

واللّهِ لو لم يُحب ابنُ ابي طالب إلاّ لأجل أنه لم يواقع للّه محرماً، ولاعبَد من دونه صَنَماً، ولحاجة الناس اليه بعد نبيِّهم، لكان في ذلك ما يجب، فكيف لأسبابٍ أقلُّها مُوجب، وأهونها مُرغِّب؟! لِلرحم الماسَّة بالرسول، والعِلم بالدقيق والجليل، والرضا بالصبر الجميل، والمواساة في الكثير والقليل، وخِلال[1] لايُبلغ عَدُّها، ولايُدرك مجدها.

ودَّ المتمنُّون ان لو كانوا ترابَ اقدام ابن ابي طالب!!

أليس هو صاحب لواء الحمد، والساقي يومَ الورود، وجامع كل كَرم، وعالِم كل عِلم، والوسيلة الى اللّه والى رسوله؟!

الى آخر كلامه...[2].

لاادري ماذا اقول؟!

فهذه الكلمات لم تصدر من احد الشيعة، حتى يتَّهمه الأعداء بالغُلو والحب المفرط، بل صدرت من ابي بكر، وهو ـ يومئذٍ ـ رئيس الدولة وفي صراع مع الامام امير المؤمنين واهل البيت (عليهم السّلام).

١ـ خِلال: صفات وفضائل.

٢ـ كتاب الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص٨٨.

فلستُ ارى تفسيراً لصدور هذه الكلمات، سوى ان اللّه تعالى ألزمه بها لتكون اقوى في الحجة.

فيا إخوة الإيمان... تعالوا الى هذه الكلمات وتأمَّلوها.. ثم حكِّموا ضميرَكم ووجدانكم.

إن ابا بكر يقول ـ عن الامام علي ـ: مالي سابقتَه ولاقرابتَه ولاخصوصيَّته.

ويقول: وَحَّد اللّهَ وأنا مُلحده، وعَبَدَه عليٌّ قبل ان أعبده، ووالى رسولَ اللّه وأنا عدوّه.

وتأمَّل هذه الكلمات: إن علي بن ابي طالب فاز ـ واللّهِ ـ من اللّه بمحبَّة، ومن الرسول بقرابة، ومن الايمان برتبةٍ لو جهد الأوّلون والآخرون ـ إلا النبيِّين ـ لم يبلغوا درجتَه!!

فهل تعرف احداً نال هذه الدرجات: محبَّة اللّه له، قرابته من رسول اللّه، بلوغه درجةً لم يبلغها الأوّلون والآخرون... غير الامام علي؟!

وهل تعرف احداً لم يسجد لصنمٍ قط... غير الامام علي؟!

هل تعرف احداً لم يرتكب للّه حراما... غير الامام علي؟!

ان ابا بكر يعترف بان الامام (عليه السّلام) هو الوسيلة الى اللّه ورسوله.. أي: أنه الصراط المستقيم والطريق الواضح الذي يؤدّي بسالكه الى اللّه ورسوله... الى رضوان اللّه... الى غفران اللّه... الى دين اللّه.

ويعترف أيضاً بأن الامام (عليه السّلام) عالمُ كل عِلم، وجامع كل كَرم، وأن له فضائل وخصال لاتُحصى، ولايُدرَك مجدها.

فما دام الأمر كذلك... فلماذا تقدَّم عليه في قيادة الأُمَّة؟!!

ولماذا اوصى بها الى عمر مع وجود الأفضل؟!!

٥ـ كانت بيعة ابي بكر فَلتة

قال عمر بن الخطّاب: كانت بيعة الناس لأبي بكر فَلتة[١] كفلتات الجاهلية[٢] فمن عاد الى مثلها فاقتلوه[٣].

وعن عبداللّه بن عمر: ان اباه عمر بن الخطاب قام خطيباً في الناس يوم الجمعة فقال: يا أيها الناس... إن بيعة ابي بكر كانت فلتةً وقى اللّه شرَّها، فَمن دعاكم الى مثلها فاقتلوه[٤].

وقد جرى حوارٌ ـ حول هذه الجملة ـ بين الشَعبي[٥] ورجل من الأزد: قال الشعبي: لقد كان في صدر عمر ضِبٌّ على ابي بكر[٦].

الى أن قال: يا أخا الأزد.. كيف تصنع بالفَلتة التي وقى اللّهُ شرَّها؟! أترى عدوّاً يقول في عدوٍّ ـ يريد أن يَهدم ما بنى لنفسه في الناس ـ اكثَر من

١ـ صحيح البخاري/الجزء الأخير باب رجم الحبلى من الزنا، تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٠٠، السيرة النبويَّة لابن هشام: ج٤ ص٣٣٨، الكامل لابن الأثير: ج٢ ص١٣٥.

٢ـ تاريخ الطبري: ج٣ ص٢١٠.

٣ـ الصواعق المحرقة لابن حجر: ج٢١.

٤ـ كتاب الشافي للسيد المرتضى ص٢٤١، وذكره ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٩ طبعة مصر.

٥ـ الشَعبي ـ بفتح الشين وسكون العين ـ من التابعين، وحُكي عنه انه رأى خمسمائة من الصحابة وروى عن مائة وخمسين منهم، وقيل عنه: الشعبي في زمانه كابن عباس في زمانه، وهو عند اهل السُنّة من الموثّقين. مات في الكوفة سنة ١٠٤ هـ./الكنى والألقاب: ج٢ ص٣٦١.

٦ـ الضِبّ: الحقد والعداوة.

قول عمر في ابي بكر!؟

فقال الرجل: سبحان اللّه! يا أبا عَمرو وأنت تقول ذلك؟!

فقال الشعبي: أنا اقوله؟! قاله عمر بن الخطاب على رؤوس الأشهاد، فَلُمْه أو دَع.

فنهض الرجلُ مغضباً وهو يُهمهم في الكلام بشيء لم افهمه.

قال راوي هذا الخبر: فقلتُ للشَعبي: ما احسب هذا الرجل إلا سينقل عنك هذا الكلام الى الناس ويَبثّه فيهم.

قال: إذاً ـ واللّه ـ لاأحفل به (أي: لاأُبالي بقوله) وشيءٌ لم يحفَل به عمر حين قام على رؤوس الأشهاد من المهاجرين والأنصار احفل به انا؟

اَذيعوه انتم عنّي ايضاً ما بدا لكم(١).

وعلى كل حال... فان من الثابت صدور هذا الكلام من عمر بن الخطاب، ولم يُشكّك احدٌ من المؤرّخين فيه.

وفي هذا الكلام مواضع للمناقشة والتساؤل:

في البداية: ما معنى الفَلتة؟

الجواب: الفلتة: كل شيء يفعله الانسان فجأةً، من غير تدبّر ولاتفكّر(٢).

والآن... نتساءل: ما معنى قول عمر: (كانت بيعة ابي بكر فَلتة)؟

هل المعنى أنها حدثت فجأة وبلا إعداد مُسبق؟

الجواب: قطعاً... لا، لأن مما لاشك فيه أن المؤامرة كانت مدبَّرة ومدروسة من قبل وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لتنتقل الى

١ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٢ ص٢٩.

٢ـ مجمع البحرين مادة: فَلَت.

مرحلة التطبيق والتنفيذ!.

فما معنى الفَلتة؟

الجواب: لاشك أن معناها ـ هنا ـ الزلّة والخطيئة، وهذا مِثل أن يصدر من الانسان مالاينبغي صدوره ـ مِن قولٍ او فعل ـ فيعتذر بأنها كانت فلتة.

ومما يدل على أن هذا المعنى هو المقصود هنا، هي تتمة كلام عمر، حيث قال: وقى اللّه شرَّها.

وفي بعض النُسخ: كانت فلتة كَفَلَتات الجاهلية، وقى اللّه شرَّها.

ومعنى هذا: ان بيعة ابي بكر كانت مُنطوية على شرّ عظيم، وقاه اللّه ـ على زعمه ـ.

والذي يزيد هذا المعنى تأكيداً، هو قوله: فَمن عاد الى مثلها ـ او: دعا إلى مثلها ـ فاقتلوه.

ونتساءل: لماذا يحكم بالقتل على من يعود الى مثل هذه الفلتة؟!

اذا كانت تلك الفلتة جريمةً يستحق فاعلها القتل، فما الفرق بين ابي بكر وغيره؟ إن الجريمة تُعتبر جريمةً، من دون نظر الى فاعلها ومرتكبها.

واذا كانت تلك الفلتة جريمة لاتستحق القتل، فلماذا حكم عمر بقتل من عاد الى مثلها؟!

قال السيد المرتضى عَلَم الهدى (رضوان اللّه عليه):... وأما الفلتة فانها ـ وإن كانت محتملة للبغتة، كما قاله ابو علي ـ إلا أن قوله: (وقى اللّه شرَّها) يُخصّصها بأن مَخرجها مَخرج الذم، وكذلك قوله: (فَمن عاد الى مثلها فاقتلوه)[1].

وقال الشيخ المجلسي (رضوان اللّه عليه): «.. إن سلَّمنا ان لفظة

١ـ كتاب الشافي: ص٢٤٤.

(الفلتة) لاتدلّ على الذمّ... ففي قوله: «وقى اللّه شرّها» وامرِه بقتل من دعا الى مثلها، دلالة على أنها زلّة قبيحة وخطيئة فاحشة...»[١].

٦ـ عليٌ اولى منّي ومن ابي بكر

قال ابن عباس: كنت اسير مع عمر بن الخطاب في ليلة، وعُمر على بغلةٍ وأنا على فَرس، فقرأ آيةً فيها ذِكر علي بن ابي طالب[٢] فقال: أما واللّهِ يابني عبدالمطّلب لقد كان عليٌ فيكم اولى بهذا الأمر منّي ومن ابي بكر!

فقلت: انت تقول ذلك، وأنت وصاحبُك وَثَبتُما وأفرغتما الأمر منّا دون الناس؟!

فقال: اليكم يابني عبدالمطلب... إنا ـ واللّهِ ـ ما فعلنا الذي فعلناه عن عداوة!! ولكن استصغرناه، وخشينا ان لايجتمع عليه العرب وقريش، لِما قد وَتَرها!.

قال ابن عباس: فأردتُ ان اقول: كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)يبعثه،فينطح كبشَها،فلم يستصغره،أفتستصغره انت وصاحبُك؟![٣].

٧ـ ما أرى علياً إلا مظلوماً

وعن ابن عباس ايضاً قال: كنت لأُماشي عمرَ بن الخطاب في سِكّةٍ

١ـ بحار الأنوار: ج٨ ص٢٥٢ الطبعة القديمة.

٢ـ أي: قرأ آيةً من الآيات النازلة في شأن الامام (عليه السّلام) كآية الولاية وآية الإنذار وآية التبليغ.

٣ـ المحاضرات للراغب: ج٧ ص٣١٢، الغدير: ج١ ص٣٨٩.

من سِكك المدينة، إذ قال لي: يابن عباس.. ما أرى صاحبَك[١] إلاّ مظلوماً!

فقلت: فارددُ اليه ظُلامتَه[٢] فانتزع يدَه من يدي، ومضى يُهَمهِم ساعة[٣] ثم وقف فلحقتُه، فقال: يابن عباس ما اظنّهم مَنَعهم عنه إلا أنه استصغره قومه!

فقلت: واللّهِ ما استصغره اللّه ورسولهُ حين أمره ان يأخذ «براءة» من صاحبك[٤].

فأعرَض عني وأسرع، فرجعتُ عنه[٥].

٨ـ لولا سيفُه لَما قام عمود الاسلام

كان الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) جالساً ـ يوماً ـ في المسجد، وعمر بن الخطاب جالسٌ في جماعة، ثم قام الامام (عليه السّلام) فخرج من المسجد، فذكره احد الحاضرين بسوء ونَسَب إليه العُجب...

فقال عمر:... واللّهِ لولا سيفه لما قام عمود الاسلام، وهوـ بعدُ ـ اقضى الأُمَّة وذو سابقتها وذو شرَفها.

فقال له ذلك الرجل: فما مَنعكم عنه؟

قال عمر: كرهناه على حداثة السِنّ، وحبّه بني عبدالمطّلب[٦].

١ـ يقصد الامامَ امير المؤمنين (عليه السّلام).

٢ـ الظُلامة: الحق المأخوذ غصباً وظلماً.

٣ـ هَمهَم: تنفَّسَ نَفَساً عالياً.

٤ـ قد اشرنا الى هذه الفضيلة في القسم الثالث: الأحاديث النبويَّة.

٥ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي: ج١٢ ص٤٦ نقلناه باختصار.

٦ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي: ج١٢ ص٨٢ نقلناه مختصراً.

وعن ابن عباس: ان عمر بن الخطاب قال له: يابن عباس أما واللّه إنَّ صاحبك هذا، أولى الناس بالأمر بعد رسول اللّه، إلاّ أنّا خِفناه على إثنين.

فقلت: وماهما؟

قال: خِفناه على حداثة سِنِّه، وحبِّه بني عبدالمطّلب[1].

أيها القارىء الكريم: هذه التصريحات المتعددة ادلى بها عمر بن الخطاب، محاولاً تبرير غصب السلطة من الامام علي امير المؤمنين (سلام اللّه عليه) في الوقت الذي اعترف فيها ـ اكثر من مرَّة ـ بأن الامام (عليه السّلام) اولى بالخلافة منه ومن صاحبه ابي بكر.

وقد رأيتَ التناقض والاضطراب في تلك التصريحات، فتارةً يبرّر غصب السلطة بأنه كان بسبب صِغَر الامام وحداثة سِنِّه!

وتارةً بأنه خشي ان لايجتمع العرب وقريش على الامام، بسبب حرب بَدر وحُنين!.

ومرَّة ثالثة بأنه (عليه السّلام) كان مُحبّاً لبني عبدالمطَّلب!.

ولنا أن نتساءل: كم كان عُمر الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) يوم وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

الجواب: كان عمره (عليه السّلام) ثلاثاً وثلاثين سنة... فهل يُقال له: حَديث السِن؟!

ولو فرضنا ـ جَدَلاً ـ انه (عليه السّلام) كان حَديث السِن، فهل تكون الأولويّة والأفضلية بالسِن... أم بالمواهب والكفاءات؟!

ألا يقول اللّه سبحانه : ﴿هل يَستوي الذين يَعلمون والذين لايعلمون﴾؟!

١ـ شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٠.

إننا نرى ـ في العصر الحاضر ـ شاباً في العشرين من عمره ـ مثلاً ـ يبلغ من العلم والتقدم درجةً يتفوَّق بها على كثير من الشيوخ الطاعنين في السن.

وهل غفل عمر ـ او تغافل ـ عن أُسامة بن زيد الذي جعله رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اميراً على جيشٍ كبير يضم شيوخ المهاجرين والأنصار وأبا بكر وعمر نفسَه، في الوقت الذي كان عُمرُ أُسامة ١٨ سنة؟!!

ولّما طَعن بعض المنافقين في أُسامة وحداثة سِنّه، قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): وأيم اللّه... إنه لَخليقٌ بالإمارة، وإنَّ اباه كان خليقاً لها».

وعلى كل حال... لاشك في أن الامام علياً (عليه السّلام) كان افضل من ابي بكر ومن عمر ومن جميع المسلمين، بصريح قول رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «خيرُ مَن أتركه بعدي:علي بن ابي طالب»[١].

فما معنى قوله: كرهناه على حداثة السن؟!

وقد قيل لأبي قحافة ـ يوم تسلّم إبنه ابو بكر السلطة ـ: قد وَلي إبنُك الخلافة.

فسأل ـ في تعجب ـ: لمَ ولَّوه؟

قالوا: لسِنّه!

فقال: أنا أسنّ منه[٢].

وكان ابو قحافة ـ يوم وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ

١ـ المواقف للقاضي الآيجي: ج٢ ص٦١٥، المناقب للخوارزمي: ص٦٧.

٢ـ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص٢٢٢ طبعة مصر.

في الطائف، فجاءه كتابٌ من ابنه ابي بكر، يقول فيه: (من خليفة رسول اللّه الى أبي قحافة. أمّا بعد: فان الناس قد تَراضَوا بي، فاني ـ اليوم ـ خليفة اللّه، فلو قدِمتَ علينا كان أقرَّ لعَينِك).

فلمّا قرأ ابو قحافة الكتاب، قال للرسول: ما منَعكم من علي؟

قال: هو حدث السنّ، وقد اكثر القتل في قريش وغيرها، وابو بكر اسنّ منه.

فقال: إن كان الأمر في ذلك بالسِنّ، فأنا أحقّ من ابي بكر، لقد ظَلموا علياً حقَّه، وقد بايَع له النبي وأمَرَنا ببيعته.

ثم كتب كتاباً الى أبي بكر يقول فيه: (من ابي قحافة الى ابنه ابي بكر. أمّا بعد: فقد أتاني كتابُك فوجدتُه كتابَ احمقٍ ينقض بعضُه بعضاً، فمرَّة تقول: خليفة رسول اللّه، ومرَّة تقول: خليفة اللّه، ومرَّة تقول: تَراضى بي الناس، وهو امرٌ مُلتَبس، فلاتدخلنَّ في امرٍ يصعب عليك الخروجُ منه غداً، ويكون عُقباك منه الى النار والندامة، ومَلامةِ النفس اللّوامة، لدى الحساب يوم القيامة، فانّ للامور مَداخل ومَخارِج، وانتَ تعرف مَن هو اولى بها منك، فراقِب اللّهَ كأنك تراه، ولاتَدَعنَّ صاحبها، فانّ ترْكها اليوم اَخفُّ عليك واَسلم لك)(١).

فاذا كان العُمر هو ميزان الأفضلية والأولويَّة فانّ ابا قحافة اولى بالقيادة من إبنه.

وأما الخوف من أن لايجتمع العرب وقريش على طاعته (عليه السّلام) فهذا مردود أيضاً، بأن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يعرف ذلك كلّه، ومع ذلك نَصَب الامام علياً لخلافته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

١ـ كتاب الإحتجاج للطبرسي: ج١ ص٨٧ ـ ٨٨.

فهل فَهِم عمر وصاحبُه ما لم يفهمه رسولُ اللّه وهو المؤيَّد بالوحي والمتّصل بالعالَم الأعلى؟!!

بالاضافة الى أن العرب وقريش بايعوا الامام (عليه السّلام) يوم الغدير، وسلَّموا عيه بإمرة المؤمنين.. فكيف لايجتمعون على طاعته؟!

وأما حبّه (عليه السّلام) لبني عبدالمطلب فكل انسان يحب قومه وعشيرته، إنّما المهمّ هو إقامة العدل بين الناس، وعدم الظلم والعدوان، وقد قال (صلوات اللّه عليه) ـ في خُطبةٍ له ـ: «واللّهِ لأن ابيتَ على حَسك السعدان مُسَهَّداً، وأُجَرَّ في الأغلال مُصفَّداً، أحبّ إليّ من أن ألقى اللّهَ ورسولَه ـ يوم القيامة ـ ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحُطام...»[1].

إذاً: جميع المبرِّرات مردودة وكلُّ الأعذار مرفوضة ولم يكن هناك أي مانعٍ من وصول الامام (عليه السّلام) الى الحكم... بل كان (عليه السّلام) هو اللائق به، دون غيره، إلا ان السياسة الشيطانية هي التي حاكت مؤامرة السقيفة، وعرقلت مسيرة القيادة الاسلامية الصحيحة ﴿وما اللّه بغافلٍ عمّا يعمل الظالمون، إنما يؤخّرهم ليومٍ تَشخصُ فيه الأبصار﴾.

٩ـ اراد النبي أن يُصرِّح باسمه فمنعتُ من ذلك!

دخل ابن عباس على عمر بن الخطاب يوماً، فسأله عمر: من أين جئتَ ياعبداللّه؟

قال: من المسجد.

فقال: كيف خلَّفتَ ابنَ عمِّك؟

١ـ قد اشرنا الى عدالة الامام (عليه السّلام) في القسم الرابع، فراجع.

قال ابن عباس: فظننتهُ يعني عبدالله بن جعفر فقلت: خلَّفتُه يلعب مع اترابه(١).

فقال: لم اَعنِ ذلك، إنما عنيتُ عظيمكم اهلَ البيت.

فقلت: خلَّفتُه يمتَح بالغَرب(٢) على نُخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن.

فقال عمر: يا عبدالله... عليك دماء البُدن إن كتمتَنيها(٣) هل بقي في نفسه شيءٌ من امر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: اَيزعم أن رسول الله نَصَّ عليه؟

قلت: نعم... وأزيدك: سألت أبي عمّا يدَّعيه(٤) فقال: صَدَق.

فقال عمر: لقد كان مِن رسول الله في امره ذَروٌ من قول(٥) لايُثبت حجَّةً ولايقطع عُذراً... ولقد أراد في مرضه أن يُصرّح باسمه، فمنعتُ من ذلك، إشفاقاً وحيطة على الاسلام... الى آخر كلامه(٦).

أيها القارىء الكريم: تعال معي... لنتأمَّل هذا الحوار ونقف على بعض النقاط البارزة فيه:

١ـ إن عمر بن الخطّاب يُعبِّر عن الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) بـ (عظيم اهل البيت) واهل البيت هم الذين نَزل فيهم قولُه تعالى: ﴿إنما يريد

١ـ الاتراب ـ جمع تِرب ـ: المتساوون في العُمر.

٢ـ يمتح: يستخرج الماء/الغَرب: الدلو العظيمة.

٣ـ أي: اسألك عن شيء، فان كتمتَ الحقيقة فعليك دماء البُدن، وهي الإبل.

٤ـ أي: سألتُ أبي ـ العباس بن عبدالمطلب ـ عن أنّ رسول الله اوصى بالخلافة الى الامام علي.

٥ـ ذرو: طرف.

٦ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١٢ ص٢٠ نقلناه مختَصراً.

اللّهُ ليُذهبَ عنكم الرجس اهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾[1].

فمادام الامام علي (عليه السّلام) هو عظيم اهل البيت، فان من الواجب ان يكون هو خليفة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لأن رسول اللّه ـ في الدرجة الاولى ـ هو عظيم اهل البيت، ومِن بعده يأتي دور الامام علي (عليه السّلام).

٢ـ وبالنسبة الى خلافة الامام علي (عليه السّلام) يقول: «قد كان من رسول اللّه في امره ذرو من قول لايثبت حجة ولايقطع عذراً».

أي: ان النبي اشار ـ اشارة ناقصة ـ الى خلافة الامام علي من بعده، ولكن هذه الاشارة لاتثبت حجة ولاتقطع عذراً.

اقول: سبحان اللّه!

أما في بيعة الغدير ـ وما رافقتها من قضايا واحداث ـ حجة لاثبات خلافة الامام علي؟!!

أما تقدّم عمر وصاحبه للبيعة؟!

أما قال للامام ـ حين البيعة ـ: بخ بخٍ لك يابن ابي طالب اصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟!!

فهل نسي واقعة الغدير وبيعته للامام؟!!

٣ـ ويصرح بأن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اراد أن يُصرِّح ـ في مرضه ـ باسم الامام علي (عليه السّلام) فمَنع هو من ذلك، إشفاقاً على الاسلام!!.

وأنت لو تأمّلتَ هذه النقطة الأخيرة ـ بروح الإنصاف والتحرّر ـ لاستطعت أن تُدرك ـ قليلاً ـ مدى الفاجعة التي حلّت بالاسلام والمسلمين

١ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٣.

بسبب هذا المنع!!

وقبل أن نُناقش ـ معاً ـ هذه النقطة الأخيرة، لابد من ذِكر القصَّة التي اشار اليها بقوله: (ولقد اراد ـ في مرضه ـ ان يُصرّح باسمه فمنعتُ من ذلك...).

في صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: لمّا حَضر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم)[1] وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): هَلمَّ اكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده.

فقال عمر: إن النبي قد غَلَبه الوجَع!! وعندكم القرآن، حَسبنا كتابُ اللّه.

فاختَلف اهل البيت[2] فاختصموا... منهم مَن يقول: قَرِّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم مَن يقول ما قاله عمر... فلمّا أكثروا اللّغو والإختلاف عند النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال رسول اللّه: قوموا.

فكان ابن عباس يقول: إن الرزيَّة ـ كلُّ الرزيَّة ـ ما حالَ بين رسول اللّه وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من إختلافهم ولغطهم[3].

وفي صحيح مسلم: عن ابن عباس قال: يوم الخميس.. وما يوم الخميس؟!

١ـ أي: لمّا حضرته الوفاة.

٢ـ أي: مَن كان في البيت.

٣ـ صحيح البخاري/كتاب المريض/باب قول المريض: قوموا عنّي، صحيح مسلم/كتاب الوصيّة/باب ترك الوصية، مُسند احمد بن حنبل: ج١ ص٣٢٤ وص٣٣٦، طبقات الصحابة لابن سعد: ج٢ ص٣٧، وغيرها من عشرات المصادر.

ثم جعلت دموعه تسيل على خدَّيه كأنها نظام اللؤلؤ... وقال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): إئتوني بالكَتِف والدَواة واللَّوح، أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده ابداً.

فقالوا: إن رسول اللّه يَهجر[1].

وعن عمر بن الخطاب قال: لمّا مرض رسول اللّه (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم) قال: أُدعوا لي بصحيفةٍ ودَواة، أكتب لكم كتاباً لاتضلّون بعدي ابداً.

فكرهنا ذلك اشدَّ الكراهية!

ثم قال (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم): ادعوا لي بصحيفةٍ اكتب لكم كتاباً لاتضلّون بعده ابداً.

فقالت النسوة ـ مِن وراء السِتر ـ: ألا تسمعون ما يقول رسولُ اللّه؟

فقلت ـ والكلام لعُمر ـ: إنكنّ صواحبات يوسف، اذا مرض رسولُ اللّه عَصَرتُنَّ اعينكن، واذا صحّ ركبتنَّ رقبته.

فقال رسول اللّه: دَعُوهن فانهنّ خير منكم[2].

وعن جابر قال: إن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) دعا عند موته بصحيفة، ليكتب فيها كتاباً لايضلّون بعده، فخالَف عمر بن الخطاب، حتى رَفَضها[3].

١ـ صحيح مسلم كتاب الوصية، مُسند احمد بن حنبل: ج١ ص٣٥٥، طبقات الصحابة لابن سعد: ج٢ ص٣٧.

٢ـ مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: ج٩ ص٣٣، طبقات الصحابة لابن سعد: ج٢ ص٣٧ باختلاف يسير في بعض الفاظه، كنز العمال للمتقي الهندي: ج٣ ص١٣٨ وغيرها.

٣ـ مسند احمد بن حنبل: ج٣ ص٣٤٦، طبقات الصحابة لابن سعد: ج٢ ص٣٦و٣٧.

هذه نماذج ممّا روي عن تلك الرزيَّة، وهناك روايات اخرى في نفس هذا الموضوع، نَصرف النظر عن ذكرها، مراعاة لأُسلوب الكتاب.

وقد قرأت ـ فيما تقدم ـ ان بعض الروايات تُصرِّح باسم عمر بن الخطاب وأنه نَسَب الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الهجر وغلبة الوجَع، وبعضها تتحاشى عن ذكر اسم عمر فتقول: فقالوا: إن رسول اللّه يهجر، وفي رواية جابر جاء التصريح باسم عمر ايضاً.

قال السيد الأجل شرف الدين: (وقد تصرَّفوا فيه [أي في قول عمر] فنقلوه بالمعنى، لأن لفظه الثابت: (إن النبي يهجر) لكنهم ذكروا أنه قال: إن النبي قد غلَب عليه الوجع، تهذيباً للعبارة، واتّقاء فظاعتها. ويدل على ذلك ما اخرجه ابو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري ـ في كتاب السقيفة ـ بالاسناد الى ابن عباس قال: «... فقال عمر كلمةً معناها أن الوجع قَد غَلَب على رسول اللّه» وتراه صريحاً بأنهم إنما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لابعين لفظه.

ويدلّك على هذا ايضاً أن المحدّثين حيث لم يصرِّحوا باسم المعارِض يومئذٍ، نقلوا المعارضة بعين لفظها...) الى آخر كلامه أعلى اللّه في الجنان مقامه[1].

وعلى كل حال: فالثابت أن القائل في الجميع هو عمر لاغير، كما هو واضح.

والمستفاد من مجموع هذه الروايات عدَّةُ امور:

الأول: إن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أراد أن يكتب كتاباً يضمن إستقامة المسلمين على الهدى والصلاح، ويؤمِّن الامَّة من

١ـ كتاب النص والاجتهاد: ص١٥٦.

الانحراف والضلال... الى يوم القيامة.

الثاني: ان عمر بن الخطاب كره هذه الخطوة اشدّ الكراهية، لأنه عرف ـ حَسب تصريحه ـ أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يريد أن يؤكّد على خلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) ولذلك بذَل كل جهده من اجل عدم كتابة ذلك الكتاب، وقد تحققَ هَدفُه بالفعل.

الثالث: إن عمر بن الخطّاب بعملَه هذا، عرَّض المسلمين للانحراف والضلال... منذ ذلك اليوم والى يومٍ يعلمه اللّه تعالى!

وللتوضيح... إليك هذا المثال:

تصورًّ ـ أيها القارىء ـ لو أن الطبيب قال لأهل البلد: إن مَرض الوباء (الكوليرا) قادم اليكم، وهو يُهدِّد حياتكم بالفناء، فَهلمُّوا إليّ، لكي أُبيِّن لكم التعليمات الوقائية، كي تأمنوا شرَّ هذا المرض، ولاتذهبوا طُعمةً له. وكان اهل البلد يعرفون الطبيب ويثقون به وبكلامه.

فقام انسان وقال: لسنا بحاجة الى تعليمات هذا الطبيب... إنه يتكلَّم بدون شعور... إننا نعرف بعض التعليمات العامة وهي حَسبنا!!

ثم جاء الوباء واكتسح المدينة، وقضى على حياة الكثيرين!!

باللّه عليك ـ أيها القارىء ـ ألا يحكم العقل بأن ذلك الرجل المخالف هو المسؤول عن وفاة اولئك الناس؟!

ألا يُلقى الذنبُ على عاتقه؟!

ألا يُقال له: لماذا منعتَ الطبيب عن بيان التعليمات الوقائية؟!

الجواب: بلى... إنه كذلك.

بعد هذا التوضيح... نقول: إن نفس هذه الصورة تجري في هذا المقام.

إلتفِت جيِّداً:

هذا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على اعتاب الوفاة والغيبة الأبديَّة، وها هو يُنذر قومه بخطر الإنحراف والضلال، ويطلب ما يكتب فيه كتاباً يضمن الاستقامة والهداية للامة الاسلامية بكاملها... كتاباً يحفظ الامة من الانحراف والضلال الى الأبد، فيقول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ايتوني بالكتف والدواة[1] لأُكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده».

و«لن» لنفي الأبد، كما في قوله تعالى: ﴿ولن تجد لِسنَّةِ اللّه تبديلاً﴾ وقوله عزّوجلّ: «لن تراني» حيث دلَّت علي إنتفاء رؤية اللّه تعالى في الدنيا والآخرة.

فيقوم عمر بن الخطاب ويردُّ على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فيقول للحاضرين: إن النبي قد غَلَبه الوجَع.. إن رسول اللّه يَهجر!!

أي: ان رسول اللّه قد ارتفعت درجة الحرارة والمرضَ فيه، فصار لايعرف ماذا يقول.. يتكلَّم بدون وعي وقصد، كالمغمى عليه يهجر ويتكلم هذياناً، فلايُعبأ بقوله!!.

اللّه أكبر!!

عَجباً لحِلم اللّه!!

عَجباً للسماوات لم تسقط على الأرض... من هذه الاهانة الشنيعة!

وهل تتصورَّ ـ أيها القارىء ـ كلمةً اقسى واغلظ وأشدّ من هذه الكلمات؟!

لو كان هذا الخِطاب موجَّهاً الى رجلٍ عادي، لكان سيئاً وخارجاً عن

١ـ الكتِف: عَظم عريض مثلَّث خَلف المنكب. الدواة: المَحبرة، وكان المتعارف ـ يومذاك ـ الكتابة على الكتف وغيرها، لعدم توفّر الورَق.

حدود الآداب، فكيف والخطاب موجّه الى سيد الأنبياء وأشرف المرسلين وخير المخلوقين؟!

ثم إننا نَتساءل: هل يَهجر رسولُ اللّه؟

الجواب: كلا... هذا القرآن الكريم ينفي ذلك نفياً قاطعاً:

يقول سبحانه: ﴿ما ضلَّ صاحبُكم وما غَوى، وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وَحيٌ يوحى، علّمه شديد القوى﴾[١].

إن اللّه تعالى زكّى رسولَه وحَفَظه من كل خطأ وهجر، في القول والفعل... فما معنى قول عمر: إن النبي قد غَلبه الوجَع... إنَّ رسول اللّه يَهجر؟!

ألا يؤذي هذا رسولَ اللّه... وقد قال تعالى: ﴿إن الذين يؤذون اللّه ورسولهَ لَعَنهم اللّهُ في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً؟!﴾[٢].

أليس هذا هو الردّ على رسول اللّه... وقد قال سبحانه: ﴿ومَن يَعصِ اللّهَ ورسولَه فقد ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾؟![٣].

وقال عزّوجلّ: ﴿ما آتاكم الرسول فَخُذوه﴾[٤].

اليس هذا إجتهاداً في مقابل النَصّ.. وقد قال تعالى: ﴿الم يعلموا أنه مَن يُحادِدِ اللّهَ ورسولَه فأنَّ له نار جهنَّمَ خالداً فيها، ذلك الخزيُ العظيم﴾؟![٥].

١ـ سورة النجم/الآية ٥.

٢ـ سورة الأحزاب/الآية ٥٧.

٣ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٦.

٤ـ سورة الحشر/الآية ٧.

٥ـ سورة التوبة/الآية ٦٣.

ألم يأمر اللّه تعالى بالتسليم المطلق لأوامر رسول اللّه... فقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما﴾؟!(١).

بلى... بلى... كل ذلك صحيح ولكن عمر بن الخطاب اشفقَ على الاسلام ورأى المصلحة في مخالفة رسول اللّه!!!.

وكأنَّ رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان جاهلاً بمصالح الاسلام، وهو القائم بأمر الدين!!

وقد قال اللّه تعالى: ﴿قل أتعلّمون اللّه بدينكم﴾؟(٢).

فهل صار عمر أشفقَ على الاسلام من رسول اللّه؟!

وهل عَرف عمر المصلحةَ ولم يعرفها النبي وهو المؤيَّد بالوحي والمتَّصل بالعالَم الأعلى؟!

هل توافق على ذلك أيها القارى المسلم؟!

إن كلَّ مسلمٍ يعتقد أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اعرف بمصلحة الاسلام من غيره، وأنه اشفق على الاسلام من غيره.

فما معنى قول عمر: (ولقد اراد ـ النبي ـ أن يُصرِّح باسمه ـ أي: باسم الامام علي ـ فمنعتُ من ذلك، إشفاقاً وحيطةً على الاسلام)؟!

وما معنى قوله ـ لما طلب النبي ما يكتب فيه ـ: (فكرهنا ذلك أشدَّ الكراهية)؟!

إنَّ رسول اللّه ﴿ما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحيٌ يُوحى﴾ فقوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ايتوني بكتف ودواة» إنما كان بأمر اللّه تعالى.

فما تقول فيمن يكره امر اللّه.. وقد قال سبحانه: ﴿ذلك بأنهم

١ـ سورة الأحزاب/الآية ٥٦.

٢ـ سورة الحجرات/الآية ١٦.

كَرهوا ما انزل الله فأحبَطَ اعمالَهم﴾؟![1].

لماذا يكره الانسان الحقّ... وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم، فآمنوا خيراً لكم، وإن تكفروا فانّ للّه ما في السماوات والأرض﴾؟![2].

وقال سبحانه: ﴿قل اطيعوا اللّه والرسول، فان تولّوا فان اللّه لايحب الكافرين﴾[3].

وترى أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يردّ على عمر بن الخطاب ـ عندما ردَّ هو على النساء من خلف الستر ـ بقوله: دَعوهنَّ فانهنَّ خيرٌ منكم.

فهذا رسول اللّه يشهد ـ حَسب رواية عمر نفسه ـ ان النساء خير من عمر...

إلا أن عمر لايَعبأ بكل ذلك... ويبذل جهده في سبيل الحيلولة دون كتابة ذلك الكتاب.

ولايجد ما يردُّ به رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) سوى قوله: ﴿حسْبنا كتابُ اللّه﴾!!.

وهل يمكن الاكتفاء بالقرآن وحده، والإستغناء عن اهل البيت؟!

إقرأ الجواب فيما يلي:

قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي اهل بيتي ، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي

١ـ سورة الأحزاب/الآية ١٩.

٢ـ سورة النساء/الآية ١٧٠.

٣ـ سورة آل عمران/الآية ٣٢.

ابداً»(١).

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في خطبة يوم الغدير ـ: مَعاشر الناس: تَدبَّروا القرآن، وافهموا آياته وانظروا إلى مُحكَماته ولاتتَّبعوا متشابَهه، فواللّه لن يُبيِّن لكم زَواجرَه ولايوضِّح لكم تفسيره إلاّ الذي أنا آخذٌ بيده، ومُصعِّده إليَّ، وشائلٌ بِعَضُده.

معاشر الناس: إنَّ علياً ـ والطيبين مِن وُلدي ـ هم الثِقل الأصغر، والقرآن: الأكبر، وكلُ واحدٍ مُنبيءٌ عن صاحبه ومُوافق له، لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض، هم أُمَناء اللّه في خَلقه، وحُكماؤه في ارضه...(٢).

اذاً: التمسّك بالقرآن والعترة معاً، هو ما أمر اللّهُ به ورسولُه.

هذا اولاً.

ثانياً: إن التمسّك بالقرآن معناه التمسك بأهل البيت أيضاً، لأن القرآن يهتف باسم اهل البيت ويَهدي اليهم ويأمر بالتمسُّك بهم ـ في آيات متعددة ذكرنا بعضها فيما سَبق ـ ولهذا قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): وكل واحدٍ مُنبيءٌ عن صاحبه وموافق له، وإنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض.

من هنا... فانَّ مَن تَرك التمسّك والاقتداء بأهل البيت فقد ترك التمسك والعمل بالقرآن، وإن زَعم أنه متمسِّكٌ بالقرآن.

ثالثاً: إنّ في القرآن آيات كثيرة تستدعي الشرح والتفسير والتفصيل، فممّن يُؤخذ كل ذلك؟

لابد أن يؤخذ من معدن العلم والحكمة... ممّن يُوثَق بقولهم ويُعتمد

١ـ سيأتي الكلام بالتفصيل عن هذا الحديث الشريف.

٢ـ خطبة الغدير، وقد ذكرناها في فصلٍ سابق.

عليهم... ممّن نَزل القرآن في بيوتهم... وهم اهل البيت (عليهم السّلام).

مثلاً: القرآن الحكيم يأمر بالصلاة وإقامتها، ولكنه لايتكفّل بيان ركعات الصلاة وأوقاتها وشروطها ونواقضها ومبطلاتها ومسائلها المختلفة... بل يترك شرح ذلك الى رسول اللّه وعترته الطاهرة (عليهم السّلام).

وهكذ الحال بالنسبة الى الصوم والزكاة والحج وسائر العبادات والمعاملات.

أيها القارىء الكريم: لقد عرفت ـ من هذا البحث ـ أن قول عمر: (حسبنا كتابُ اللّه) غير صحيح، وأنه كان الهدف منه هو الحيلولة دون كتابة ذلك الكتاب الذي عرف عمر أن رسولَ اللّه يريد التصريح فيه ـ مرَّة اخرى ـ بخلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام).

وإن سأل سائل: لماذا عَدل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن كتابة ذلك الكتاب؟

ولماذا لم يُصرَّ عليها راغماً انف مَن نَسب إليه الهجر؟

يجيب على هذا السؤال سيدنا الأجل شرف الدين حيث يقول: (وإنما عَدل عن ذلك، لأن كلمتهم تلك التي فاجئوه بها، إضطرَّته الى العدول، إذ لم يبق بعدها أثرٌ لكتابة الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده في أنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هل هَجر فيما كتبه ـ والعياذ باللّه ـ أو لم يهجر؟ كما اختلفوا في ذلك فاختصموا واكثروا اللغو واللغط نصب عينيه، فلم يتسنَّ له يومئذٍ اكثر من قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لهم: «قوموا» كما سمعت.

ولو أصرَّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فكتب الكتاب لَلجُّوا في

قولهم: هَجر، ولأوغل اشياعهم في إثبات هجره ـ والعياذ باللّه ـ فسَطَّروا به اساطيرهم وملأوا طواميرهم، رداً على ذلك الكتاب وعلى من يحتج به.

لهذا اقتضت الحكمة البالغة أن يضرب (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن ذلك الكتاب صفحاً، لئلا يفتح هؤلاء واولياؤهم باباً الى الطعن في النبوة...)[1].

١٠ـ المُلك عقيم والحق لابن ابي طالب

عن حارثة بن زيد: ان عمر بن الخطاب قال له: ... ياحارثة... دخلتُ على رسول اللّه وقد اشتدَّ وَجعه، وأحببتُ الخلوة به، وكان عنده علي بن ابي طالب والفضل بن العباس، فجلستُ حتى نهَض ابن العباس، وبقيتُ أنا وعلي، فتبيَّن لرسول ما أردتُ، فالتفتَ إليَّ وقال: جئتَ لتسألني الى مَن يصير هذا الأمر من بعدي؟!

قلت ـ والكلام لعمر ـ: صدقتَ يارسولَ اللّه.

فأشار النبي الى علي وقال: ياعمر.. .هذا وصيِّي وخليفتي من بعدي... هذا خازنُ سِرّي، فَمن اطاعه فقد اطاعني، ومَن عصاه فقد عصاني، ومَن عصاني فقد عصى اللّه، ومَن تقدَّم عليه[2] فقد كذَّب بنبوَّتي.

ثم ادناه[3] فقبَّل بين عينيه وقال له: وَلِيُّكَ اللّهُ وناصِرُك، والى اللّهُ مَن والاك، فأنت وصيّي وخليفتي في أُمَّتي...».

١ـ النص والاجتهاد: ص١٥٨.

٢ـ أي: تقدَّم عليه في الحكم والقيادة وغيرها.

٣ـ أي: أدنى النبيُ علياً إليه.

قال حارثة: فتَعاظَمني ذلك[١] فقلت: وَيحك ياعمر! كيف تقدَّمتوه وقد سمعتَ ذلك من رسول اللّه؟!

فقال عمر: ياحارثة... بأمرٍ كان!.

فقلت: مِن اللّه أم مِن رسوله أم مِن علي؟!

قال: لا... بل المُلك عقيم، والحقُّ لابن ابي طالب[٢].

أيها القارىء الكريم: أعتقد أن هذا الحوار لايحتاج الى شرح وتعليق، فالمعنى واضح، وأنت لو قرأته ـ بروحٍ موضوعيَّة ـ لرأيت الاعتراف فيه بالحق واضحاً، وأنّ مؤامرة السقيفة، وكل تلك القضايا والمآسي التي حدثت، إنما كانت من اجل الوصول الى الرئاسة والسلطة، فـ (الملك عقيم... والحق لابن أبي طالب).

١١ـ لايَصلح هذا المدح إلا لبني هاشم

روى عبداللّه بن عمر قال: كنتُ عند أبي يوماً، وعنده نَفرٌ من الناس، فجرى ذِكر الشِعر فقال: مَن اشعر العرب؟

فقالوا: فلان وفلان.

فطَلع عبداللّه بن عباس، فسلَّم وجَلس... فقال عمر: قد جاءكم الخبير... ثم قال لابن عباس: مَن أشعر الناس ياعبدَاللّه؟

فقال ابن عباس: زهير بن ابي سلمى.

١ـ أي: تعجبتُ من هذا الاعتراف.

٢ـ رواه جمعٌ من الحفّاظ والمحدّثين، منهم: الحافظ ابن حسنويه الموصلي ـ من علماء الحنَفية ـ في كتاب دُرُّ بحر المناقب: ص٦٠.

قال عمر: فأنشِدني ممّا تَستجيده له[١].

فقرأ ابن عباس ابياتاً لذلك الشاعر يمدح بها قوماً من غطفان[٢].

فقال عمر: واللّهِ لقد احسن، وما ارى هذا المدح يَصلح إلاّ لهذا البيت من هاشم، لِقرابتهم من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم).

فقال ابن عباس: وَفَّقك اللّه...[٣].

فقال: يابن عباس... أتدري ما مَنع الناسَ منكم؟

قال: لا.

قال: لكنّي ادري.

قال: ما هو؟

فقال: كرهتْ قريش أن تجتمع لكم النبوَّة والخلافة، فَتجخَفوا جخفاً[٤] فنظرت قريش لنفسها، فاختارت ووُفِّقت فأصابت!!

فقال ابن عباس: أيُميط عني غَضَبه فيَسمع؟![٥].

قال: قل ما تشاء.

فقال ابن عباس: أمّا قولك: (إن قريشاً كرهت) فان اللّه تعالى قال لقوم: ﴿ذلك بأنهم كَرِهوا ما أنزل اللّهُ فأحبَط أعمالَهم﴾[٦].

١ـ أي مما تحفظه وتُحسنه.

٢ـ والأبيات مذكورة في المصدر، ولم أرَ داعياً لذِكرها.

٣ـ أي: ان اللّه تعالى اجرى الحق على لسانك، فأصبتَ في هذا الكلام.

٤ـ جَخَف: تكبَّر.

٥ـ أي: هل تسمح لي ان أُجيب وأردّ عليك.. أم تغضب؟ وقد جاء بصيغة الماضي لاالمخاطَب، وهو مما يُستعمل عند العرب.

٦ـ سورة الأحزاب/الآية ١٩.

وأما قولك: (إنّا كنا نجخف) فلو جَخفنا بالخلافة جَخفنا بالقرابة(١) ولكنّا قومٌ اخلاقنا مُشتقَّة من خُلق رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي قال اللّه تعالى: ﴿وإنك لَعلى خُلقٍ عظيم﴾(٢) وقال له: ﴿واخفِض جَناحك لِمَن اتَّبعك من المؤمنين﴾(٣).

وأمّا قولك: (إن قريشاً اختارت) فان اللّه تعالى يقول: ﴿وربُّكَ يَخلُق ما يشاء ويختار، ما كان لَهم الخِيَرة﴾(٤).

وقد علمتَ أن اللّه اختار مِن خَلقه لذلك مَن اختار(٥) فلو نظرت قريش مِن حيث نَظر اللّه لها، لَوُفِّقت واصابت قريش.

فقال عمر: على رِسلك يابن عباس... أبت قلوبُكم إلاّ غِشّاً في أمر قريش لايزول، وحقداً عليها لايحول!!!

فقال ابن عباس: مَهلاً... لاتَنسب هاشماً إلى الغشّ، فانَّ قلوبهم مِن قلب رسول اللّه الذي طهَّره اللّه وزَكّاه، وهم اهل البيت الذين قال اللّه تعالى لهم: ﴿إنّما يُريد اللّهُ ليُذهب عنكم الرِجسَ اهل البيت ويُطهِّركم تطهيراً﴾(٦).

وأمّا قولك: (حقداً) فكيف لايحقد مَن غصِب شيئُه، ويراه في يد غيره...

١ـ أي: لو كان التكبر يملكنا بسبب الخلافة لكان قد حَدث ـ قبل ذلك ـ بسبب القرابة..

٢ـ سورة ن/الآية ٥.

٣ـ سورة الشعراء/الآية ٢١٥.

٤ـ سورة القصص/الآية ٦٨.

٥ـ يقصد الامامَ امير المؤمنين (عليه السّلام).

٦ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٣.

الى ان قال ابن عباس: ألم تحتجَّ العرب على العجم بحق رسول اللّه، واحتجَّت قريش على سائر العرب بحق رسول اللّه؟! فنحن اقرب برسول اللّه من سائر قريش.

فقال عمر: قم الآن... فارجع الى منزلك... فقام وخرج.

... فقال عمر: واهاً لابن عباس[١] ما رأيتُه لاحى احداً قط[٢] إلا خَصَمه[٣].

أقول: إن ابن عباس كفانا مؤنة الردّ والتعليق على كلمات عمر بن الخطاب، والرائع في هذا المجال هو ان ابن عباس يستند ـ في المناقشة ـ الى القرآن الحكيم.

ولكننا نُشير الى نقطتين في هذا الحوار:

الاولى: ان ابن عباس كان يناقش عمر ويردُّ عليه باسلوب المنطق والدليل وبكل هدوء، ولكنك ترى أن عمر يُحوِّل الاسلوب ـ فجأةً ـ من المناقشة الهادئة الى المغالطة والاسلوب الخشِن، فينسب الغش والحقد الى بني هاشم.

وهذا الاسلوب ـ كما ترى ـ مخالفٌ لقواعد الحوار والمناقشة، ولايَسلكه إلا الذي يفشل في الحوار ويفلس من الدليل، فيلجأ الى العنف والخشونة!.

ولكن ابن عباس يُواجه تلك الخشونة بنفس الروح الموضوعية،

١ـ واهاً: تُستعمل للتعجب.

٢ـ لاحى: نازعَ وجادل.

٣ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي: ج١٢ ص٥٢ ـ ٥٥ نقلناه مع بعض الإختصار.

ويواصل تعليقه ومناقشته، معتمِداً على القرآن الحكيم.

الثانية: ان عمر يقول ـ في نهاية الحوار ـ: قم فارجع الى منزلك. وبقوله هذا يقطع شريط الكلام.

وهذا اسلوبُ العاجز أيضاً، لأن الحوار ـ عادةً ـ لاينتهي إلا بإقناع احد الطرفين للآخر، أمّا ان يقول احدهما لصاحبه: قم فارجع الى منزلك، فليس هذا من المنطق في شيء.

وعلى كل حال... فانتَ لو تأمَّلتَ الحوار جيّداً، لَوقفتَ على نقاط اخرى فيه، تستدعي المناقشة والتعليق.. فتأمَّل.

إنْ وَلي امرهم حَملَهم على المحجَّة البيضاء

قال ابن عباس: كنتُ عند عمر بن الخطاب، فتنفَّسَ نَفَساً ظننتُ أنَّ اضلاعه قد انفرجت.

فقلت: ما اخرج هذا النَفَس منك إلاّ هَمٌّ شديد.

قال: أي ـ واللّهِ ـ يابن عباس... إنّي فكّرتُ فلم أدرِ فيمن اجعل هذا الأمر بعدي.

ثم قال: لعلَّك ترى صاحبَك لها اهلاً؟

قلت: وما يمنعه من ذلك، مع جهاده وسابقته وقرابته وعِلمه؟!

قال: صدقتَ، ولكنه امرؤٌ فيه دُعابة[1].

قلت: فأين انت عن طلحة؟

قال: ذو البأو[2] وبإصبعه المقطوعة.

١ـ الدُعابة: المزاح.

٢ـ البأو: التفاخر وإعجاب المرء بنفسه.

قلت: فعَبد الرحمن (بن عوف)؟

قال: رجلٌ ضعيف، لو صار الأمر إليه لوضَع خاتمه في يد إمرأته[١].

قلت: فالزبير؟

قال: شِكسٌ لَقِس[٢] يُلاطم في النقيع في صاعٍ مِن بُرّ.

قلت: فسعد بن ابي وقّاص؟

قال: صاحب سلاح ومِقنَب[٣].

قلت: فعثمان (بن عفّان)؟

قال: أوَّه، أوَّه، أوَّه، واللّهِ لئن وَلِيَها ليحملنَّ بني ابي مُعَيط[٤] على رقاب الناس، ثم لَتنهض العرب عليه.

الى ان قال ابن عباس: ثم أقبل عليٌّ ـ بعد ان سكت هُنيئةً ـ وقال: أجرؤهم ـ واللّهِ ـ إن وَلِيَها، أن يحملهم على كتاب ربّهم وسُنَّة نبيِّهم لَصاحبُك، أما إن وَلِيَ امرهم حَمَلهم على المحجَّة البيضاء[٥] والصراط المستقيم[٦].

أيها القارىء الكريم: لقد قرأت ـ في هذا الحوار ـ أن عمر بن الخطاب ينتقد كلاً من طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، ويذكر لكل واحدٍ منهم عيباً ونقصاً يمنعهم من القيادة

١ـ هذه كناية عن أنه لايملك رأياً ولاإرادة، بل يُسلِّم قياده لزوجته.

٢ـ الشِكس: البخيل وسيء الخُلق. اللَّقِس ـ هنا ـ: الحريص على كل شيء البرُّ: الحنطة.

٣ـ المِقنب: وعاءٌ للصيّاد يجعل فيه ما يصيده، وله معنى آخر، لكن المناسِب ـ هنا ـ هو ما ذكرناه، والمعنى انّ سعد بن أبي وقّاص رجلُ صيد ولهو ورمي.

٤ـ أي: بنى اميَّة.

٥ـ المحجَّة: وسط الطريق.

٦ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١٢ ص٥١ ـ ٥٢.

والسلطة، وينفي عنهم الأهليَّة للخلافة.

كما أنه يعترف بأهليَّة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) للخلافة والقيادة، ولايُنكر سابقته (عليه السّلام) وجهاده وعِلمه وقرابته من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ويبدو أنه فتَّش كثيراً في زوايا حياة الامام (عليه السّلام) فلم يجد نقطةَ ضعفٍ في الامام سوى الدعابة ـ حَسَب زعمه ـ.

ومعنى هذا: ان عمر بن الخطاب يريد للقيادة رجلاً فَظّاً غليظاً خشِناً قاسياً.

أمّا اذا كان الرجل ليِّن الجانب حَسن الأخلاق، رحيم القلب، فذلك يُعتبر نُقطةَ ضَعفٍ عند عمرا.

ولكن... ما هو الصحيح؟ ما كان عليه الامام علي.. أم ما يريده عمر؟

الجواب: إن اللّه تعالى يقول: ﴿لقد كان لكم في رسولِ اللّه أُسوةٌ حَسَنة﴾[1] فالنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هو القدوة التي يجب علينا أن نقتدي بها في مختلف مجالات الحياة.

والآن... تعال معي الى حياة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لنرى هل كان (صلّى اللّه عليه وآله) رجلاً فظّاً غليظاً خشناً ام كان ذا دُعابة.

طبعاً... ليس المقصود من الدعابة: الخِفَّة، بل المقصود: المزاح المهذَّب الذي لايتنافى مع الهيبة والوقار، ولايُدخِل صاحبَه في الكذب والباطل.

أما القرآن الحكيم فانه يقول ـ بصراحة ـ: ﴿ولو كنتَ فَظّاً غَليظ

١ـ سورة الأحزاب/الآية ٢١.

القلب لانفَضُّوا مِن حَولك﴾[١].

ويقول: ﴿وإنك لَعلى خُلقٍ عظيم﴾[٢].

وأما التواريخ: فقد روي عن ابن عباس انه قال: كانت في النبي دُعابة[٣].

وقال أنس بن مالك: كان النبي مِن أفكه الناس[٤].

وقالت عائشة: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلّم): إني لأمزحُ ولا اقول إلا حقّاً[٥].

وقالت أيضاً: إن النبي كان مَزّاحاً، وكان يقول: إن اللّه لايؤاخذ المَزّاح الصادق في مَزحه[٦].

وقد ذكر المؤرّخون نماذج من مزاحه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

بعد هذا العَرض الخاطف... عرفتَ أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان ذا دُعابة ومزاحٍ مهذَّب، وأن الدُعابة مِن اخلاق الأنبياء، فلاعَجب اذا كان سيدنا علي امير المؤمنين ـ وهو سيد الأوصياء وخليفةُ سيد الأنبياء ـ ذا دعابة.

ونستنتج ـ ممّا ذكرنا ومن احاديث اخرى ـ ان اللّه تعالى يكره العبد الفظّ الغليظ، ويحبُّ ذا الدعابة المهذَّبة.

١ـ سورة آل عمران/الآية ١٥٩.

٢ـ سورة القلم/الآية ٤.

٣ـ كتاب الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي: ج٢ ص٤٤٦.

٤ـ افكه: أفعل التفضيل، مُشتق من الفكاهة وهي الدعابة/المصدر السابق.

٥ـ كتاب الوفا بأحوال المصطفى: ج٢ ص٤٤٥.

٦ـ كتاب الوفا بأحوال المصطفى: ج٢ ص٤٤٦.

بعد هذا نتساءل: هل الدعابة مَنقصةٌ ومانعةٌ من الحكم والقيادة؟!

أم أن عمر اتّخذها مبرِّراً لإبعاد خليفة رسول اللّه عن السلطة؟!

ثم ننتقل الى البند الأخير من كلام عمر وهو قوله: «إن وليَ امرهم حَمَلَهم على المحجَّة البيضاء والصراط المستقيم».

ومعناه: ان الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) لو تسلّم قيادة المسلمين لسار بهم على كتاب اللّه وسنَّة رسوله المصطفى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وسَلك بهم الصراط المستقيم الذي لا انحراف فيه.

ونعود لنتساءل أيضاً:

١ـ اذا كان الأمر هكذا ـ وهو كذلك بالفعل ـ فلماذا لم يترك القيادة لتنتقل الى صاحب الخلافة الرشيدة التي تحمل الناس على المحجَّة البيضاء؟!!

٢ـ ولماذا جعلها شورى بين مَن ليس لواحد منهم عُشر معشار ما للامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) من الفضائل والمناقب والمحاسن والمواهب؟!!

٣ـ ولماذا اعدَّ خطَّة مدروسة حتى لاتصل السلطة ـ بأي حال ـ الى خليفة رسول اللّه، فوصلت الى عثمان ليحمل بني ابي مُعَيط على رقاب المسلمين؟!!

٤ـ ولماذا حَرم الامةَ الاسلامية من بركات حكومة الامام (عليه السّلام) وخيراتها، ودفع بها الى احضان عثمان، يتصرّف بها كيف يشاء اثنتي عشرة سنة؟!!

هل يجوز ذلك؟!!

أيها القارىء الكريم: كانت هذه بعض التصريحات التي ادلى بها ابو بكر وعمر بشأن خلافة الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وقد ذكرتُ

معظمها من كتب علماء اهل السُّنة ومشايخهم، كابن ابي الحديد المعتزلي الذي لايميل الى الشيعة ولاتُشمّ منه حتى رائحة التشيّع، وكتابه (شرح نهج البلاغة) خير معرِّف له لمن نظر فيه.

واختم هذا الفصل بقوله تعالى: ﴿فبشِّر عبادِ الذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الذين هداهم اللّه واُولئك هم اولوا الألباب﴾(١).

١ـ سورة الزمر/الآية ١٨.

انتقال السُلطة الى صاحبها الشرعي

وبعد مقتل عثمان... انتقلت السُلطة (ولااقول: الخلافة، لأنها ثابتة على كل حال) الى صاحبها الشرعي: الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام).

فقد هرعت الجماهير الى الإمام (عليه السّلام) وازدحمت عليه، وطلبت منه تسلّم السلطة وإدارة شؤون المسلمين لأنهم عرفوا انه الحق والحق معه ـ كما قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ وأنه اللائق لهذا المنصب الخطير.

وقد وصف الامام (عليه السّلام) إزدحام الناس عليه، بقوله ـ في الخطبة الشقشقية ـ: فما راعني إلا والناس عليَّ كعُرف الضَبُع إليَّ[١] ينثالون عليَّ مِن كل جانب، حتى لقد وُطىء الحَسنان[٢] وشُقَّ عِطفاي[٣] مجمتعين حَولي كربيضة الغَنَم».

١ـ عُرف الضبع: ما كثُر على عنقها من الشَعر، يُضرب به المثَل في الكثرة والإزدحام.

٢ـ الحسنان: إبهاما الرِجلين.

٣ـ عطفاي ـ تثنية عِطف ـ: جانباي. ويُطلق على الإبط أيضاً.

وقد رفض الامام (عليه السّلام) قبول السلطة ـ في بادىء الأمر ـ لأنها كانت مُحمَّلةً بالمتاعب والمصاعب والمشاكل، نتيجة تصرّفات الذين كانوا قبله.

إلا أنه (سلام اللّه عليه) رأى نفسه أمام المسئولية الدينية... فالمسلمون يُصرّون عليه كي يتسلَّم زمان الحكم، ويدير امور العباد والبلاد، كما أراد اللّه ورسولُه، ولهذا قال (عليه السّلام) ـ في نفس الخطبة ـ: «.. والذي فَلق الحبَّة وبَرأ النَسَمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجَّة بوجود الناصر، وما اخذ اللّه على العلماء أن لايُقارّوا على كِظَّة ظالم ولاسَغَب مظلوم[1] لألقيتُ حبلها على غاربها[2] ولَسقيتُ آخرَها بكأس أوّلها، ولألفَيتم دنياكم هذه ازهدَ عندي من عَفطة عَنز[3]».

لقد تسلَّم الامام حكومةً هزيلة يسودها الفوضى والاستبداد، وتُمزّقها الإستئثارات الاموية التي ارتكبها عثمان بن عفان!

ولهذا بدأ الامام (عليه السّلام) ثورةَ الاصلاح والتطهير وإعادة الحقوق والأراضي المغصوبة الى اصحابها، وتصفية العناصر المنحرفة ـ كمعاوية واشباهه ـ التي سلَّطها عثمان على رقاب المسلمين ومَنَحهم صلاحيات مفتوحة غير محدودة!

لقدكان (عليه السّلام)يسعى الى تحقيق العدالةوتطبيقهابصورة كاملة، واعادة الوضع الى ماكان عليه في ايّام رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله).

١ـ الكِظَّة: مايعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمقصود: استئثار الظالم بالحقوق. والسَغَب: شدّة الجوع، والمقصود: هضم حقوق المظلوم.

٢ـ الغارب: الكاهل، وهو كناية عن ترك الأمر وإرساله.

٣ـ عفطة العنز: ماترسله من انفها.

لقد اتخذ الامام (عليه السّلام) من السلطة وسيلةً لتصحيح مسيرة القيادة وإزالة ما طرأ عليها من التلاعب والتشويه.

لقد اعاد (عليه السّلام) الثقة بالخليفة، بعد ان كانت قد سُلبت بسبب تصرّفات مَن قبله.

وكان (عليه السّلام) يُدير دفَّة الحكم بالعدل والرشد، على افضل وجه وأحسن صورة.

قال ابن الأثير[١]: لمّا دخل علي بن ابي طالب الكوفة، دخَل عليه رجل من حكماء العرب فقال: واللّهِ يا أمير المؤمنين لقد زِنتَ الخلافة وما زانتك، ورفعتَها وما رفعتْك، وكانت احوجَ إليك منك إليها.

مؤامرة المنافقين

إلا أن المنافقين والمستكبرين واصحاب المطامع والمصالح ـ الذين كانوا قد تعوَّدوا على عطايا عثمان ونَهب اموال المسلمين ـ لم يهدأ لهم بال، ولم تُعجبهم عدالة الامام ومساواته بينهم وبين سائر المسلمين، ولهذا انفصلوا عن جماعة المسلمين، وخرجوا على إمام زمانهم، وغادروا المدينة المنوَّرة الى مكة المكرَّمة، وأثاروا الفِتَن والإضطرابات، واقاموا حرب (الجَمَل) وتبعتها حرب (صِفِّين) و(النَهروان) واراقوا دماء عشرات الأُلوف من المسلمين الأبرياء، وارتكبوا المحرَّمات وهَتكوا الحُرمات.

النبي كان قد اخبر عن المؤامرة

وكان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قد اخبر خليفته عمّا

١ـ في كتاب أُسد الغابة: ج٤ ص٣٢ بسنده عن المدائني.

سيُلاقيه ـ ايام حكومته ـ من الأعداء والمنافقين، وأوصاه بالمقاومة والمواجهة المسلَّحة، كما كان قد اخبر المسلمين بذلك أيضاً.

ومِن ذلك ما رواه ابن الأثير[١] عن عبدالرحمن بن بشير قال:

كُنّا جلوساً عند النبي (ص) إذ قال: لَيَضربنّكم رجلٌ على تأويل القرآن كما ضربتُكم على تنزيله[٢].

فقال ابو بكر: أنا هو؟

قال: لا!

فقال عمر: أنا هو؟

قال: لا... ولكنه خاصِفُ النعل. وكان عليٌّ يخصف نعله (ص).

وروى المتقي الهندي[٣] عن ابي ذر الغفاري (رضوان اللّه عليه) قال: كنتُ مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وهو ببقيع الغَرقَد فقال: والذي نفسي بيده إن فيكم رجلاً يقاتل الناس ـ من بعدي ـ على تأويل القرآن كما قاتلتُ المشركين على تَنزيله، وهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه، فيَكبُر قتلُهم على الناس حتى يطعنوا على وليّ اللّه ويسخطوا عَمله كما سخط موسى أمر السفينة وقتلَ الغلام وإقامة الجدار، وكان خَرقُ السفينة وقتل الغلام وإقامةُ الجدار، للّه رضى...».

١ـ في كتاب أُسد الغابة: ج٣ ص٢٨٢، كما رواه جمع من المؤرّخين والمحدّثين ـ باختلافات يسيرة ـ منهم: الحاكم النيسابوري في مستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٢٣، واحمد بن حنبل ـ إمام الحنابلة ـ في مُسنده: ج٣ ص٣٣ وص٨٢، والحافظ ابو نعيم في كتاب حلية الأولياء: ج١ ص٦٧ وغيرهم.

٢ـ وفي بعض النُسخ: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله.

٣ـ في كتاب كنز العمّال: ج٦ ص٣٩٠.

وعن عبادة بن الصامت أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال للامام علي (عليه السّلام): ... فاذا أمكَنك الأمر، فالسيف السيف، القتل... القتل، حتى يفيئوا الى أمر اللّه وامر رسوله، فانك على الحق، ومَن ناواك على الباطل، وكذلك ذرّيتُك من بعدك الى يوم القيامة»[١].

هذا... وقد امتثل الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) جميع اوامر النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ووصاياه في هذا المجال، فقد حاول ـ في البداية ـ التفاهم مع اولئك المنافقين والمتآمرين، وتجنُّب العنف معهم، فلم يُجد ذلك نفعاً، وأَبَوا إلا الحرب، فوقَف (عليه السّلام) في وجوههم وَقفةَ المؤمن المجاهد الواثق من نفسه، وواجَههم بالصلابة والإستقامة، ووضَع حَدّاً لاعتداءاتهم المتكررة.

١ـ كتاب الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص١٩٧ باب إحتجاجات امير المؤمنين.

ما حَدث لأمير المؤمنين
حدَث للخلفاء مِن بعده

أيها القارىء الكريم: ان ما حدث لأمير المؤمنين (عليه السّلام) حدَث ايضاً لسائر الخلفاء «الشرعيين» مِن بعده، أي ان السبب في عدم تسلّمهم للسلطة هو: ان المنافقين والمناوئين تحزَّبوا ضدّهم وحاربوهم وقاتلوهم وشرَّدوهم وسجنوهم وبالتالي حالوا دون وصولهم (عليهم السّلام) الى الحُكم، بل مهَّدوا السبيل لاستيلاء الامويين والعباسيين..

وكانت سياسة الامويين والعباسيين قائمة على محاربة خلفاء رسول اللّه ومُطاردتهم ومُلاحقتهم، حتى قتلوهم واحداً بعد واحد ظلما وعدوانا.

الى ان انتهى الدور الى الخليفة الثاني عشر الامام المهدي المنتظَر (عليه السّلام وعجَّل اللّه ظهوره) ولكنه ما لبث ان غاب عن الأبصار بأمرٍ من اللّه تعالى، وقد اطال اللّه عُمره وأعدَّه ليوم سوف يظهر فيه ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً،ويستردّ الحكم والسلطةمن كل الظالمين والغاصبين ويسحق الجبابرة، وعند ذلك تقوم دولة الحق والقرآن وحكومة اهل البيت الكرام (عليهم الصلاة والسّلام) ان شاء اللّه تعالى ونرجوا أن يكون ذلك قريباً قريباً.

الخلافة ثابتة على كل حالٍ

وهنا سؤال يقول: هل عدم تسلُّم الأئمة للسلطة يمنع كونهم خلفاء للرسول؟

الجواب: كلا... لأن الامام امامٌ، سواء رضي الناس أم لا، ولأن الخليفة خليفة، سواء بايعه الناس أم لا، فكما أن نبوّة النبي ثابتة سواء آمن الناس به وصدَّقوه ام حاربوه وخالفوه، كذلك إمامة الامام وخلافته ثابتة من السماء قبل الأرض، ومن اللّه قبل الناس، ولو لم يبايعه الناس.

وقد اكَّد النبي الأعظم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على هذه الحقيقة بقوله: «الحسن والحسين إماما ن إن قاما وإن قَعَدا»[1].

أي: سواء قاما بأعباء الإمامة والخلافة، أم غُصبت عنهما السلطة فقعَدا.

١ـ بحار الأنوار: ج٤٤.

شيعةُ الامام علي (عليه السّلام)

أيها القارىء الكريم: ارى مناسباً ـ في هذا المجال ـ أن اذكر لك كلماتٍ عن شيعة الامام الذي تحدَّثنا عنه في هذا الكتاب، حتى تعرف شيئاً عنهم وينجلي لك الواقع وتطَّلع على الحقيقة، كي لاتقع فريسةً في مصائد المنحرفين الذين يحاولون تشويه الحقائق وقلب المفاهيم.

هنا سؤالان... نكتفي بالاجابة عليهما في هذا المجال[١]:

مِن اين جاء اسم (الشيعة)؟

الجواب: لقد ثبت ـ في كتب التفسير والتاريخ ـ أن (الشيعة) إسمٌ وَضَعه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على أتباع خليفته الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السّلام)[٢] واختاره لهم كي يكون عَلَماً وشعاراً يمتازون ويفتخرون به على مَن سواهم.

١ـ وللتفصيل راجع كتاب الشيعة في عقائدهم واحكامهم للسيد امير محمد الكاظمي القزويني.

٢ـ ومعنى(الشيعة)في اللغة:أتباع الرجل،ومنه قوله تعالى: «هذا من شيعته وهذا من عدوّه».

وكان (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يكرر التصريح بهذا الاسم ويؤكّده في مناسبات مختلفة وموارد متعددة.

فقد روي ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريَّة﴾ ـ عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال: كنّا عند النبي (ص) فأقبل عليٌّ، فقال النبي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة﴾[١] فكان اصحاب النبي اذا اقبل علي قالوا: جاء خير البريَّة[٢].

وعن ابن عباس قال: لّما نزلت: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريَّة﴾ قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لعلي: هو انت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك ـ يوم القيامة ـ راضِين مَرضيين، ويأتي عدوُّك[٣] غضاباً مُقمَحين ـ الى آخر الحديث ـ[٤].

وفي حديثٍ آخر... قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): ياعلي إن شيعتك على منابر من نور، مُبيضَّة وجوهُهم حولي، أشفَع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراني... ـ الى آخر الحديث ـ[٥].

وروى أنس بن مالك عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه

١ـ سورة البيِّنة/الآية.

٢ـ تفسير الدرالمنثور للسيوطي الشافعي: ج٣٠ ـ في تفسير الآية ـ.

٣ـ هكذا وجدنا في المتن، ولعل الصحيح هو: يأتي اعداؤك.

٤ـ الصواعق المحرقة: ص٩٦، ورواه السيوطي في كتاب الدر المنثور، عند تفسير الآية السابقة.

٥ـ ينابيع المودَّة للقندوزي الحنفي: ص١٣٠، المناقب للخوارزمي: ص٢٥٣.

قال:.. ياعلي ذِكرُك في التوراة، وذِكر شيعتك ـ قبل أن يُخلقوا ـ بكل خير، وكذلك ذِكرهم في الإنجيل...

الى ان قال: فان اهل الإنجيل يُعظّمون «إلياء» وشيعتَه وما يعرفونهم[١] وأنتَ وشيعتك مذكورون في كُتبهم، فأخبِر اصحابك أنَّ ذِكرهم في السماء افضل واعظم مِن ذِكرهم في الأرض، فليفرحوا بذلك، ويزدادوا إجتهاداً،فان شيعتَك على منهاج الحق والإستقامة.. ـ الى آخر الحديث ـ[٢].

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): لاتَستخفُّوا بشيعة علي، فانَّ الرجل منهم لَيشفع في مِثل ربيعةومُضَر[٣]»[٤].والأحاديث ـ في هذاالمجال ـ كثيرة.

ونستفيد من هذه الأحاديث ـ وأحاديث اخرى ـ عدّة نقاط:

الاولى: إن المذهب الشيعي مذهبٌ عريق وأصيل، يمدّ جذوره الى زمن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

الثانية: إن النبي هو الذي اسس المذهب الشيعي، واَولاه اهتمامه ورعايته.

الثالثة: إن المذهب الشيعي اسبقُ المذاهب الاسلامية الاخرى، لأن المذهب الحنَفي ـ وهو اول المذاهب الأربعة ـ جاء بعد النبي بـ ١٢٠ سنة تقريباً.

الرابعة: إن المذهب الشيعي يملك الشرعية، لأن رسول اللّه (صلّى اللّه

١ـ «إلياء» باللغة السريانية، ومعناها بالعربية: علي.

٢ـ بحار الأنوار: ج٣٧ ص٣٣٨.

٣ـ ربيعة ومُضر قبيلتان من القبائل العربية، يُضرب بهما المَثَل في الكثرة.

٤ـ ينابيع المودّة للقندوزي.

عليه وآله وسلّم) هو الذي اسّسه ووضع حجر الأساس له، وقد قال تعالى: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه﴾[١] بخلاف المذاهب الأخرى، فانها ظهرت في غياب الرسول، وبهذا لاتملك الشرعيّة.

الخامسة: إن المذهب الشيعي هو مذهب اهل البيت الذين اذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فاذا قيل: مذهب الشيعة. كان معناه مذهب اهل البيت، وكذا العكس، لافرق في ذلك.

وقد أمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) باتّباع اهل بيته، وضمِن الفوز والنجاة لكل من يتّبعهم... فقال: «مَثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق وهوى»[٢].

ولم يرد حديثٌ صحيح واحد، في الدعوة الى احدى المذاهب الأربعة، بل تجد التركيز على اهل البيت (عليهم السّلام) وهذا يدل على إنحصار الحق فيهم وفي أتباعهم.

ما هو مذهب الشيعة؟

على ماذا يُبتنى مذهب الشيعة؟

الجواب: الشيعة يعتمدون ـ في العقائد والأحكام ـ على:

١ـ القرآن الحكيم.

٢ـ الأحاديث الشريفة المرويّة عن رسول اللّه وعترته الطاهرة.

١ـ سورة الحشر/الآية ٧.

٢ـ مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٢ ص٣٤٣، وفي ج٣ ص١٥٠، حلية الأولياء للحافظ ابي نعيم: ج٤ ص٣٠٦، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٧٥، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٢ ص١٩، ذخائر العقبى للطبري: ص٢٠، وغيرها.

وقد صحَّ عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «إني تارك فيكم الثقلين[١]: كتاب اللّه وعترتي اهل بيتي، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ابداً، وانهما كهاتين ـ وجَمع بين السبّابة والوسطى[٢] ـ لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تُخلِّفوني فيهما»[٣].

وهذا الحديث مشهور بين المسلمين جميعاً، وقد رواه المؤرّخون والمحدّثون، على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم[٤].

١ـ وفي بعض المصادر: إني مُخلِّفٌ فيكم الثقلين.

٢ـ السبّابة: الاصبع الرابعة. الوسطى: الإصبع الثالثة، وهي كناية عن عدم افتراقهما بأي وجه.

٣ـ صحيح مسلم: ج٢ ص٢٣٨، طبعة مصر عام ١٢٩٠ هـ، السُنن للترمذي: ج٢ ص٣٠٨، مُسند احمد بن حنبل: ج٣ ص١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، مستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٠٩، حلية الأولياء للحافظ ابي نعيم: ج١ ص٣٥٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ج٢ ص٣٤٦، وغيرها...

٤ـ قال سيدنا شرف الدين ـ في كتاب المراجعات: ص٥١ ـ: (والصحاح الحاكمة بوجوب التمسُّك بالثقلين متواترة، وطُرُقهاعن بضع وعشرين صحابياً متضافرة، وقد صدَع بها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في مواقف له شتّى: تارةً يوم غديرخُم، وتارةً يوم عرفة في حجة الوداع، وتارةً بعد انصرافه من الطائف، ومرةً على منبره في المدينة، واخرى في حُجرته المباركة في مرضه، والحجرة غاصَّةٌ بأصحابه إذ قال: أيها الناس يوشك أن أُقبضَ قبضاً سريعاً فيُنطلق بي، وقد قدَّمتُ إليكم القول معذرةً إليكم [أي: لكي لايكون عذرٌ لكم] ألا اني مُخلّف فيكم كتابَ اللّه عزّوجلّ، وعترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي فرفعها وقال: هذا عليٌ مع القرآن والقران مع علي، لايفترقان حتى يردا عليَّ الحوض ـ الحديث ـ وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتى قال ابن حجر ـ في الصواعق: ص٧٥، ٨٩، إذ أورد حديث الثقلين ـ: ثم اعلم أنّ لحديث التمسّك بهما طُرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابياً...) الى آخر كلامه، زاد اللّه في علوّ مقامه.

ونستفيد من هذا الحديث ـ وأحاديث اخرى ـ عدّة امور:

١ـ ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يُصرِّح بأنه يترك مكانه ـ وفي غيابه ـ خليفتين عظيمين هما: القرآن والعِترة، والقرآن ـ بطبيعة الحال ـ هو كتاب اللّه الصامت، والعترة هي كتابة اللّه الناطق.

٢ـ ان المقصود من العترة هم اهل بيته فقط، ولهذا قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «وعترتي اهلَ بيتي» واهل البيت هم الذين اشار إليهم القرآن الكريم في آية التطهير، بقوله تعالى: ﴿إنما يريد اللّه ليُذهب عنكم الرجس اهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾[1] وقد ذُكر في محلّه أن هذه الآية نزلت في رسول اللّه وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) ولاتشمل زوجات النبي ولاأعمامه واقرباءه[2].

٣ـ ان التمسّك بهما معاً ضمانٌ من الإنحراف وأمان من الضلال.

٤ـ ان القرآن والعترة كإصبعي اليد، ولن يفترقا ابداً، فالقرآن يهدي الى العترة، والعترة تُرشد الى القرآن.

٥ـ أنه لايمكن الأخذ بالقرآن وحده وترك الإقتداء بالعترة، لأن القرآن يأمر بالتمسّك بالعترة في آيات كثيرة، سبقت الإشارة الى بعضها في غضون هذا الكتاب.

ولهذا.. فان ترك الإقتداء بعترة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) معناه مخالفة القرآن وتركه، وبهذا يظهر بُطلان قول مَن قال: حسبنا كتاب اللّه ـ كما سبقت الاشارة اليه ـ.

٦ـ ان تفسير القرآن وتأويله وعلومه والعقائد الاسلامية والأحكام

١ـ سورة الأحزاب/الآية ٣٣.

٢ـ لقد تحدّثنا بشيء من التفصيل حول هذا الموضوع في كتاب اهل البيت في سفينة نوح.

الشرعية، كلُّها يجب ان تؤخذ ـ بعد رسول اللّه ـ من العترة الطاهرة، لأنهم عِدل القرآن وخُزّان علومه، وتراجمة وحي اللّه، فهم اعرف بالقرآن من غيرهم، لأن القرآن نزل في بيوتهم، واهل البيت ادرى بما في البيت، فالأخذ منهم ضمانٌ للفوز والنجاة، والأخذ من غيرهم ضَلال وانحراف، بصريح كلام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

فلابد للمسلم أن يتمسّك بالقرآن والعترة معاً، وأن يأخذ دينه واسلامه وعقيدته واحكام دينه منهما معاً، لأن القرآن هو كتاب السماء الى الأرض ودستور اللّه تعالى الى الانسان، ولايفهمه ـ جيّداً ـ إلاّ العترة الطاهرة ـ كما سبقت الاشارة إليه ـ فهم الذين ورثوا علوم القرآن ومعرفة تفسيره وتأويله وظاهره وباطنه ومُحكمه ومتشابهه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

قال الامام الصادق (عليه السّلام): «إن اللّه جعل ولايتنا ـ اهلَ البيت ـ قطبَ القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن... ويستبين الايمان، وقد أمر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ان يُقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال ـ في آخر خطبةٍ خَطبها ـ: إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربّي وأما الأصغر فعترتي اهل بيتي، فاحفظوني فيهما، فلن تضلّوا ما تمسكتم بهما»(١).

تحريف حديث الثقلين

ومن الجدير بالذكر: ان اعداء اهل البيت (عليهم السّلام) حرَّفوا هذا

١ـ بحار الأنوار: ج٩٢ ص٢٧.

الحديث النبوي الشريف، فَحذفوا كلمة «عترتي» ووضعوا مكانها كلمة «سُنَّتي» تبريراً منهم لترك الاقتداء بأهل البيت (عليهم السّلام) ومحاولةً منهم لإطفاء نور اللّه الذي أبى إلا أن يُتمَّه.

مع العِلم أن الكتب التاريخية القديمة والمصادر المعروفة تذكر الحديث على الوجه الصحيح، فمثلاً: ترى احمد بن حنبل - إمام المذهب الحنبلي- يروي هذا الحديث في الجزء الثالث من مسنده ص١٧ و٢٦ و٥٩، وفي الجزء الرابع ص٣٦٦ و٣٦٧ و٣٧١، وفي الجزء الخامس ص١٨١.

وترى الحاكم النيسابوري يرويه في كتابه مستدرك الصحيحين في الجزء الثالث ص١٠٩ و١١٠ و١٤٨.

ويرويه الحافظ البغوي في كتابه مصباح السُنة في ج٣ ص٢٠٥ و٢٠٦.

وكذلك ترى الحافظ مسلم يرويه في صحيحه، وصحيح مسلم يأتي بعد صحيح البخاري، من حيث الحجيَّة والاعتبار عند اهل السُنَّة.

ومع هذا كله... فان بعض حَملة الأقلام يتجاهلون الحق فيذكرون الحديث مُحرَّفاً وقد قال تعالى: ﴿يُحرّفون الكلم عن مواضعه﴾.

فعليك - أيها القارىء الكريم - أن تنتبه الى هذا التحريف والتزوير، كي لاتقع في الخطأ الذي وقع فيه كثيرون، ولكي لاتنسب الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حديثاً موضوعاً لم يتفوَّه به، فيكون حسابك - عند اللّه ورسوله - عسيراً.

السُنَّة النبويَّة

ما هي السُنَّة النبوية؟

الجواب: هي قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وفِعله وتقريره.

ممّن تؤخذ السُنَّة النبوية، ومَن يُحدثنا عنها؟

الجواب: إنْ حدَّثَنا عنها الأئمة الطاهرون (عليهم السّلام) فهي معتبرة بلاتردد، لأنهم معصومون مطهَّرون.

وإن حدَّثنا عنهم الرواة الآخرون ـ ولم تمرَّ بالأئمة الطاهرين ـ فعلينا ان ننظر في احوالهم والسَند الذي يتّصل الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فان كان الراوي من الصحابة الثقات الصالحين الذين ثَبت صدقهم وأمانتهم، وكان الرواة الآخرون ـ في سلسلة الحديث ـ ثقات، فالحديث مُعتبر.

وإن كان الراوي مجهول الحال أو مُسلَّم الكذب ـ كأبي هريرة ونظرائه من تجّار الحديث ـ فالحديث مرفوض ولايمكن الاعتماد عليه.

والجدير بالذكر: ان الأحاديثُ المعتَبرة من القسم الأول ـ وهي السُنَّة المرويَّة عن الأئمة الطاهرين ـ كثيرة، بينما المعتبر من القسم الثاني ـ وهي التي لم تمرَّ بالأئمة الطاهرين ـ قليلةٌ جداً... فتكون النتيجة أن السُنَّة النبويَّة الشريفة تؤخذ من العترة الطاهرة.

التوسُّل الى اللّه
بالامام علي امير المؤمنين

هل يجوز التوسُّل الى اللّه تعالى بالامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام)؟

هل يجوز أن تستغيث بالامام ـ وبغيره من اولياء اللّه ـ فتقول: ياعلي ادركني، وما شابه ذلك؟

الجواب: نعم يجوز ذلك ولامانع منه شرعاً ابداً.

اقرأ قوله تعالى:

١ـ ﴿ولو انّهم إذ ظلموا انفسَهم جاؤك فاستغفروا اللّهَ واستغفر لهم الرسول لوجَدوا اللّه توّاباً رحيماً﴾[١].

إنّ هذه الآية الكريمة دعوة من اللّه تعالى الى الاستغاثة برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأن التشفُّع به الى اللّه سبحانه يوجب غفران الذنب وقبولَ التوبة.

١ـ سورة النساء/الآية ٦٤.

ولو كانت الاستغاثة بأولياء اللّه تتنافى مع التوحيد لما دعى اللّه عباده إليها في القرآن الكريم.

وقال سبحانه ـ في قصة إخوة يوسف (عليه السّلام) ـ:

٢ـ ﴿قالوا: يا ابا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين، قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم﴾(١).

لقد عرف اولاد النبي يعقوب (عليه السّلام) ـ وكلُّهم كانوا مؤمنين موحِّدين ـ بأن الضمان الأكيد لقبول توبتهم عند اللّه سبحانه هي شفاعة ابيهم اليه، ولهذا استغاثوا به، ولبّىٰ الوالد طلب وُلده ولم يقل لهم: إن هذا يتنافى مع التوحيد وانه شِرك باللّه سبحانه، بل ﴿قال سوف استغفر لكم ربّي إنه هو الغفور الرحيم﴾.

هذا اولاً.

ثانياً: إن التوسّل الى اللّه باوليائه مأمور به شرعاً.

اقرأ قوله تعالى:

﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتقوا اللّه وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾(٢).

لقد امر سبحانه باتخاذ الوسيلة اليه، وذَكَره في سياق امرين واجبين هما: التقوى والجهاد، وجعل الالتزام بهذه الامور الثلاثة طريقاً الى الفلاح.

وتسأل: ما هي الوسيلة؟

الجواب: قال الجوهري: الوسيلة: ما يُتقرَّب به الى الغير، يقال: وَسَل فلانٌ الى ربه وسيلة، وتوسَّل اليه بوسيلة: اذا تقرَّب اليه...

١ـ سورة يوسف/الآية ٩٧ ـ ٩٨.

٢ـ سورة المائدة/الآية ٣٥.

وروى جابر بن عبداللّه الأنصاري عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «اول ما خلق اللّه نوري، ابتدَعه من نوره واشتقَّه مِن جلال عظمته... فَفَتقَ منه نورَ علي..

الى ان قال: ونحن الوسيلة الى اللّه والوصلة الى رضوان اللّه...» الى آخر الحديث[1].

وروى الجويني الشافعي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم) أن اللّه تعالى لمّا خَلق آدم اراه انوار محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثم اوحى اليه:

«هؤلاء خمسة، شققتُ لهم خمسة اسماء من اسمائي... فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الاحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين... فاذا كانت لك اليَّ حاجة فبهؤلاء توسَّل».

ثم قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «نحن سفينة النجاة، ومن حاد عنّا هلك فَمن كانت له الى اللّه حاجة فليسأل بنا اهلَ البيت»[2].

وقالت سيدة النساء فاطمة (عليها السّلام): «... واحمدوا اللّه الذي لعظمته ونوره يبتغي مَن في السماوات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خَلقه...»[3].

وجاء في قوله تعالى: ﴿اولئك الذين يَدْعون يبتغون الى ربهم

١ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٣.
٢ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي: ج١ ص٣٦.
٣ـ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص٢١١.

الوسيلة»[١] أن الوسيلة هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام[٢]).

وفي التاريخ تقرأ عشرات القصص للذين كانوا يسألون النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يشفع لهم لقضاء حوائجهم وشفاء مرضاهم وغفران ذنوبهم.. فكان يلبّي طلبهم ويدعو لهم..

وكما في حياته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كذلك بعد وفاته كانت سيرة الصحابة الصالحين جارية على ذلك، فقد كانوا يتشرّفون بزيارة قبر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ويسألون اللّه تعالى بصاحب القبر الشريف ان ينزّل عليهم المطر أو ينفي عنهم الفقر أو يرفع عنهم البلاء، وغير ذلك.

ونفس هذا المعنى ثابت لآل رسول اللّه جميعاً.

وقد روي ان رجلاً شكى الى الامام الباقر (عليه السّلام) مِن وَجَع المفاصل، فأمره الامام بقراءة هذا الدعاء:

«اللهمّ إني اسألك باسمك وبركاتك ودعوة نبيّك الطاهر الطيب المبارك المكين عندك (صلّى اللّه عليه وآله) وبحق ابنته فاطمة المباركة، وبحق وصيِّه امير المؤمنين (عليه السّلام) وبحق سيدَي شباب اهل الجنة إلاّ اذهبت عني ما اجد، بحقّهم يا الله العالمين».

فقرأ الرجل هذا الدعاء، فسكن عنه الوجع فوراً.

والامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) سيد اولياء اللّه بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وله الدرجة الرفيعة والمنزلة الجليلة والشفاعة

١ـ سورة الاسراء/الآية ٥٧.

٢ـ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج١ ص٣٤٢.

المقبولة عند اللّه سبحانه... ولهذا فان التوسل به الى اللّه سبحانه مجرَّب لقضاء الحوائج ودفع الشدائد.

وروي عن الامام علي الهادي (عليه السّلام) - في زيارة الامام امير المؤمنين (عليه السّلام) -أن تقول:

«... ياوليَّ اللّه إنّ لي ذنوباً كثيرة فاشفع لي الى ربك فانّ لك عند اللّه مقاماً معلوماً، وإنّ لك عند اللّه جاهاً وشفاعة، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى﴾.

وفي الزيارة المرويّة عن الامام محمد الباقر (عليه السّلام) تخاطب الامامَ اميرَ المؤمنين (عليه السّلام) فتقول:

«... أنت وسيلتي الى اللّه وذريعتي، ولي حقُّ موالاتي وتأميلي فكن لي شفيعي الى اللّه عزّوجلّ في الوقوف على قضاء حاجتي وهي فكاك رقبتي من النار، واصرفني في موقفي هذا بالنُجح بما سألته كلّه برحمته وقدرته....».

كما أن قراءة هذا الدعاء نافع لشفاء المرضى وقضاء الحوائج:

«اللهمَّ إني اسألك بحقّ روح علي بن ابي طالب الذي ما اشرك بك طَرْفَةَ عين ابداً، ان تقضي حاجتي».

تقرأ هذا الدعاء - في جلسة و احدة - مائة مرَّة.

وتقول - في دعاء التوسُّل -:

«يا ابا الحسن يا امير المؤمنين يا علي بن ابي طالب، ياحجة اللّه على خَلقه ياسيدنا ومولانا إنّا توجّهنا واستشفعنا وتوسَّلنا بك الى اللّه وقدَّمناك بين يدَي حاجاتنا، يا وجيهاً عند اللّه إشفع لنا عند اللّه».

آثار السقيفة

لقد سبق ان ذكرنا أن السقيفة احدثت زلزالاً وكارثة ومأساة في تاريخ الاسلام والمسلمين، وأنها احدثت حريقاً لازال العالَم يحترق بناره، وانها اوقعت فتنة لازال العالَم يئنّ من وطأتها!

ولكي لاتعتبر كلامي هذا، نوعاً من المبالغة والاسراف فانني اذكر لك «بعض» ماتركتها السقيفة من آثار سلبية كلَّفت الامة الاسلامية الشيء الكثير، وأُحب ان اؤكد ان هذه بعض الآثار وليست كلها بل ولامُعظمها!

لقد تمخَّضت السقيفة عن نتائج وخيمة وآثار سيئة لم تقتصر على زمن الصحابة فحسب، بل مدَّت جذورها السرطانيّة الى عصر بعد عصر، وجيل بعد جيل!

وفيما يلي نشير ـ في عرض سريع ـ الى بعض تلك الآثار:

الأول: تحريف القيادة عن مجراها الشرعي، ودفعها الى احضان الديكتاتورية والانحراف، وتمهيد السبيل لاستيلاء مَن لاكفاءة ولااهليّة له على الحكم والسلطة، وقيادة الامة الاسلامية الى الفساد والضلال!

لقد تسلَّم ابو بكر السلطة بانتخاب مجموعةٍ معروفة.

ولّما دنى موته ـ بعد سنتين واشهر ـ اوصى بها الى عمر، حَسَب

المعاهدة الثنائية بينهما يوم السقيفة.

ونتساءل: اذا كانت الخلافة تثبت بالانتخاب فما معنى الوصاية؟!

وهل يحق للحاكم ان يوصي بالحكم الى شخص آخر؟!

وهل القيادة تابعة للميول والرغبات الشخصية؟!

ولّما دنى موتُ عمر، جعل الخلافة شورى بين ستة فقط ـ في قصة مذكورة في التاريخ ـ واعطى الأولويّة لمن يصوِّت له عبدالرحمن بن عوف.

ونتساءل: اذا كانت الخلافة تثبت بالانتخاب والوصاية، فما معنى الشورى؟!

ولماذا اعطى الأولويَّة لعبدالرحمن بن عوف؟!

ولماذا جعلها في ستة فقط ومَنع سائر المسلمين من حق الإنتخاب؟!

قال عمر: (لأن رسول اللّه مات وهو راضٍ عن هؤلاء الستة).

ولكن... هنا نقطتان:

الاولى: ان عمر نقض كلامه ـ هذا ـ في مقام آخر... فقد ذكر ابن ابي الحديد المعتزلي ان عمر جَمع اصحاب الشورى ـ في مرضه ـ...الى ان قال: ثم اقبل عمر على طلحة فقال له: أقول ام أسكت؟

قال طلحة: قل فانك لاتقول من الخير شيئاً!!

فقال له عمر: ... ولقد مات رسول اللّه ساخطاً عليك، بالكلمة التي قلتَها يوم أُنزلت آية الحجاب.

قال ابن ابي الحديد: قال شيخنا ابو عثمان الجاحظ: الكلمة المذكورة ان طلحة ـ لما أُنزلت آية الحجاب ـ قال بمحضرٍ ممن نَقل عنه الى رسول اللّه: ما الذي يُغنيه حجابُهنَّ اليوم، وسيموت غداً فننكحهن).

فانظر ـ ايها القارىء ـ الى التناقض في كلام عمر، فمرَّة يدَّعي ان

رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان راضياً عن هؤلاء الستة، ومرَّة يصرِّح بأن رسول اللّه مات ساخطاً على طلحة، وهو احد الستة.!.

«إنّ هذا لَشيء عُجاب»!.

النقطة الثانية: اننا نتساءل: هل كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) راضياً عن هؤلاء الستة فقط؟!

وهل أن سائر الصحابة كانوا مبغوضين عند رسول اللّه؟!

لقد أثنى رسولُ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) على حذيفة وعمار والمقداد وأبي ذر ـ كما في صحيح الأحاديث ـ فلماذا لم يشتركوا في الشورى؟!

إذاً: كان اختيار هذا العدد، ضِمن خطَّة مُدبَّرة مدروسة، وكان عمر بن الخطاب يعلم أن عبدالرحمن بن عوف لايُصوِّت إلا لعثمان بن عفّان، لأنه صِهره[1].

وهذا ما حَدث.. فقد صوَّت عبدالرحمن لِصهره، وقفز عثمان الى الحكم... وتحقَق هدف عمر.

الامام امير المؤمنين ومسرحيَّة الشورى

وقد أشار الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) الى هذه المسرحيَّة ـ في الخطبة الشِقشقية ـ حيث قال: «.. حتى اذا مضى [عمر] لِسبيله، جَعلها في جماعةٍ زَعم أني أحدهم، فيااللّه ولِلشورى، متى اعترض الريبُ فيَّ مع

١ـ كانت لعثمان اخت من أُمه إسمها: ام كلثوم بنت عقبة بن ابي مُعَيط، تزوّجها عبدالرحمن.

الأول منهم[١] حتى صِرتُ أُقرنُ الى هذه النظائر؟! لكنّي اسففتُ إذ أسَفُّوا وطِرتُ إذ طاروا[٢] فصَغى رجلٌ منهم لضِغنه[٣] ومالَ الآخر لصِهره، مع هَنٍ وهَن...»[٤].

وجاء في تاريخ الطبري ج٣ ص٢٩٤: وروي ان عمر لمّا قال: كونوا مع الثلاثة التي عبدالرحمن فيها، قال ابن عباس لعلي (عليه السّلام): ذَهب الأمر منّا، الرجل [أي: عمر] يريد أن يكون الأمر في عثمان.

فقال علي (عليه السّلام): وأنا اعلم ذلك ولكنّي ادخل في الشورى، لأن عمر قد أهّلني للخلافة، وكان من قبلُ يقول: إن رسول اللّه قال: إن النبوّة والإمامة لايجتمعان في بيت، وأنا ادخل لأُظهر للناس مناقضةَ فِعله لروايته).

أُقتلوا الباقين

والغريب في هذا المجال ـ وكل ما في هذا المجال غريب ـ هو ما ذكره الطبري في تاريخه ج٣ ص٢٩٤: ان عمر بن الخطاب أمر ابا طلحة الأنصاري بأن يختار خمسين رجلاً من الأنصار، ويقوم بدَور الشرطي المراقب على اهل الشورى، وقال له ما هذا لفظه: (... فكونوا مع الذين

١ـ يقصد بـ «الأول» ابا بكر.

٢ـ أسفَّ الطائر: دنا من الأرض، والمعنى أنني طلبت هذا الأمر يوم كان ابو بكر وعمر، وكذلك طلبته مع هؤلاء الأصاغر، مع العلم انني افضل من الشيخين فكيف بهؤلاء الأقزام.

٣ـ صَغى: مالَ. الضِغن: الحقد والضغينة.

٤ـ أي: مع قضايا وآلام لا اذكرها.

فيهم عبدالرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس)!

تُرى: هل يجوز هذا الحكم؟

هل يجوز الحكم بقتل من مات رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) راضياً عنهم ـ على حدّ زعمه!!؟؟

وترى ـ أيها القارىء الكريم ـ ان الطُرق التي اوصلت ابا بكر وعمر وعثمان الى السلطة مختلفة تماماً:

فالأول جاء بالانتخاب

والثاني بالوصاية

والثالث بشورى ستة، انسحب ثلاثة منهم، وبقي اثنان صَوّتا له.

ونتساءل: لماذا هذا الاختلاف في تعيين الخليفة؟؟

وما هو الطريق الصحيح؟

اذا كان الأنتخاب صحيحاً، فالوصاية والشورى باطلة

واذا كانت الوصاية صحيحة فالانتخاب والشورى باطلة

واذا كانت الشورى صحيحة فالانتخاب والوصاية باطلة

اننا لانؤمن بالانتخاب ولابالوصاية ولابالشورى، لأنه ثبت لنا أن تعيين الخليفة بيد اللّه ورسوله فقط. ولكننا نريد ان نُناقش هذه الطُرق الثلاثة، لتعرف ان كلّها باطلة.

ونسير مع التاريخ... لنرى أن معاوية بن أبي سفيان يستبد بالحكم ويحارب كلّ من ينازعه.

وتسأل: مَن الذي اوصل معاوية الى الحكم؟

الجواب: لقد عيَّن عمر بن الخطاب معاويةَ والياً على الشام، ثم جاء

عثمان بن عفّان (الأموي) فأثبته...

ولما انتقلت القيادة الى خليفة رسول اللّه الامام علي (عليه السّلام) عزَل معاويةَ فوراً من ولاية الشام، لِفسقه وفجوره وعدم صلاحيته، ولو اثبته لكان ذلك بمثابة التوقيع على انحرافاته ومنكراته.

ولكن معاوية خرج على امام زمانه وحارب الامامَ (عليه السّلام)[1] وبذل كل المحاولات للمحافظة على مركزه، وقد قال مرة ـ في خطاب له ـ: واللّه ما قاتلتكم لتُصلّوا او تصوموا أو تحجّوا وإنما قاتلتُكم لأتأمّر عليكم وقد فعلت.

ولمّا قُتل خليفة رسول اللّه الامام علي (عليه السّلام) استبدّ معاوية بالحكم وفَسَح المجال للشجرة الملعونة في القرآن فتوالَوا على الحكم طيلة سنوات عديدة، ثم انتُزع الحكم منهم تحت بريق السيوف وظلال الدماء والحروب، فاستبدّ بنوالعباس بالحكم وعاثوا في الأرض فسادا، وارتكبوا ابشع الجرائم والمنكرات... حتى سُلبت منهم السلطة.

... واخيراً آل الأمر الى الدولة العثمانية الفاشلة وبعدها تمزّقت البلاد الاسلامية وتحوّلت الى دويلات صغيرة، تحدّها الحدود الجغرافية وتستعمرها القوى الكافرة... حتى يومنا هذا وساعة كتابة هذه السطور.

وهكذ ظَهر لنا أن التمزُّق السحيق الذي لحِقَ الامة الاسلامية، والوضع المأساوي والتخلّف الحضاري والثقافي والصناعي والعسكري الذي يُعاني منه المسلمون اليوم ليس إلا من تحريف القيادة الاسلامية في يوم السقيفة.

١ـ وقد روي ـ في كتب الشيعة والسُنَّة ـ عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «مَن خرج على إمام زمانه فهو كافر».

ولو كانت القيادة الاسلامية تأخذ مجراها الشرعي ـ كما امر اللّه ورسوله ـ لكانت كلمة المسلمين هي العليا في كلّ زمان ومكان، وكانوا في الطليعة في كلّ المجالات، وما كانت تتلاعب بهم القوى الكافرة والدوائر الاستعمارية.

ولاحول ولاقوة إلاّ باللّه العلي العظيم!

إهانة آل رسول اللّه

ومن آثار السقيفة: إهانة آل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وهتك حُرمتهم.

وقد أمر اللّه تعالى بالمحبة والمودَّة اليهم فقال عزّوجلّ: ﴿قل لااسئلكم عليه اجراً إلاّ المودَّة في القربى﴾[١].

وقد سُئل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن ﴿القربى﴾ الذين وجبت مَودَّتهم؟

فقال: علي وفاطمة وابناهما[٢].

وتسأل: ماهي الإهانة؟

الجواب: لقد حدثت الإهانة عدَّة مرّات... منها: الهجوم على بيت السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السّلام) في فرقةٍ مسلَّحة يقودها عمر بن الخطاب، وهو يريد إكراه خليفة رسول اللّه على بيعة أبي بكر،ومعه قَبَس من نار ـ او حَطب ـ يريد إحراق باب بيت النبوَّة والإمامة!!

١ـ سورة الشورى/الآية ٢٢.

٢ـ تفسير الدرّ المنثور للسيوطي.

وقد ادّى الهجوم الى كسر ضلع حبيبة رسول اللّه واسقاط جنينها ـ الذي سمّاه رسول اللّه: المحسن ـ بسبب الضرب المبرِّح، وبالتالي الى وفاتها مظلومة شهيدة، من جرّاء تلك الأحداث الدامية[١]!

ومِن بعدها توالت المذابح والفجائع على آل رسول اللّه الطيّبين، واحدة تلو الاخرى.

وقد بلغت المذابح ذروتها يوم عاشوراء ومأساة كربلاء... تلك المأساة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ولانظيراً، من قتل الشيوخ والشبّان وحتى الأطفال الرضَّع.

قال الامام محمد الباقر (عليه السّلام) ـ وهو يشرح بعض آثار السقيفة ومساوئها ـ: «ثم لم نزَل ـ اهلَ البيت ـ نُستَذلّ ونُستَضام، ونُقصى ونُمتَهن، ونُحرَم ونُقتَل، ونَخاف ولانأمن على دمائنا ودماء اوليائنا، ووَجد الكاذبون ـ الجاحدون ـ لِكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرَّبون به الى اوليائهم وقضاةِ السوء وعمّالِ السوء في كل بلدة، فحدَّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورَووا عنّا ما لم نَقله وما لم نفعله، لِيُبغِّضونا الى الناس.

وكان عِظَم ذلك وكِبَره: زمن معاوية، بعد موت الحسن (عليه السّلام) فقُتلت شيعتُنا بكل بلدة، وقُطِّعت الأيدي والأرجل على الظِنَّة، وكان من يُذكَر بحبّنا ـ والأنقطاع الينا ـ سُجن او نُهب ماله وهُدمت داره.

ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، الى زمان عُبيد اللّه بن زياد قاتِل الحسين (عليه السّلام).

ثم جاء الحَجّاج، فقَتلهم كلَّ قتلة، وأخذهم بكل ظَنَّة وتُهمه، حتى

١ـ لقد تطرَّق المؤرّخون ـ من الشيعة واهل السنَّة ـ الى هذه الفاجعة الأليمة، وان اردت التفصيل فراجع كتاب فاطمة الزهراء من المهد إلى اللَّحد للسيد القزويني.

أن الرجل لَيقال له: زنديق أو كافر، أحبُّ اليه من ان يُقال له: شيعة علي!!

وحتى صار الرجل الذي يُذكر بالخير ـ ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً ـ يُحدِّث بأحاديث عظيمة عجيبة،مِن تفضيل بعض مَن قدسَلف من الوُلاة(١) ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها، ولا كانت ووقعت، وهو يحسب أنها حق..»(٢).

نعم... ولازال الحبل ممدوداً الى هذا اليوم، وساعة كتابة هذه السطور!

فكم من المؤمنين ـ والمؤمنات أيضاً ـ الذين يُقتلون ويُذبحون في كل يوم، في السجون وغيرها، بسبب تمسّكهم بالحق، ورفضهم للسلطة الباطلة؟!

كل ذلك.. مِن آثار السقيفة التي كانت البداية لكل هذه المآسي والويلات.

التفرقة بين المسلمين

الرابع: وقوع الخلاف والفتنة والتفرقة بين المسلمين، منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا...

انظر الى المذاهب المتعددة، والى الحزازات الطائفيّة، والى الخلافات الدامية!!

لقد جاءت من السقيفة... فهي التي وضعت حجر الاساس للتفرقة

١ـ يُشير الامام (عليه السّلام) الى الأحاديث المكذوبة التي وُضعت في فضل اعداء اهل البيت، ثم تناقلتها الألسُن، حتى ظن الناس أنها حق، وليست من الحق شيئاً.

٢ـ بحار الأنوار: ج٤٤.

بين المسلمين!

إنها البداية... لكل هذه المساوىء والمفاسد والمجازر والمذابح، ولولا السقيفة لم تحدث تلك، بالقطع واليقين.

ولاتسأل عن الأعراض التي هُتكت، والأموال التي نُهبت، والضحايا البريئة التي سُحقت، في هذه المجازر والمذابح.

ان القيادة اذا انحرفت انحرف معها كل شيء، واذا استقامت استقام معها كل شيء.

كيف تتصوّر: اذا كان الرجل الأعلى في الدولة فاسداً منحرفاً.. هل يقود الشعب الى الصلاح والايمان؟؟

لقد فسحت السقيفة المجال أمام المنحرفين لكي يصلوا الى الحكم والسلطة ويحكموا حَسب اهوائهم وميولهم الشخصية..

ولولا السقيفة لما وصل معاوية الى الحكم، ولاابنه يزيد الذي استهزأ بالوحي والأنبياء، ولا الوليد الذي مزّق القرآن بالسهام، ولا... ولا...

وكم كان جميلاً... لو كانت الامة الاسلامية جمعاء، تعيش يداً واحدة وعقيدة واحدة، وقوّة متّحدة، في تكاتف وتعاضد، وصفاء ووداد، تحت قيادة عترة رسول الله الطيّبين الطاهرين الابرار الأخيار الكرام!!؟

حُكّامٌ لا خلفاء

ان من جملة الأخطاء الشائعة التي انتشرت بين الناس ـ وفي بعض الكتب التاريخية والمدرسية ـ هي: تسمية الحُكّام الأمويين والعباسيين بـ (الخليفة) و(الخلفاء)، وهذا خطأ واضح، وغلط صريح.

سؤال: لماذا؟ وكيف؟

الجواب: لعدة أسباب:

الأول: لما سبق من أن تعيين الخليفة يجب أن يكون من عند اللّه فقط، وهؤلاء لم يعيَّنوا من عند اللّه ـ كما عرفت!

الثاني: لأن الخليفة يجب أن يكون منصوصاً عليه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أيضاً حتى تكون خلافته شرعية، اذ كيف يصح ان يدّعي أحدٌ الخلافة لانسانٍ لم يُصرِّح ذلك عليه؟؟

وهؤلاء الذين ادّعوا الخلافة بعد النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يَرِد نَصٌ واحد على خلافتهم وإمامتهم أبدا، لامن الكتاب ولا من السُنَّة الصحيحة، وانما كانوا «حكاماً» استولوا على الحكم وغصبوا منصب الخلافة بالقوة والسيف تارة، وبالوراثة والوصاية تارة أخرى.

اذاً: كانت خلافتهم غير شرعية ـ لعدم النَص عليهم ـ ومَن كانت

خلافته غير شرعية فانه ـ بكل تأكيد ـ لايستحق لقب الخليفة.

الثالث: لأن الخليفة الذي يُمثّل رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يجب أن يكون معصوماً من المعاصي والمحرّمات حتى تجب على الناس طاعته والانقياد لأوامره والاقتداء به، لأن مِن الثابت أن اللّه تعالى لايكلّف الناس باطاعة رجل فاسق يرتكب المحرمات ولايلتزم بالواجبات ويأمر بالمنكر وينهى عن المعروف من امثال اولئك الغاصبين الذين كانوا كذلك ـ بشهادة التاريخ ـ[1].

الرابع: لأن الخليفة ـ الذي يتولى قيادة الامة الاسلامية ومهامّ امور المسلمين ـ يجب أن يكون قِمةً في الأخلاق، ومثالاً أعلى للفضائل والتقوى، حتى يصلح للجلوس مجلس رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وحتى تجب طاعته واتباعه.

أمّا اذا كان الحاكم ـ على العكس من ذلك تماماً ـ غارقاً في الشهوات، ومرتكباً للمحرَّمات، ومستخفّاً بالحُرُمات، ومجمعاً للسيّئات، فانه لايستحق لقب الخليفة ولايليق به بأيّ حال.

وان التاريخ يشهد على الحكّام الذين تقمَّصوا الخلافة انهم كانوا يرتكبون الفجور ويحرِّمون الحلال ويحلّلون الحرام ويُفتون في دين اللّه بغير ما انزل اللّه، ويسيؤون الى عباد اللّه، ويستخفّون بحُرمات اللّه!!

فمثلاً: ترى عثمان بن عفّان يأمر باحراق آيات اللّه واسمائه و كلماته، بحجة جمع الناس على مصحف واحد!!

أليس الاحراق بالنار هتكاً لحرمة القرآن واهانةلأسماء اللّه الحسنى؟!!

والغريب في الأمر أنّ بعض المنحرفين يعتبرون حرق المصاحف من

١ـ راجع كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة حتى تعرف شيئاً من منكراتهم.

حسنات عثمان!

وصَدق رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم قال: «كيف بكم اذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً»!!

وترى أيضاً أن عثمان حكم بنفي الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري الى الربذة ـ وكانت رديئة الماء والهواء ـ وبقي في المنفى فترة، ثم مات هناك غريباً جائعاً..[1] لا لشيء.. سوى لأنه (رحمه اللّه) كان يطالب عثمان بانتهاج العدالة والسَير على كتاب اللّه وسنة رسوله... وأن لايُفضِّل بني امية على غيرهم في العطاء والمال والحكم[2].

وترى أيضاً أنه ضَرب الصحابي الجليل عمّار بن ياسر برِجله ـ وهي في الخُف ـ حتى اُصيب بالفتق واُغمي عليه![3].

١ـ راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٤٨، وطبقات ابن سعد: ج٤ ص١٦٨، والأنساب للبلاذري: ج٥ ص٥٢، وغيرها من التواريخ التي تتحدث عن أبي ذر الغفاري (رضوان اللّه عليه).

٢ـ من جملة مايذكره المؤرّخون في تفضيل عثمان عشيرتَه وقومَه على سائر المسلمين انه اعطى لعبداللّه بن خالد بن اسيد ٤٠٠/٠٠٠ درهم، واعطى الحَكم بن العاص ـ الذي طرده رسول اللّه من المدينة ـ ١٠٠ ألف درهم واعطى عبداللّه بن اُبي: خُمسَ افريقيا بكامله في اليوم الذي اعطى لمروان بن الحكم ـ الذي لعنه رسول اللّه ومَن في صُلبه إلا المؤمن وقليل ما همُ ـ ١٠٠ ألف درهم، كل ذلك من بيت مال المسلمين المساكين، كما اعطى لمروان أيضاً ارض «فدك» وقد كانت لفاطمة الزهراء (عليها السّلام) وهَبها النبي لها في حياته ثم غُصبت منها بعد وفاته (ص) مباشرة. راجع كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١ حتى تعرف بالتفصيل كيف كان عثمان يتصرف في اموال المسلمين.

٣ـ كتاب الاستيعاب: ج٢ ص٤٢٢، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص٢٩، الغدير للشيخ الأميني: ج٩ ص١٥ وغيره.

ونرى أيضاً أنه لَطَم عبدَالله بن مسعود، وأمر غلامَه باخراجه من المسجد، فجاء غلام عثمان وحمل ابنَ مسعود ـ بكل وحشيَّة ـ الى خارج المسجد، ثم ضَرب به الأرض ضربةً عنيفة أدّت الى كسر ضلعه![1].

وغير ذلك من المحرَّمات.

بعض منكرات معاوية

وعندما تنتقل الى تاريخ معاوية بن أبي سفيان تراه مُظلماً كالليل، مليئاً بالجرائم والمنكرات، والفواحش أيضاً.

ولاتَسَع هذه الأوراق لاستيعابها... وإنما نُشير الى بعضها فيما يلي:

١ـ خُروجه على إمام زمانه: الامام علي امير المؤمنين (عليه السّلام) وتجهيزه الجيوش لمحاربته والبغي عليه، وإقامته حرب (صفّين) والتي نتجت عنها حرب الخوارج (النهروان).

وقد ألحقت تلك الحروب اضراراً جسيمة ـ ماديَّة ومعنويَّة ـ بالاسلام والمسلمين.

وقد روي عن رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال: مَن خرج على إمام زمانه فهو كافر[2].

وقال: ياعلي... حربُك حربي وسِلمك سِلمي[3].

وقال: مَن اطاع علياً فقد اطاعني، ومَن عصاه فقد عصاني[4].

١ـ تاريخ ابن كثير: ج٧ ص١٦٣، الاستيعاب: ج١ ص٣٧٣، وغيرهما.

٢ـ طبعاً... الامام الحق، لا الامام الباطل، كما هو واضح.

٣ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ص١٣، المناقب للخوارزمي: ص٧٦ وغيرهما.

٤ـ كنز العمال: حديث رقم١٢١٣، مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٢١، ١٢٨.

٢ـ حربه الإعلامية ضد اهل البيت (عليهم السّلام) بصورة عامة، وضد الامام امير المؤمنين علي (عليه السّلام) بصورة خاصة.

وقد ذكرنا أن معاوية كان يلعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (صلوات اللّه عليه) في خُطب الجمعة والأعياد، ولم يكتف بذلك بل كان يذكر الامامَ (سلام اللّه عليه) بكلماتٍ قاسية هو اولى بها وأجدر(١).

وقد كتب الى عملائه ونظرائه بأن يلعنوا خليفة رسول اللّه على المنبر وفي المحافل والمجامع، وأن ينسبوا اليه المنكرات، وأن يُشوّهوا سمعة آل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فسار ولاته على هذا النهج الأثيم... واستمرت هذه السُنّة السيئة سبعين سنة!

وقد قال قوم من بني امية لمعاوية: يا أمير المؤمنين!! إنك قد بلغتَ ما أمّلتَ، فلو كففتَ عن لعن هذا الرجل ـ يعني الامام (عليه السّلام) ـ.

فقال معاوية: لا واللّهِ... حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولايذكر له ذاكر فضلاً..!(٢).

هذا وقد روى عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: مَن سبَّ علياً فقد سبَّني، ومَن سبَّني فقد سبَّ اللّه(٣).

فهل تُوافق ـ أيها القارىء ـ على هذه المنكرات؟!

وماذا يحكم وجدانك على معاوية وتصرفاته هذه؟!

٣ـ التشجيع على وضع الأحاديث الكاذبة، ودفع الأموال الطائلة من بيت المال الى المنافقين وتُجّار الحديث، كأبي هريرة وعمرو بن العاص

١ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٣.

٢ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٣.

٣ـ مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٢١، ذخائر العقبى: ص٦٦.

وسمرة بن جندب، مقابل أن يُلفّقوا الأحاديث وينسبوها الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في فضل اعداء اهل البيت ومخالفيهم، كحديث العشرة المبشّرة وغيره.

وقد امر عمّاله وولاته بتشجيع الوضّاعين وسماسرة الحديث، وجاء في كتابه: (... فاذا جاءكم كتابي فادعوهم الى الرواية في ابي بكر وعمر، فانّ فضلهما وسوابقهما احبّ إليّ وأقر لعيني، وأدحض لحجّة اهل هذا البيت [يعني آل رسول اللّه] وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله).

قال ابن ابي الحديد: (وذكر شيخنا ابو جعفر الإسكافي أن معاوية حَمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبارٍ قبيحة في علي (عليه السّلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجَعل لهم على ذلك جَعلاً يرغّب في مثله[١] فاختلقوا ما ارضاه، منهم: ابو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير)[٢].

يقول المحدِّث ابن عرفة[٣]: إن اكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أُمية، تقرُّباً إليهم بما يظنون انهم يُرغمون به انوف بني هاشم[٤].

قال تعالى: ﴿إنّما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات اللّه وأُولئك هم الكاذبون﴾[٥].

١ـ أي: قرّر لهم اموالاً طائلة تُغريهم وتُرغّبهم في جعل الأحاديث.

٢ـ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٤ ص٦٣. طبعة بيروت.

٣ـ وهو ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ويُلقّب بـ (نفطويه) وُلد سنة ٢٤٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٣ هـ وله مؤلفات عديدة/وفيات الأعيان: ج١ ص٣٠.

٤ـ النصائح الكافية: ص٧٤ وغيره.

٥ـ سورة النحل/الآية ١٠٥.

٤ـ ومن منكرات معاوية: قتْله سيد شباب اهل الجنة وسبط رسول اللّه وخليفته الثاني: الامام الحسن بن علي (عليهما السّلام) بِسُمٍّ دسّه إليه على يد جعدة بنت الأشعث[١].

أيها القارىء الكريم: هذه نماذج من منكرات معاوية بن ابي سفيان، وله منكرات اخرى، كثيرة ومتنوّعة، ومنها خلاعية وجنسية، ذكرها المؤرّخون في ملفّ حياته، ولانطيل الكلام بذكرها. وإن اردت التفصيل فراجع الجزء العاشروالحادي عشر من كتاب الغدير للشيخ المحقق عبدالحسين الأميني (أعلى اللّه مقامه).

بعض منكرات يزيد

ولّما هلك معاوية... قَفز إبنه يزيد الى الحكم، بتمهيدٍ وتوصيةٍ من أبيه. وكان يزيد معروفاً ـ عند الخاص والعام ـ بالفسق والفجور واللّهو واللعب... وعندما وصل الى السلطة لم يُغيِّر شيئاً من سيرته الفاسدة وسلوكه المايع، ولم يُراعِ حرمة الحكم، بل وسَّع نطاق فسقه واستهتاره، أمام الناس وبلاورعٍ من احد، فكان يشرب الخمور ويلعب بالقرود والفهود ويرتكب الفواحش ماظَهر منها وما بطن، ومع ذلك كله يدَّعي أنه يُمثِّل رسول اللّه وأنه الخليفة الشرعي له (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ويفرض على الناس بأن يخاطبوه: يا أمير المؤمنين!!!

١ـ النصوص في ذلك متواترة عن ائمة العترة الطاهرة، وقد اعترف به جماعة من المؤرّخين كما في كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفَرَج الاصفهاني وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص٤، والاستيعاب لابن عبدالبر في ترجمة حياة الامام الحسن (عليه السّلام).

واعظم جريمةٍ ارتكبها(لعنه اللّه) واهتزَّ لها العالَم الاسلامي والانساني الى هذا اليوم، هي أنه قَتل سيد شباب اهل الجنة وابن رسول اللّه: الامام الحسين بن علي (عليهما الصلاة والسّلام) بصورة فجيعة ترقّ لها القلوب وتهيج لها العواطف وتجري لها الدموع!.

ذاك ابوه معاوية قتَل الامام الحسن (عليه السّلام) وهذا ابنه يزيد قَتل الامام الحسين (عليه السّلام) فما تقول في والدٍ وولَدٍ يقتلان سيدَي شباب اهل الجنة وريحانتي رسول اللّه؟!

ولم يكتف بقتله (سلام اللّه عليه) فقط، بل قَتل معه مجموعة كبيرة من ذريَّة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وخيرة الرجال، بما فيهم الشيوخ والشباب والأطفال الرضَّع!! ـ كما سبقت الاشارة إليه ـ .

ولم يكتف بذلك كله.. بل اصدر امراً بإلقاء القبض على اهله واطفاله ومَن كان معه، وتسييرهم الى الكوفة والشام، بأبشع الصوَر واقساها، وتحت ضربات السياط وقبيح الكلمات وسوء المعاملة.

وفي العام الآخر من حكمه ارسل جيشاً الى مكة المكرَّمة لهتك حرمة الكعبة المشرَّفة، وأمَرهم بهدم الكعبة وقذف النجاسات في المسجد الحرام. ونفَّذ الجيش كل تلك الأوامر وزاد عليها أيضاً.

كما انه ارسل جيشاً شرساً يتكوّن من ثلاثين ألفاً بقيادة مسلم بن عقبة ـ وكان من الجبابرة القساة ـ الى المدينة المنوَّرة لهتك حرمتها وإبادة اهلها[1].

وعندما تنتقل الى ملفّ الحكام الآخرين... ترى الجرائم والمنكرات تغطّي حياتهم... فترى ـ مثلاً ـ الوليد بن عبدالملك يرمي القرآن بالسهم

١ـ كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة: ص٧.

حتى يُمزّقه، والآخر يدخل في حوض كبير من الخمر عارياً مع جاريته، ويسبح ويشرَب... ويسبح ويشرب... حتى يظهر النقص في الحوض... والآخر يبيت معانقاً لجاريته ثم يصبح جُنباً ويدخل المسجد جُنباً مع جاريته، ويُقدّمها لامامة الجماعة!

وهكذا الحال بالنسبة الى الحكام الغاصبين الآخرين[1].

فكيف ترضى ـ أيها القارىء المسلم ـ ان يخاطَب هؤلاء بلقب الخليفة أو: امير المؤمنين؟!!

١ـ للتفصيل راجع كتاب الامام الصادق والمذاهب الأربعة للشيخ اسد حيدر: ج١.

كلمة الختام

أيها القارىء الكريم: لقد قضينا معك جولة ثقافية ورحلة دينية في رحاب خليفة رسول اللّه الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السّلام) وذكرنا بعض الأحداث المؤلمة التي عصفت بآل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم السقيفة وما رافقتها من المآسي.

وها نحن قد وصلنا الى كلمة الختام وختام الكلام، وكل الذي أرجوه أن يكون هذا الكتاب قد ترك أثَره الايجابي في قلبك فأرشدك الى العقيدة الإسلامية الصحيحة في شأن الامامة والخلافة ان شاء اللّه.

واعلم أنني اعتمدت في ذكر أحاديث هذا الكتاب على الكتب الدينية المعتبرة والمصادر التاريخية الموثوقة، وان هذه الأحاديث هي قليل من كثير وجزء من كل، من عشرات الأحاديث ـ بل المآت ـ مما ورد في خلافة الامام امير المؤمنين علي (عليه السّلام).

وينبغي لك ـ أخي القارىء ـ أن تطالع هذا الكتاب بروح موضوعية، وبعيداً عن العصبية الجاهلية... وأن تعتقد الحق وتعتنقه.

وحَذارِ حَذارِ من العناد واتّباع هوى النفس والشيطان فانه مُضلٌ ومُهلِك في الدنيا والآخرة!

وفي الختام: اسأل اللّه تعالى أن يجعل هذه الصفحات المتواضعة «وثيقة الشفاعة» لدى سيدي ومولاي الامام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام)...

والى اللقاء في كتاب آخر إن شاء اللّه وصلّى اللّه على نبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، وآخر دعوانا ان الحمد للّه ربّ العالمين.

محمد ابراهيم بن محمد كاظم

الموحّد القزويني

فهرس الكتاب

الإهداء	٥
المقدمة	٦
ضرورة التحدث عن الخلافة	٨
المدخل: كيف يتم تعيين الخليفة؟	١٢
الشِرك السابق يمنع الامامة	١٥
ما كان لهم الخيرة	١٩
الادلّة العقليّة	٢٣
الخلافة وآية الشورى	٣٠
القيادة ضرورة اجتماعية	٣٣
الوصيَّة في الامور الدينية	٣٥
خليفة رسول اللّه	٣٨
القسم الاول: الآيات القرآنية	٣٩
آية الإنذار	٣٩
آية الولاية	٤٣

آية التبليغ ٤٩
خطبة الرسول الأعظم يوم الغدير ٥١
اخْذ البيعة للامام علي ٥٧
بيعة الشيخين ٥٨
بيعة النساء ٦٠
اول شعراء الغدير ٦١
اهميّة واقعة الغدير ٦٢
الاستدلال بحديث الغدير ٦٤
مَصادر واقعة الغدير ٦٧
التلاعب بالمصادر التاريخية ٦٧
إكمال الدين ٧٨
تاج الخلافة ٨١
الشهادة الثالثة في الأذان ٨٣
الله والشهادة الثالثة ٨٥
رسول الله والشهادة الثالثة ٨٦
اهل البيت والشهادة الثالثة ٨٩
فتاوى الفقهاء ٩٢
شعار الشيعة ٩٣
قنبلة السماء ٩٥
عيد الغدير ٩٩
الامام علي وعيد الغدير ١٠٠
ائمة اهل البيت وعيد الغدير ١٠٣

الشيعة وعيد الغدير ١٠٥
عيد الغدير في السماء ١٠٩
ما هو نثار فاطمة؟ ١١١
مسجد الغدير ١١٢
معلومات عن ارض الغدير ١١٥
دَور الشعراء في عيد الغدير ١١٧
القسم الثاني: الأحاديث القُدسيَّة ١٢١
القسم الثالث: الأحاديث النبويَّة ١٢٦
حديث المنزلة ١٢٦
تبليغ سورة براءة ١٣٤
علي مع الحق والقرآن ١٤٠
له فضائل ليست لأحد غيره ١٤٥
عشرة آلاف حديث ١٤٨
القسم الرابع: الادلّة العقلية ١٤٩
١ـ الأعلميَّة ١٤٩
كلمة عن علم امير المؤمنين ١٥١
عِلم الامام علي بالقرآن ١٥٢
كتاب عليٍ ١٥٥
العلوم المتنوِّعة ١٥٥
القضاء ١٥٥
الفضاء ١٥٧
عِلم النحو ١٦١

الخطابة والأدب ١٦٢
٢ـ الأفضليّة ١٦٤
الفضائل الذاتيّة ١٦٥
الفضائل المكتسَبة ١٧١
الجهاد ١٧٢
العبادة ١٧٤
العدل ١٧٧
٣ـ العصمة ١٨٢
٤ـ السابقة المشرقة ١٨٥
لمن يقال امير المؤمنين؟ ١٨٩
مؤمنٌ يصف اميرَ المؤمنين ١٩٦
مَن هم الخلفاء بعد امير المؤمنين؟ ١٩٩
عدد خلفاء رسول اللّه ٢٠١
محاولات فاشلة ٢٠٢
اسماء خلفاء رسول اللّه ٢٠٤
ماذا حَدث بعد وفاة الرسول؟ ٢٠٩
مؤامرة السقيفة ٢١٠
اين كان امير المؤمنين؟ ٢١٤
الانقسام في الصحابة ٢١٥
موقف العباس بن عبدالمطّلب ٢١٧
موقف السيدة فاطمة ٢١٨
الامام امير المؤمنين في مواجهة التحدّيات ٢١٩

فلسفة صبر الامام علي	٢٢٢
الامام امير المؤمنين يرفض البيعة	٢٢٧
هل استخلف النبي ابا بكر للصلاة؟	٢٣٢
وقفهٌ مع الشيخين	٢٣٧
رزيّة يوم الخميس	٢٦٠
انتقال السُلطة الى صاحبها الشرعي	٢٨١
ما حدث لأمير المؤمنين حَدَث للخلفاء من بعده	٢٨٦
شيعة الامام امير المؤمنين	٢٨٨
التوسُّل الى اللّه بالامام امير المؤمنين	٢٩٧
آثار السقيفة	٣٠٢
الامام امير المؤمنين ومسرحيّة الشورى	٣٠٤
اقتلوا الباقين	٣٠٥
اهانة آل الرسول	٣٠٨
التفرقة بين المسلمين	٣١٠
حكّام لا خلفاء	٣١٢
كلمة الختام	٣٢١
فهرس الكتاب	٣٢٣

كُتُب مطبوعة للمؤلف

١ـ الامام علي خليفة رسول اللّه

٢ـ الامام علي في الأحاديث النبويَّة

٣ـ السجود على التُربة والجمع بين الصَلاتين

٤ـ الحجاب سعادة لا شقاء

٥ـ اهلُ البيت في سفينة نوح

٦ـ نظرة الاسلام الى الموسيقى والغناء

٧ـ الصَدَقة الجارية

٨ـ النظام القضائي في الاسلام